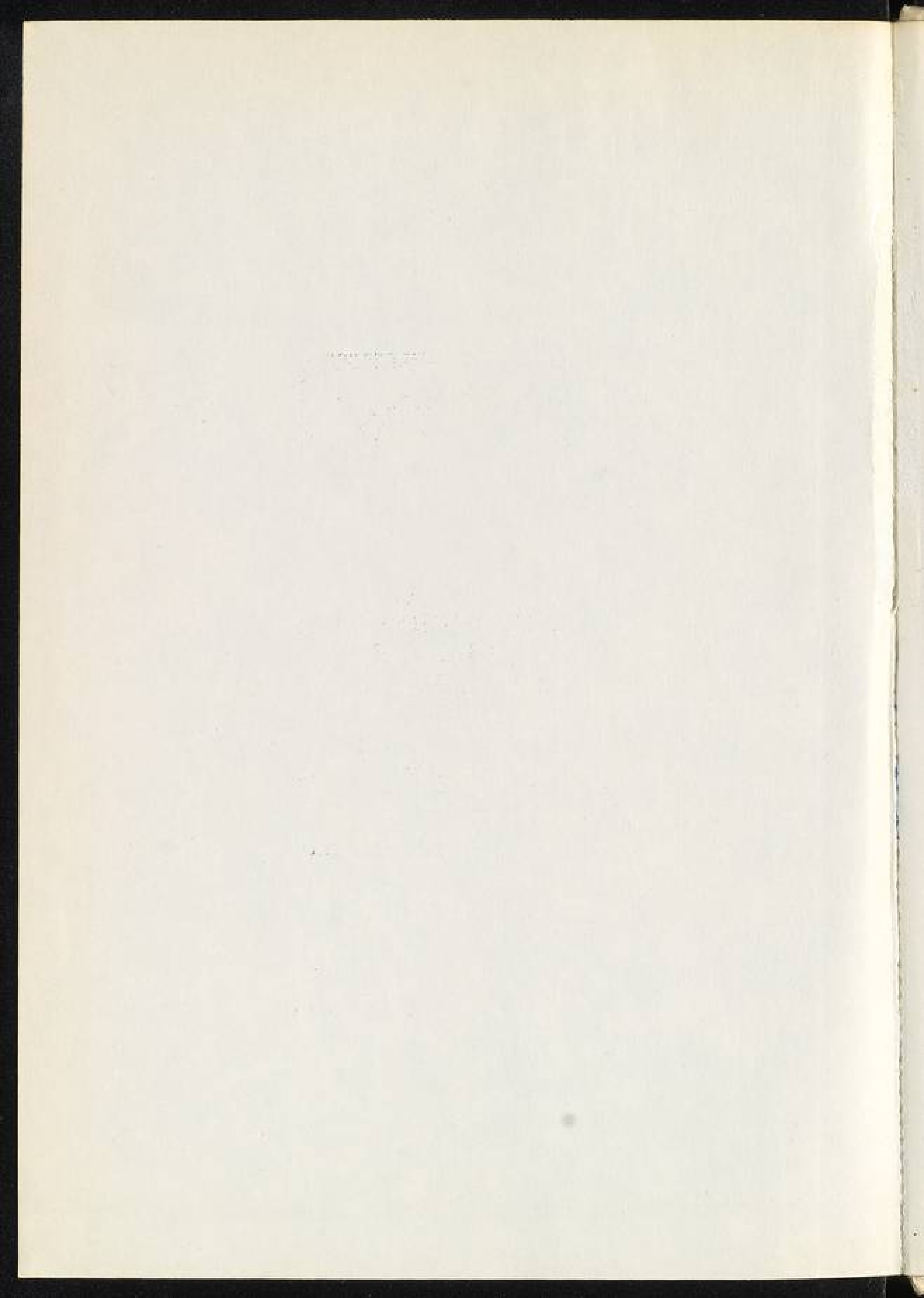
لمحات من تاريخ القرآن

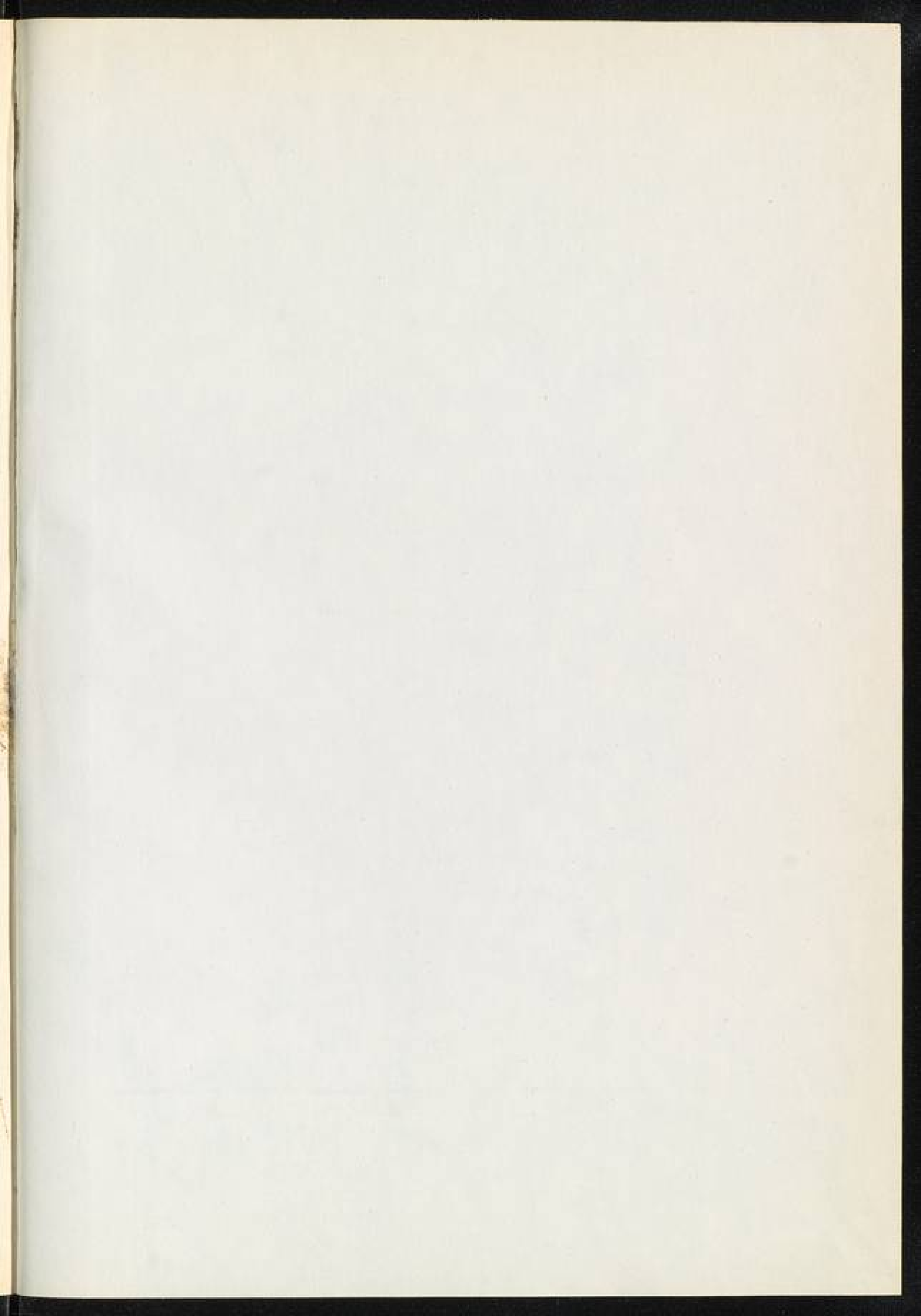
تأليف

السيد محمد علي الاشيقر
بكالوريوس في القانون

قدم له : الدكتور جابر العطا

الناشر
دار المحيط للمطبوعات
كربلاء المقدسة ـ العراق





لمحات من تاريخ القرآن

تأليف

السيد محمد علي الاشيقر

بكلوريوس فى الحقوق

قدم له

الدكتور جابر العطا



مطبعة النعمان النجف الاشرف تلفون ٩٩٧

الاهـــداء

ارفع هذه الدراسة الموجزة الى قائد الثورة الاسلامية ورائد الحق والعدل والحرية الرسول محمد « صلى الله عليه وآله وسلم » تكريما مني واعجابا بالجهود والمساعي التي انفقها في سبيل ايصال رسالة السماء الى الناس كافـة من أجل ان ينقلهم من جور الكفر واسر الجهل وضيق الافق الى عدل الشريعة وحرية الفكر وسعة الدنيا والآخرة ....

راجيا منه (ص) الرضا والقبول ...

كربلاء محمد علي الاشيقر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

للدكتور جابر العطا

تمر على الامة الاسلامية اليوم عواصف كاسحة من تيارات الفـكر الاجنبي الذي يتناقض مع الفكر الاسـلامي المستنير جملة وتفصيلا ، ولو ان المسلمين تدبروا هذه الافكار الوافدة ودرسوها دراسة موضوعية مستفيضة وآمنوا بهاعن وعي وادراك لهان الامر ،ولكنهم اخذوهاأخذا ببغاويا وطبقوها تطبيقا آليا غير مدركين للآثار السيئة والعواقب الوخيمة الناجمة من هذه الافكار وهذه المفاهيم ..

وان هـذه النتيجة المؤسفة لم تك في يوم من الايام نتيجة طبيعية وأصالة حقيقية للامة الاسلامية ، ولكن الاستعمار الكـافر حينما هيمن وسيطر مستغلا نفوذه وكل مالديه من وسائل وانظمة وقوانين تمكن ان يركز هـذه الافكار المستوردة والشعارات الزائفة والنظم الجائرة لا في عشية وضحاها بل باعوام كثيرة وظروف عصيبة حتى اصبحت وكأنها من بنات افكارنا وطبيعة كياننا ..

ولم يك هذا الانهيار وهذا التدهور مقتصرا على جانب من جوانب الحياة وناحية من نواحي المجتمع ، ولكنه تدهور في السلوك وانهيار في المثل والمفاهيم وتخلف وانحطاط في النظم والقوانين ...

ومن هنا كان لاينفع الاصلاح السطحي والعمل الترقيعي بل لابد ان

يكون العلاج جذريا والتغيير شاملا ..

وان هذا التغيير لابد وان يستوعب النفس اولا حتى يكون السلوك اسلاميا وتكون مناهج الحياة كلها على اساس الاسلام « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا بأنفسهم »[1] ..

فالتغيير بالاسلام هو الاخذ بكافة تعاليمه وارشاداته لانه نظام كامل فيه من المرونة ما يجعله صالحا للتطبيق في كل زمان ومكان « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا »[2] ..

والاسلام مر بمرحلة تطبيقية رائعة وعاشت الامة في ظله حتى اصبحت ارقى امم العالم جميعا ، ولكن حينما تخلت الامة عن الاسلام في مجاله العلمي تدهور امرها الى أسوأ مما كانت عليه قبل الاسلام ، وان هذا يدل دلالة واضحة على انه لاسعادة الا بالشريعة الاسلامية التي قال عنها الامام علي عليه السلام « لا يسعد احد الا باتباعها ولا يشقى احد الا مع جحودها واضاعتها » ..

وان مصادر هذه الشريعة اربعة :

اولها القرآن الكريم وثانيها السنة النبوية الطاهرة وثالثها الاجماع ورابعها العقل ...

فلا بد ان يكون كتاب الله موضع اهتمامنا نهتدي بهديه ونستضيء بنور علمه « افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً »[3] ..

---

(١) الرعد : ١١ .

(٢) المائدة : ٣ .

(٣) النساء : ٨٢ .

والاستاذ ـ الاشيقر ـ عرض في مؤلفه هذا عرضا موجزا لعدة جوانب من كتاب الله وبالخصوص الكيفية التي جمع بها حتى صار بالشكل الذي نراه اليوم وكما انزله الله عز وجل من دون زيادة او نقصان مثلما قرر في محكم الكتاب الكريم « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (٤) وهو عرض جميل في بابه وشيق في اسلوبه ..

فنسأله تعالى ان يوفقنا جميعا لما يحب ويرضى انه نعم المولى ونعم الوكيل ...

البصرة الدكتور جابر العطا

(٤) الحجر : ٩ .

تصــدير

لست ادري انى سيكون موقع كلمتي هذه من الكتاب ولست اعرف ما هو ترتيبها عند التبويب لانني اجهــل ماهيتها حقا فهي لم تكن تقريضا لتحتل مكان الصدارة ولم تكن مقدمة لتأتي تمهيدا للبحث ، اضف الى ذلك ان التقريض قد سبر غوره الدكتور العطا والمقدمة قد فرغ منها المؤلف ..

لذلك اراني ملزما بالاعتراف واقــولها كلمة جريئة بأني طارىء على الكتاب دخلت فيــه فضوليا رغبة في الظهور على مسرح التأليف وطمعا بالشهرة والجاه وارضاء الغرور العارم .

كان هذا شعوري عندما طلبت الى الاخ الاستاذ الاشيقر (وهذا خلاف المعتاد) حشر كلمتي في كتابه الاول ، واعتقد ان الصراحة التي برزت من بين سطورها ستكون شفيعا لدى القارىء الكريم ومبررا يجد فيه الاستمرار بقرائتها ليوليني من عطفه بعض ما اصبو اليه وليمنحني من ثقته قليــلا مما ارنــو اليــه ..

ومن حقك ايها القارىء العزيز ان تسأل عن سبب هذا الالحاف وتعرف دوافع هذا الالحاح سواء الى المؤلف او اليك أنت بالذات وعلي ان اجيب بنفس الصراحة والجرأة ، فالكتاب الذي بين يديك لم يكن جديد في هذا الباب ولا الأول في الموضوع فقد كتب فيه العديد من المؤلفين قديما وحديثا وتناولوا موضوعاته بالبحث والتمحيص منهم المسهب المطنب ومنهم المختصر المختزل ونظرة عابرة على مصادر البحث في خاتمة الكتاب تغني عن الدليل، فالقرآن وجد مع بعثة الرسول القائد واستمر حديثاً يردده الزمن وتصغي اليه الاجيال خالدا خلود الدهر يرسم البشرية طريقها المشرق ويحدد ابعاد سعادتها المنشودة ويوضح اسباب شقائها المتوقع ، فهو الدليل على الخير والدال على

سبل النجاة (انهذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) [1] ..

وموضع هذا فحواه وذلك محتواه فهو جدير بالكتابة والدرس والاعادة والتكرار وحري بي خاصة وانا اريد ان اجرب حظي في الكتابة ان اسهم بكتابة بعض السطور مسترشدا بهدي القرآن ومستهديا بنور محمد (ص) ، فأقول ان المؤلف وهو يهدي باكورة انتاجه قد حالفه التوفيق في اختيار الموضوع وقد جاء كتابه هذا تحقيقا للرغبة التي خامرته منذ زمن بعيد ، فخوضه في هذا البحث لم يجد فيه كبير عناء كما يدعي او قد بالغ في تقدير الصعوبة لأن تربيته الدينية الخاصة وملازمته لرجال العلم منذ نعومة أظفاره وشغفه بقراءة القرآن وحفظه لمعظم سوره فضلا عن اياته استظهارا ، كانت كلها اسبابا ومبررات كما اعتقد يسرت عليه الخوض في هذا الموضوع ومهدت السبيل للولوج فيه ، فهو شاب مؤمن نشأ في طاعة الله ورع تقي يبتغي مرضاة الله فلا عجب اذا احسن الاختيار ولا غرابة اذا اختار الأحسن..

وقد كان في ميسوري وانا القارىء الاول تبيان مواقع الاستحسان والاشادة بها او مواضع الانتقاد والاشارة اليها لو تمهلت في قراءة مسودات الكتاب ولكني آثرت السرعة ايفاء بوعدي للمؤلف معتقدا ان القاريء الكريم سينوبني في هذه المهمة وسيتولى هو تقديم كشف الحساب باسلوب رفيع متجرد عن العاطفة والذاتية اذا مارغب بارتقاء منبر النقد او اعتلاء اعواد التقريض واحسب ان المؤلف سيقابل كل ذلك برحابة صدر ..

فاليك ياأخي الكريم وانت تقدم كتابك الاول الف تحية والف سلام راجيا لك كل خير والله سبحانه ولي التوفيق ..

كربلاء — عبد الامير ذياب

مدير خزينة الادارة المحلية في كربلاء

---

(١) الاسراء : ٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

أستهـلال

الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على الرسول الامين وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين وسلم تسليما كثيرا •

وبعد فعندما خامرت فكري محاولة الكتابة عن القرآن الكريم الذي هو أحد مصادر الشريعة المهمة واصل الفقه الاسلامي كنت أظن واتصور جازما ان مثل هذه المحاولة ستكون سهلة ويسيرة وأنها ستكلل بالنجاح ومن دون أن اتحمل بسببها كبير عناءاو عظيم مشقة ، اعتمادا على ان الابحاث والدراسات الخاصة بالقرآن الكريم كانت قد مرت عليّ كثيرا سواء في خضم حياتي الدراسية أو في مطالعاتي وتتبعاتي في بطون الكتب والمؤلفات التي خلفها لنا المؤرخون الراحلون ـ عليهم رحمة الله ـ أو تلك التي دبجتها أقـلام الكتاب المعاصرين ـ حفظهم الله ـ ، وان أمرها بعد هذا لايتجاوز عن تسجيل كل هذه المعلومات ونقلها من الواح الفكر الى صفحات الاوراق والمسودات ليمكن طيها وارسالها الى مكانها المقرر من المطبعة ••

كانت كل هذه التصورات والامال تطوف في مخيلتي قبل الانقطاع لكتابة هذه الدراسة العابرة عن القرآن المجيد ، ولكن تجلى لي بعد ذلك وحين البدء والشروع في هذه الكتابة ان كل هذه الآمال المعقودة قد تبخرت وتلاشت وان قصارى ما أمكن حفظه من معلومات لاتتجاوز عند ترجمتها على أوراق التسويد عن صفحات عشرة او حواليها من دون ان يجمعها نظام او يوحدها

تنسيق يذكر ..

وطبيعي ان هذه النتيجة المؤلمة التي عشتها قد بعثت في النفس اليأس والجزع واوشكت ان تقضي على المحاولة وتعصف بها لولا ان تداركها الله — سبحانه — في اللحظة الاخيرة فحركها وبعث فيها شيئا من الامل والرجاء ، فقلب المحاولة الى تصميم والتجربة الى ارادة وواقع .

هذا وفي الحق ان وفرة المصادر والمراجع التي تبحث في موضوع القرآن قد كانت لنا عونا كبيرا في ازالة بعض الغمة التي اعترضت طريقنا في سبيل تهيئة هذه الدراسة كما ومهدت الطريق لكتابة هذه اللمحات من القرآن ، الا انه لايمكن في نفس الوقت تجاهل وتناسي الجهد والنصب الذي ذقناها ولمسناه عند جمع كثير من مواد القرآن وشرحها وتوحيدها وتنسيقها والتصرف بها بما يناسب خطة هذا الكتاب من تلك المصادر والمراجع ولا سيما اذا عرفنا ان كثيرا منها هي من المصادر القديمة والتي قد يضم بعضها عدة مجلدات أو اجزاء ، فالحصول على نقطة بسيطة واحدة هنا قد تأخذ من المرء وقتا طويلا وأمدا بعيدا ، فكم سيكون الوقت والجهد عند السعي للحصول على نقاط ومسائل مهمة .

ان هذه الصعوبات التي نتحدث عنها ولا شك قد تنعدم او تخف امام الادباء والكتاب الفطاحل سواء حين يكتبون ويبحثون عن مثل هذا الموضوع او آخر غيره ، ولكنها — والحق يقال — تفرض وجودها جبرا او طواعيه بوجه كل شاب مبتدىء لم يعرك ميدان التأليف والكتابة من قبل هـذا في قليل او كثير عدا بعض المقالات المقتضبة والكلمات العابرة التي كتبها على عجل لتلقى هنا وهناك وفي مناسبات وأوقات مختلفة ..

ورغم كل هذا وذاك فقد تمكنا — بتوفيق الله وعونه — وكما سلف

ذكره من وضع هذه الدراسة الوجيزة التي تبحث عن القرآن الكريم ابتداء من ساعة نزوله على الرسول الاكرم (ص) الى لحظة اختتامه فضلا عن الاشارة العابرة والخاطفة لمواضيع أخرى مكملة ومتعلقة به مثل جمعه وناسخه ومنسوخه ومكية ومدنيه وضبطه ومحكمه ومتشابهه وموقف غير المسلمين منه وتفسيره واعجازه وحروفه وخلقه ... الخ من أجل ان يلم ويحاط علما بها كافة شبابنا المسلم وشاباتنا المسلمات ، لان هذا الالمام والاحاطة سيعينهم ويعزز من مواقفهم الثابتة بوجه الخصوم والاعداء ، هؤلاء الخصوم والاعداء الذين لايفتأون يتجاهلون دين الله القويم وكتابه المبين فضلا عن دأبهم في نثر الاشواك وأثارة الغبار والضباب في طريق سير هذا الدين ونشر هـذا الكتـاب ..

وليحاط الجميع علما بعد هذا بأني لم أشر او المح في ثنايا صفحات كتابي هـذا الى كافة اسماء وهويات الكتب والافراد الذين أعتمدت على بعض كتاباتهم او ناقشت بعض آرائهم وذلك ايثارا مني لترابط الموضوع وانسجام البحث ووحدة الكلمة اولا ولانه ليس هناك من خلاف كبير يذكر في غالبية بحوث ومواضيع الكتاب بين فقهاء المسلمين ومجتهديهم ثانيا ، وانما اكتفيت في هذا الصدد بايراد قسم كبير منها هنا ثم سردها كاملة في نهاية الكتاب ليكون في المستطاع الرجوع اليها لمن أحب مزيدا من الاطلاع وتوسعة في الاستقصاء والتتبع .. وغالبية هذه الكتب متيسرة في المكتبات المركزية بمراكز الالوية العراقية فضلا عن المكتبات الاهلية العامة والخاصة وما اكثرها في هذا الزمان ، ومنها مكتبتي المتواضعة الخاصة والتي سأقلبها في وقت قريب الى مكتبة عامة عندتوفر المحل الخاص بها ليتمكن جمهور القراء من الاستفادة من الاربعة آلاف كتاب التي تضمها في الوقت الحاضر ..

هذا واني عند تأليفي لهذا الكتاب لم افكر قط في كسب نفع مادي عاري أو هدف دنيوي زائل بعد ان اغنانا الله تعالى من واسع خيره وسابغ فضله ، وانما آثرت منه ــ الكتاب ــ ومن الآخر الذي سيليه مباشرة آثرت ان يكون خالصا لوجهه تعالى وليسهم مع سائر أخوانه ونظائره من الكتب الاسلامية الاخرى في توعية المسلمين وتثقيفهم وفي استنفار هممهم ونشاطاتهم مع تذكيرهم واشعارهم بان الغد سيكون لهذه العقيدة والمستقبل لهذا الدين ، رضي الخصوم ام سخطوا ..

وبعد فأني اذا طوي هذه المسودات والاوراق والتي كتبتها بمنتهى الايجاز والاختصار وعلى عجل في بحر شهر من الزمان كما وكلفني استنساخها لعدة مرات ما يقرب من شهرين ، اذا طويها لأنقلها من قعر مكتبتي الى مكانها الطبيعي من المطبعة لاشعر في الحقيقة بمدى التقصير والاضطراب الذي يلم بها ويحيطها احاطة السوار بالمعصم ، سواء كان ذلك في الاسلوب او في ضعف المستوى او الاغلاط والهفوات والتي سوف لاتخفى حتما على فطنة القارىء اللبيب في خلال تجواله وطوافه بأجواء هذا الكتاب ، آملا منه مشكورا تعريفي عن كل ذلك ليتاح لي تلافيه مستقبلا فيما اذا قدر لهذا الكتاب ان يرى النور للمرة الثانية ..

واذا كان لي مجال هنا لشكر أحد على أخراج هذا الكتاب اوالسعي فيه فهو الطبيب الانساني الخالد الذكر الدكتور جابر العطا في البصرة والاخ المؤمن الاستاذ الحقوقي الحاج محمد علي مجيد النصراوي في كربلاء ، وفي الحق ان هذه الدراسة هي من بنات افكارهم ووحي توجيهاتهم وارشاداتهم فشكرا جزيلا لهم وليجعل الله سبحانه التوفيق حليفهم وليوفقهم للخير والصالحات ..

وختاما أشير الى ان هذه التجربة في الكتابة هي الاولى التي نمتحن فيها ، ولست ادري هل ستكون هذه حافزا للوثوب الى تجارب أخرى ام أن خط سيرنا وسفينتنا ستقف عندها ..

والله اسئل ـ وله الحمد ـ ان يوفقنا للسداد والصواب انه ولي النجاح والتوفيق ..

كربلاء — محمد علي الاشيقر

التعريف بالقرآن

القرآن هو كلام الله المعجز المنزل على قلب الرسول الامين (ص) بالفاظه العربية ومعانيه الحقة ليكون معجزة له ودستورا له ولأمته وهو الموجود ما بين الدفتين المنقول بالتواتر جملة وتفصيلا والمتعبد بتلاوته المبتدأ بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس وهو خاتم الكتب السماوية [1] ..

ومن عبر هذا التعريف الخاطف للقرآن يمكننا تلمس أمورا كثيرة فيه سنشير اليها أدناه وبالتتابع انشاء الله ..

فالقرآن اولا هو كلام الله تعالى وقوله ولا صنعة فيه لمحمد (ص) ولا لأحد من الخلق ، واذا كان القرآن كلامه تعالى لزم على الكافة العمل به والانصياع له والسير دوما على هداه وسبيله ، وهذا العمل والسير يلزم ان يمتد الى كافة آياته وسائر سوره بما تضم من تفصيلات وفروع ، حيث لايجوز هنا للمرءالعمل والانصياع لشيء منها دون الآخر او ان يؤمن ببعضها دون البعض .

وهذا الكلام يقودنا للقول بأن الفقه الاسلامي بشقيه الاثنين العبادات والمعاملات وما يتفرع منهما من أحكام وعبادات وعقوبات وقوانين هذه كلها ينبغي ان تؤخذ من كتاب الله الكريم ويتلمس احكامها فيه ..

ولا يفهم من هذا القول بأنه ليس هناك غير القرآن من مصدر آخر للفقه الاسلامي يمكن ان يغترف منه او يستنجد به عند عدم العثور على

---

(١) الوجيز فى اصول الفقه وتاريخ التشريع ـ حسين علي الاعظمي
مباحث فى علوم القرآن ـ الدكتور صبحي الصالح .

حكم لمسألة أو جواب لسؤال مثلا في القرآن ، بل هناك مصادر أخرى بعد القرآن مثل السنة (٢) والاجماع (٣) متفق عليها بين المسلمين كافة يمكن الرجوع اليها ، وهناك مصادر أخرى أيضا ولكنها دون الاولى حجية تجد من يلتزم بها ومن لايلتزم بها وهي العقل (٤) والقياس (٥) والمصالح المرسلة(٦) والاستحسان (٧) والعرف (٨) والاستصحاب (٩) وشرع من قبلنا (١٠) ومذهب الصحابي (١١) .. ومعلوم ان بعض المصادر الاخيرة هذه هي سبل وطرق

---

(٢) سيرد تعريف السنة والحديث وما اذا كان هناك فرق بينهما بعد قليل . .

(٣) الاجماع : اجتماع علماء العصر فى وقت معين على حكم شرعي قولا و فعلا .

(٤) العقل : قدرة او قوة يميز بها المرء الحق عن الباطل .

(٥) القياس : الحاق ما لم يرد به نص بما ورد فيه نص لتشابه العلة . .

(٦) المصالح المرسلة : المحافظة على مقصود الشارع من جلب المنافع للناس ودرء المفاسد عنهم من دون ان تستند على نص شرعي . .

(٧) الاستحسان : عدول المجتهد عن ان يحكم فى المسالة بمثل ما حكم فى نظائرها لوجه اقوى يقتضي العدول عن الاول . .

(٨) العرف : ما تعارفه الناس وساروا عليه من فعل او قول . .

(٩) الاستصحاب : بقاء الحكم مستمرا مالم يوجد ما يغيره ، او الحكم ببقاء امر محقق لم يتحقق عدمه . .

(١٠) شرع من قبلنا : احكام الشرائع التي سبقت الاسلام دون ان يؤكدها الاسلام او ينسخها . .

(١١) مذهب الصحابي : فتاوى صحابة الرسول (ص) بعد وفاه الذين عرفوا بالفقه وفهم القرآن واحكامه .

لتلبس حكم الله الصحيح واشائنه فيما تعرض من قضايا ومشاكل ..

وبصدد ما اذا كان كلام الله قديم او مخلوق ، فهذا الموضوع قد وفيناه كاملا في فصل خاص يقع في آخر هذا الكتـــاب وهو فصل خلق القرآن وقدمـــه . .

والقرآن ثانيا هو دستور دائم وقانون أزلي ونظام كامل لان الله سبحانه حين أنزله على الرسول (ص) وقام الرسول بدوره بتبليغه الى الناس كافة لم يقصره على مجرد كتاب خاص يحـــدد او يشير الى بعض الاحكام دون البعض او ينظم جانبا خاصا من الحياة ويترك الجوانب الاخرى في بحر لجي من الفوضى والاضطراب ، او خطابا لجيل واحد من الناس دون الاجيـــال التالية ، كما ولم يجيء القرآن ليكون متاع عقلي ولا كتاب أدب وفن ولا كتاب قصة وتاريخ — وان كان هذا كله من محتوياته — انمـــا جاء ليكون منهاج حياة [١٢] وليكون الدستور الخالد للبشرية كلها منذ أشراقة نور الاسلام على بطاح الارض حتى نهاية العالم ، وقد أودع سبحانه فيه كافة الانظمة والقوانين والتشريعات التي تكفل لهذه البشرية مزيدا من التقدم وفيضا من الحرية والازدهار والانطلاق ..

ومن هذا يمكن تمييزه عن الدساتير والقوانين الوضعية ، فالاخيرة رغم نظرتها الضيقة للحياة وصغر مجال عملها وانها من صنع نفس الانسان وحصيلة فكرة القاصر ، رغم هذا وذاك هي مادية ونفعية في روحها وجوهرها بعيدة الفضيلة والاخلاق في كثير من بنودها وفروعها تشوبها المثالب والمآخذ من كل جانب ومكان فضلا عن عدم مسايرتها لركب المجتمع الا لفترة قصيرة تتعرض خلالها دوما للتنقيح والاضافة والحذف ولا تلبث بعد ذلك ان تسقط تحت

---

(١٢) معالم فى الطريق — سيد قطب .

ثقل اوزارها ، وحينئذ يتداعى الانسان ليقيم على انقاضها دساتير وقوانين لتنظيم مسيرة الحياة على غرار الاولى ، مما سيؤدي بالثانية الى الوصول الى النتيجة التي آلت اليها الاولى والدرك الذي هوت فيه غير مأسوف عليهما.

واذا ما أراد الانسان لهذه الدساتير الثبات والدوام فضلا عن مواكبتها لروح العصر فما عليه الا ان يفرض على مشرعيها طوعا او كرها اعادة النظر فيها على الفور من أجل محق كل شيء فيها يتعارض وروح القرآن الكريم ويخالف أحد فروعه او أصوله مع استبعاد فكرة التطعيم والترقيع جملة وتفصيلا كأن يؤخذ شيئا من احكام الله تعالى لتضاف الى هذه القوانين والدساتير ، على ان يتم بعد ذلك نقل احكام الله وارادته من كتابه الكريم ونقل سيرة رسولة واهل البيت وصوغها في قالب خاص لتصبح الدستور الخالد للأمة ، مع التأكيد مرة أخرى بلزوم سحق كل ترقيع او تطعيم مقصود او غير مقصود ، ذلك لان الشريعة الاسلامية يرتبط اولها بآخرها وصغيرها بكبيرها ، فهي أما ان تؤخذ كلها او لاتؤخذ ، فنظام الله خير في ذاته لانه من شرع الله ولن يكون شرع العبيد يوما كشرع الله [١٣] .

ونحن حين نقول كل هذا لم نجري وراء العاطفة او تتعصب تعصباعمى لما نؤمن به ، كما ولم نتأثر او نستهدي بقول القائل :

ولست براء عيب ذي الود كله	ولا بعض مافيه اذا كنت راضيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة	كما انعين السخط تبدي المساويا
كلانا غني عنأخيه حياته	ونحن اذا متنا أشد تغانيا

أجل لم نستنير او نتأثر بكل هذا كما قد يتصور البعض ، وأنما الذي قلناه هو الحق الذي لاينازع والحقيقة التي لايمكن تجاهلها او طمسها

(١٣) معالم فى الطريق ـ سيد قطب .

بتاتا ، وقد اثبت هذا وذاك التاريخ واكدته الوقائع والحوادث الماضية ..

والقرآن ثالثا هو عربي نزل بالفاظه العربية ومعانيه من دون ان يتلون منها شيء او يتغير ، بل نجده مسطورا على صفحات الكتاب على الهيئة والشكل الذي نزل على الرسول (ص) من قبل بطريق الوحي ..

لذا فيمكننا هنا تمييز القرآن المجيد عما ورد عن الرسول (ص) من مواعظ وأدعية ومن خطب وسنن واحاديث والتي تسمى بالاحاديث القدسية والسنة النبوية (١٤) على التوالي ..

فهذه الاحاديث القدسية وهذه السنن النبوية وان كان مصدرها ومعناها ومنشؤها وفكرتها وحيا من عند الله تعالى لان الرسول (ص) لاينطق عن الهوى ، الا ان صياغتها الحرفيةوتعابيرها وقولبتها ولفظها تم على يد الرسول ولسانه كما يقال (١٥) وقد تميز الحديث القدسي عن الحديث النبوي بهذه التسمية فنسب الى القدس لان الرسول الكريم يحكيه عن الله تعالى ..

---

(١٤) نحيط القارىء علما بأن هناك فروقا بسيطة بين كلمة الحديث وكلمة السنة رغم سعي الكثيرين للتوحيد ما بينها .

فالحديث هو ما حدث به عن النبي (ص) .

اما السنة فهي (بقطع النظر عن كون هذا التحديث موجودا او غير موجودا) هي العادة الدينية او القانونية التي كانت جارية فعلا عند المسلمين فى عصر النبوة ، فقد تكون السنة كالحديث قول كما وقد تكون فعلا وقد تكون تقريرا . .

لذا فكل حديث سنة وليس كل سنة حديث .

اما الاحاديث القدسية فان تعريفها هي المواعظ التي كان الرسول (ص) يلقيها احيانا على اصحابه ويحكيها عن الله تعالى ومثال ذلك ما ينقل عن النبي (ص) فيما يرويه عن الله تعالى « ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ..... » .

(١٥) مباحث فى علوم القرآن ـ الدكتور صبحي الصالح .

والقرآن رابعا هو متواتر لانه جاء عن طريق التواتر جملة وتفصيلا ، فليست فيه آية واحدة بالمرة او دونها قد أختلف في أمرها اثنان من المسلمين منذ الصدر الاول للاسلام حتى هذه اللحظة من عمر الزمن ، بل كل القرآن من أوله الى آخره (وهو الموجود بين الدفتين) هو نفسه الذي هبط على الرسول (ص) ودونما زيادة او نقصان ودون أي تغيير او تحريف ...

فكل كلمة في القرآن موضوعة في موضعها المطلوب ، وليس فيه كلمة واحدة تقدمت ولا أخرى تأخرت ولولأجل الفاصلة [١٦] ، لان رعاية الفواصل يتطلب أثبات للضرورة كما هو عليه الامر في السجع والشعر حيث يقدم هذا ويأخر ذاك لأجل السجع او لأجل القافية ، والقرآن ليس بشعر ولا التزام فيه للسجع فضلا عن نزوله من عند الله تعالى والذي لاتعرض له الضرورة فهو — سبحانه — يضع كل شيء في محله ..

والتواتر معناه ان يتلقى الجمع الكبير من الناس والذي لايمكن تواطؤهم على الكذب يتلقى عن النبي (ص) ثم ينقله جمع آخر عن هذا الجمع وهكذا حتى يصل الينا كما نطق به النبي من غير تحريف ولا تبديل ولا نقص ولا زيادة ..

لذا فهنا يمكننا تمييز القرآن الذي جاء متواترا وآمن به الجميع عن بعض القراءات الشاذة والضعيفة كقراءة عبدالله بن مسعود « والسارق والسارقة فأقطعوا ايمانهما » ، وقراءة جابر « فان الله من بعد اكراههن لهن غفور رحيم »، وقراءة امهات المؤمنين عائشة وحفصة « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر » وقراءة سعد « وله أخ او اخت لأم فلكل واحد منهما الدس » .... وغيرها ..

---

(١٦) سيرد معنى الفاصلة فى الفصل القادم .

كما ويمكننا هنا أيضا تمييز القرآن عن الاحاديث والسنن النبوية التي لم تصلنا الا عن طريق الارسال والانقطاع والاحاد والشهرة من جهة الاسناد..

فبصدد القراءة الشاذة او الضعيفة كما مر في الفاظ « ايمانهما ، لهن ، صلاة العصر ، لأم » فأنها لاتعد قرآنا بتاتا ، لذا لاتصح صلاة من يقرأها او صلاة من يقتدي بإمام يقرأها في الصلاة ..

أما بشأن الاحاديث المرسلة والمقطوعة والاحاد والمشهورة [١٧] فنرى ان قسما من المسلمين يضعفها ولا يعتد بها بالمرة ، بينما نرى القسم الآخر منهم يرجحها ويعمل بها ، وعلة هذا الامر يعود الى ان السنة قد تأخر تدوينها رسميا عن القرآن الى عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز (رض) عندما كتب الاخير الى أبي بكر بن محمد بن حزم في المدينة المنورة طالبا منه النظر الى ما كان من حديث رسول الله او سنة او حديث او نحو هذا فليكتبه اليه (الى عمر) لانه خاف دروس العلم وذهاب العلماء ، ولكن عمر مالبث ان توفي قبل ان يتم هذا التدوين الرسمي [١٨] ..

---

(١٨) علوم الحديث ومصطلحه : الدكتور صبحي الصالح .

(١٧) بصدد شرح طرق الاسناد هذه اقول : ان الحديث المرسل : هو الذي يذكره التابعي منسوبا الى النبي (ص)من غير ان يذكر الصحابي الذي روى عنه ، وسيرد تعريف التابعي في فصل تفسير القرآن ..

اما الحديث المنقطع : فهو مالم يذكر فيه التابعي ولا الصحابي .

وحديث الاحاد : هو الذي ينقله ويرويه تابعي واحد عن صحابي واحد عن النبي (ص) ..

بينما الاحاديث المشهورة : هي التي تكون الطبقة الاولى او الثانية فيها

وهذا التأخير في الكتابة سبب شكوكا مضاعفة بين الاحاديث الصحيحة وغيرها كما والتحق بها ماليس منها ، فأجتهد الأئمة والفقهاء على غربلتها ونقد طرقها ومتونها واختلفت لذلك أنظارهم وآرائهم بين التصحيح والتضعيف والقبول والرد وهذا كله بعكس القرآن الذي جاء متواترا وبات فوق الشبهات وفوق الشك والريبة ..

والقرآن خامسا هو معجز لانه ما جاء الا معجزة لثبوت صحة دعوة ونبوة الرسول (ص) وذلك لان في طاقة ومكنة كل فرد ان يدعي النبوة او الرسالة [١٩] ـ كما جرى فعلا بعد وفاة الرسول (ص) او في العصور الاخيرة ـ ولكن ليس في قدرة وسلطان أي منهم ان يثبت هذه الدعوة او يدعم هذه الرسالة بشيء او بدليل يعجز او لايستطيع الآخرون الاتيان بمثله او نظيره او ابطاله ، هذا الا في حالة واحدة فقط وهو اذا ما كان المدعي مدعما بسند الاهي وتأييد رباني ، لان في طاقة الله تعالى وحده ان يمطر الدنيا بأنواع المعجزات والدلائل التي لايملك الانسان ازائها الا الانحناء والخضوع والاستسلام كارها أو راضيا ..

لذا جاء القرآن ليدعم موقف الرسول (ص) ويعزز مكانته ونبوته عن طريق فتح أبواب التحدي على مصاريعها بوجه الناس جميعا وطالبا منهم الاتيان بمثل هذا القرآن او بسورة من مثله فقط على الاقل ولو من قصار السور ..

ورغم ان أبواب التحدي كانت ولا زالت مفتوحة امام الجميع الا اننا

آحادا ثم تنتشر بعد ذلك وينقلها قوم لايتوهم تواطؤهم على الكذب * ..

* ابو حنيفة ـ محمد ابو زهرة .

(١٩) في التفريق بين النبوة والرسالة يراجع فصل « نزول القرآن » .

لم نسمع منذ اول الدعوة الاسلامية حتى هذه اللحظة من الزمن ، لم نسمع من تقدم خطوة جدية واحدة بأتجاه هذا الباب أو مجرد التفكير المحض في الاقتراب منها ، بالرغم من انتشار وسيطرة ملكة الخطابة والبيان واللغة على نفوس ابناء المجتمع العربي قديما وحديثا ..

هذا واذا ما كان هناك من أدعى النبوة في عهد الرسول (ص) او بعده فأن معجزاتهم المزعومة — ان وجدت — لاتتعدى ان تخرج عن هذيان محموم وأقوال مضطربة وكلمات جافة لاتقف على قدميها ولا تصل او ترقى حتى الى مستوى اوطأ الناس ثقافة وعلما وفهما ، كما سترى ذلك مفصلا في فصل اعجاز القرآن • •

ومن كل هذا نخلص الى القول بان معجزة القرآن كانت معجزة قاطعة وباتة تدل على صدق من جاء بها من عند الله تعالى ووضعها في ميدان التحدي والمبارزة • •

وهذا القول بدوره يقودنا الى أثبات ودلالة أن القرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة ، اما صحة النبوة فليست برهانا على اعجاز القرآن كما ان قليل القرآن وكثيره في شأن الاعجاز سواء كما مر قبل قليل •

والقرآن سادسا متعبد بتلاوته لانه كلام الله تعالى وليس كلام الله بمشابه لكلام الناس ، وقد دعانا الله سبحانه في مواضع عديدة فيه الى تلاوته وقرائته بامعان وتؤدة ليكون في المستطاع تدبر آياته وتأملها والاتعاظ بما ورد فيه من حوادث الايام الخالية والعمل بما جاء فيه من احكام وتعاليم وتشاريع والسير دوما على هدى نوره وسناه ، علما بأن تنفيذ وتحقيق كل ما مر ذكره سيؤدي بالمرء لأن يفوز برضاء الله وتأييده ، وما يتبع هذا الرضا من السعادة والنجاح والموفقية الذي يصيب هذا المرء في الدنيا والآخرة ..

لذا كانت تلاوة كتاب الله حسنة تسجل للفرد وعبادة تحسب في ميزان الصالحات فضلا عن ان الله تعالى لايقبل صلاة العبد او يثيبه عليها اذا كانت خالية من الآيات القرآنية • •

والقرآن سابعا وأخيرا هو خاتم الكتب السماوية لانه ليس بعد الرسول (ص) من رسول ولا نبي ولا بعد القرآن الكريم من كتاب او قرآن آخر ، وقد أشار الى هذا المعنى نفس القرآن بقوله تعالى « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما » (٣٠) •

هذا وان انهاء الله تعالى للكتب السماوية بالقرآن الكريم وما يترتب عليه هنا من بقاء مفعوله وحكمه ساريا الى آخر يوم في التاريخ تطلب هذا الامر بطبيعة الحال ان يضع الله سبحانه في القرآن ويضمنه بكافة التشريعات والانظمة والاحكام والاوامر والنواهي التي يستمر مفعولها وحكمها الى ذلك اليوم من التاريخ ـ كما سلف ذكره ـ وان يجعل فيها من المرونة والرحابة والسماح ما يجنبها في كل وقت ومكان من ان يشوبها شيء من الجمود او التخلف او التحجر كما سترى مصداقه في موضعه من هذا الكتاب ••

وبعد فهذه النقاط السبعة ـ التي مررنا عليها آنفا مرور الاقمار الصناعية في سماء الارض ستستوعب معظم هذا الكتاب ان لم يك كله وستنتشر على غالبية فصوله وسطوره • •

وقد حرصنا هنا على ألا يكون هذا الانتشار والتوزيع اعمى وبدون نظام أو اسلوب منظم ، وانما سنعطي كل موضوع وما يستحقه من شرح او ايجاز تبعا لاهميته ومكانته ، من أجل ان نكوّن لدى القراء الكرام فكرة

---

(٣٠) الاحزاب : ٤٠ •

جاهزة وناضجة عن القرآن وابحاثه ، هذا القرآن الذي ظل نبراسا يضيء للبشرية الطريق المعبد الموصل للنهضة والعمران والارتقاء ، هذا القرآن الذي دفع ومد حدود وسلطان المسلمين من شواطيء المحيط الاطلسي حتى جدار الصين العظيم ومسبغا على جموع المسلمين هؤلاء العدالة والحرية والعزة والكرامة ..

فلنبدأ رحلتنا اليه من الآن ، ولنشرع اولا بصفات القرآن واسمائه لانها اول المنازل والمراحل التي يجب ان نحط فيها في طريقنا ثم نعرج بعدها على المنازل الاخرى و بالتتابع انشاء الله ..

اسماء القرآن وصفاته

اختلف جمهور الفقهاء والمجتهدين بصدد لفظ القرآن وسبب تسميته بهذا الاسم الذي لم يك متداولا في الجاهلية كما ولم يسبق له وجود قبل نزوله ، وهل هو لفظ اصيل او مشتق ، وما اذا كان مهموزا « اي ان الهمزة في اصل اشتقاقه » او هو غير مهموز بالمرة ..

لقد ذهب كل هؤلاء الفقهاء والمجتهدين في البداية ودونما اي خلاف يذكر ما بينهم ، ذهبوا الى ان لفظ القرآن والذي جاء في نحو من سبعين آية قد وضعه الله سبحانه علما على كتابه المنزل مخالفا بذلك لما يسمي العرب كلامهم وأحاديثهم ، فقد سمي جملته قرآنا كما سمي العرب جملة كلامهم ديوانا وسمي بعضه سورة كقصيدة وسمي بعض السورة آية كالبيت وسمي آخر السورة فاصله كقافية [1] ..

بعد هذه البداية المتفق عليها بين الجميع تفرق الفقهاء بشأن الاجابة على التساؤلات الواردة اعلاه ، ويمكن حصر أقوالهم بصدد ذلك في رأيين اثنين :

١ ـ ان الغالبية العظمى من هؤلاء الفقهاء ومنهم الزجاج ينحون الى ان القرآن المعرف بـ آل ليس هو لفظا أصيلا وانما هو مشتق واشتقاقه هذا قد جاء من قرن الشيء اذا ضمه اليه وسمي القرآن بذلك لقران السور والآيات والحروف المتفرقة وضمها بعضها الى بعض ، وقيل أيضا ان اشتقاقه هذا جاء من القرائن لان آياته يصدق بعضها بعضا ويشابه بعضها للبعض الآخر فكأن بعضها قرينة على بعض ..

(١) الاتقان فى علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي.

وقال كثير من هؤلاء الفقهاء أيضا بأن لفظ القرآن مهموز وذلك لانه مشتق من القرء وهو الجمع وانما سمي الكلام المنزل على النبي قرآنا لانه جمع السور او جمع ثمرات الكتب المقدسة السالفة ، او انه مشتق من قرأ ومعناه تلا مثل الغفران المشتق من غفر ..

٢ — اما الاقلية عن هؤلاء الفقهاء ومنهم الشافعي فتذهب الى مخالفة زملائهم واخوانهم بصدد لفظ القرآن وملخص اقوال هذه الفئة هو ان لفظ القرآن غير مشتق بالمرة كما انه في نفس الوقت غير مهموز ولم يؤخذ من قراءة بل هو خاص بالكلام المنزل على الرسول (ص) مثل التوراة والانجيل والزبور ..

وعندي ان القول الاول هو المفضل لانه يلائم المنطق ويتفق والاستدلال الواقعي واللغوي ، ولذا اخذت به الغالبية العظمى من فقهاء المسلمين قديما وحديثا ..

وبعد هذا ننتقل بالقراء الكرام الى اسماء القرآن الكريم فأقول بأن الله سبحانه قد سمى القرآن باسماء كثيرة بلغت في العد عند البعض خمسة وخمسين اسما وغالبيتها صفات له ، اما الاسماء المجردة فهي حوالي النصف أي ٧٢ اسم [٢] منها القرآن والفرقان والكتاب والكلام والمثاني والبلاغ والذكر ... الخ .

وسنورد فيما يلي من اسطر شرحا خاطفا لبعض صفات القرآن واسمائه المشار اليها وعلل تسميته بهذه الصفات وهذه الاسماء ..

---

(٢) الاتقان فى علوم القرآن — جلال الدين السيوطي ، البرهان فى علوم القرآن — بدر الدين الزركشي .

يسمى القرآن اولا بالمصحف وسبب ذلك يعود الى انه لما جمع ابوبكر (رض) القرآن ـ الجمع الثاني ـ كما سيأتي بيانه حيث ضمت الصحاف الى بعضها وشدت بخيط واحد حتى لايضيع منها شيء قال لمن حوله : التمسوا له اسما نسميه به فقال بعض من حضر نسميه « ٱلسِّفْر » فأجابهم بأن هذا اسم متداول بين اليهود فتركه ، واقترح البعض تسميته بـ « الانجيــل » فتركه ايضا لنفس العلة السابقة وهو ان الاسم الاخير يطلق على كتاب النصارى وكان عبد الله بن مسعود احد الحاضرين فقال اثر ذلك : انه رأى في بلاد الحبشة ان سكانها يسمون مثله « المصحف » فاستحسن الاسم وقر الرأي على دعوته بـ « المصحف » ولازال القرآن يحمل هذا الاسم حتى الآن ، رغم ان هذا الاسم قد اريد به سابقا الصحف المجموعة [٣] ...

وانما لم تسمي هذه الصحاف المجموعة بالقرآن وذلك لان القرآن هو ما موجود بين الدفتين ، اما الصحاف المجموعة فاذا ما اطلق عليها لفظ القرآن كان اللفظ سيؤدي شبه المعنى وليس كل المعنى طالما ان كافة آيات القرآن مجموعة في محل واحد ولكن دون ان يجمعها الدفتين ، لذا فقد استخرج لها لفظ جديد هو المصحف ليمكن تمييزها عن القرآن الذي قد يجمع في يوم ما بين الدفتين ، وقد جمع بالفعل ..

والمراد بالمصحف العثماني هو مصحف عثمان بن عفان (رض) الذي أمر باستنساخه وتوزيعه (الجمع الثالث) كما سترى ذلك في محله ، وكان ذلك المصحف خاليا من النقط والحركات (الشكل) وارقام الايات والاحزاب والاجزاء ، حيث ان كل هذه قد وضعت فيما بعد وبمرور الزمن لتكون

---

(٣) تاريخ القرآن ـ محمد طاهر الكردي ، الاتقان فى علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطى .

القرآن الذي هو الآن في ايدي المسلمين ، وكان المصحف العثماني يسمى بـ « المصحف الامام » ايضا لسبب خاص سوف نورده في محله كما سنمر بعد ذلك على كيفية وضع النقط والحركات في المصحف المذكور ..

وبصدد تسميته بالكتاب فهذا يعود الى جمعه وكتابته في مكان واحد ، لان الكتابة جمع للحروف ورسم للالفاظ ، ولا يطلق الكتاب على المكتوب اذا كان مجزءا وغير مجتمع فضلا عن حفظه في الصدور ..

اما السبب الرئيس في تسميته ـ القرآن ـ بالاسم الاكثر شيوعا وتداولا وهو لفظ الكريم فيعود الى ان القرآن ينظم فيما ينظم الحياة الاقتصادية والمعاشية للناس عن طريق بيان مجالات التكسب والعمل المباحة والمحظورة فضلا عن الالتزامات والتكاليف المالية التي تلزم كل فئة من الناس ازاء الاخرى ..

فهذه التنظيمات والتشريعات التي حفلت بها سور القرآن لو أخذت كلها ونقلت الى ميادين التطبيق والعمل لنشأ بسببها مجتمع سعيد وصالح يخفق على جنباته لواء العدل والحق والمساواة ولساد اوساطه الشعبية روح التعاون والتضامن ولابتعد منه كل لون من الوان الاستغلال والاستعباد. فلو ان المرء ـ أي مرء ـ تمكن من عمل هذا الشيء سمي كريما فكذلك دعا الله كتابه بالكريم وهو لفظ طبيعي في مثل هذا المكان ..

اما سبب تسمية القرآن بالفرقان فيعود الى ان الكلمة مصدر من فعل فرق ، والفرقان هو ما يفصل بين الشيئين ، وسمي القرآن به لانه يفصل بين الحق والباطل ..

اما علة تسمية القرآن بالمجيد والعزيز ،فهو ان هذه الصفات مشتقة من المجد والعزة على التوالي ، وهذا وصف طبيعي وخليق بالقرآن ان يوصف

به اذا ماعلمنا بان القرآن كلام الله جعله اسمى الكتب السماوية منزلة واوفرها علما واعذبها نظما وفصاحة ، كما واودع فيه علم كل شيء وضمنه كل رطب ويابس « وكل صغير وكبير مستطر » [٤] ،« ولا رطب ولايابس الا في كتاب مبين » [٥] فضلا عن انه الحبل الذي يربط الارض بالسماء والنور الذي يضيء دياجير الخافقين ، لذا كان حقا ان يكون مجيدا وعزيزا بل فوقهما لو كان هناك فوق ...

اما لفظ المبين الذي يلحق بالقرآن مرارا فهو مأخوذ من البينة اوالبيان وذلك لان حجة القرآن بينة ودليله ساطع وجلي او هو يبين الحق من الباطل والرشاد من الغواية والضلال ..

اما لفظ الحكيم فجاء من الحكمة لان الحكمة والحكم من مادة واحدة كما يقول اللغويون ولما كان القرآن هو منبع الحكمة ومصدرها اليه يفزع الناس للاغتراف والاستزادة من فيض حكمته وبيانه ومنه تنحدر الوصايا والامثال والعظاة والقصص بات حكيما بل واعلى منه واسمى ..

وبصدد السور فأن معناها اللغوي هي المنزلة الرفيعة السامية وفي هذا المعنى نظم النابغة هذا البيت من الشعر :

الم تر ان الله اعطاك سورة   ترى كل ملك دونها يتذبذب [٦]

ومعنى قوله هذا هو ان الله سبحانه قد اعطاك منزلة سامية من منازل الشرف والكرامة ودرجة عالية من درجات الرفعة والسؤدد، قصرت عنها منازل ودرجات الملوك والسلاطين الاخرين ، وبلغه الثورة يقول الشاعر ان

---

(٤) القمر : ٥٣ .

(٥) الانعام : ٥٩ .

(٦) تاريخ التشريع الاسلامي ـ الشيخ محمد الخضري .

الاوحد الذي لامنازع لك والقائد الذي ليس لك نظير ولاشبيه...

وقيل في معنى السورة ايضا انها جاءت من سور البلدة وجدارهابسبب احاطتها بآياتها كأحاطة الجدار والسور بالمدينة ، وقيل كذلك انها مأخوذة من التسور وهو التصاعد والتركب بسبب ان تركيبها جاء بعضا على بعض..

وبصدد تعريف السورة فأنها قطعة من القرآن مستقلة تشمل آيات ذات فاتحة وخاتمة واقلها ثلاث آيات بالاضافة الى البسملة ..

والحكمة في تقطيع القرآن سورا هي الحكمة في تقطيع السور آيات معدودات حيث نرى لكل سورة خاتمة ومطلع حتى تكون كل واحدة منها بل كل آية فنا مستقلا وقرآنا معتبرا ، وقيل ايضا ان الحكمة من تسوير القرآن سورا هو تحقيق ودليل على كون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله [٧] ، وسورت السور طولا واوساطا وقصارا اشارة الى الطول ليس من شرط الاعجاز فضلا عن ان كل سورة لها نمط مستقل وبحث خاص ...

والسورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله واوله بآخره وانه لاغنى لمتفهم السورة ونظمها عن استيفاء النظر في جميعها كمالاغنى عن ذلك في اجزائها [٨]...

والسورة قد تكون ذات موضوع واحد تبحث عنه ولاتتعداه الى سواه مثل كثير من السور القصيرة كسورة اللهب والفيل وغيرها ، كما وقد تتناول السورة اغراضا عديدة مثل معظم السور في القرآن ولاسيما السور الطويلة، ولن ينتقل القرآن بين الاغراض المختلفة في السور الاخيرة اعتباطا او عفوا

---

(٧) الاتقان فى علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي .

(٨) النبا العظيم ـ الدكتور محمد عبد الله دراز .

وانما للصلات الوثيقة التي تربط بين هذه الاغراض ، بحيث تتضافر سائرها للوصول الى هدف السورة وحينما يستوفي الغرض الخاص تنتهي السورة ، فسورة التوبة تحدد علاقة المسلمين بالكفار والمشركين واهل الكتاب ،وسورة الاعراف تتجه الى الانذار والاتعاظ بقصص الاولين واخبارهم وسورة الشعراء تشير الى التخويف والارهاب وانذار قريش وبقية المشركين بينما سورة طه توشك ان تستغرق قصة موسى وكذلك سورة يوسف توشك ان تقتصر على يوسف واحواله ..

واسم السورة جاء توقيفا أي باشارة وتعليم من الرسول (ص)في اشهر الاقوال . كما وان الضابط والقاعدة العامة في تسمية السور القرآنية على ما يبدو من اسمائهاهو تسمية السورة بمطالعها او بكلمةبارزة فيها او باشتقاق كلمة او حادثة معينة واردة فيها كقصة او حكم او بما تحدثت عنه من حيوان او انسان ..

وقد يكون للسورة الواحدة اسم واحد فقط وعليه غالبية سور القرآن كما وقد يكون لها اسمان او اكثر ، فمن السور التي لها اكثر من اسم واحد هي :

١ ــ سورة الفاتحة وتسمى سورةالحمد وام الكتابوالسبع المثاني

٢ ــ سورة غافر وتسمى سورة المؤمن .

٣ ــ سورة تبارك وتسمى سورة الملك .

٤ ــ سورة عم وتسمى سورة النبأ .

٥ ــ سورة فصلت وتسمى سورة السجدة .

٦ ــ سورة براءة وتسمى سورة التوبة .

٧ — سورة الاسراء وتسمى سورة بني اسرائيل .
٨ — سورة فاطر وتسمى سورة الملائكـة .
٩ — سورة محمد وتسمى سورة القتـال .
١٠— سورةالفلق والناس وتسمى المعوذتان .
١١ — سورة البقرة وآل عمران وتسمى الزهراوان .

كما وهناك اسماء خاصة لآية واحدة او عدة آيات متتالية وقد تكون هذه الاسماء كما في السور على اشهر الاقوال توقيفية (بأمر من الرسول) أو غير توقيفية عن طريق تسميتها باسم كلمة بارزة او عبارة رئيسية موجودة في نفس الآية او الآيات المتتالية ، ومن امثـلة ذلك هي آية الكرسي في سورة البقرة وآية النجوى في سورة المجادلة وآية المباهلة في سـورة آل عمران واية التطهير في سورة الاحزاب وغير ذلك ..

امابشأن الآية فأن معناها هي العلامة والمعجزة ، وانمـا سميت بذلك لان كل آية هي دليل وعلامة على صحة النبوة ، فضلا عن ان اجتماع والتقاء عدة آيات تتكون منها معجزة قائمة بذاتها ويعجز الآخرون عن محاكاتها[٩].

اما في الاصطلاح فالآية هي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها

---

(٩) بصدد القدر المعجز من القرآن فقد قيل ان اقل ما يعجز عنه من القرآن هو السورة قصيرة كانت او طويلة كما جاء مصداق ذلك فى عدة آيات من القرآن منها قوله تعالى فى سورة البقرة الآية ٢٣ « قل فاتوا بسورة من مثله » وقوله فى سورة يونس الآية ٣٨ « قل فأتوا بسورة مثله » ..

وقال آخرون انه اذا كانت الآية او الآيات بقدر حروف سورة وان كانت كسورة الكوثر فذلك معجز ، بينما اشترط البعض كون هذه الآيات كبيرة ليقوم الاعجاز بها . .

وليس بينها شبه بما سواها ..

واطول آية في القرآن هي آية الدين وهي قوله تعالى « يـا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه ... والله بكل شيء عليم »(١٠) وتضم هذه الآية مائة وعشرون كلمة ..

واما الكلمة فهي اللفظة الواحدة وقد تكون من حرفين مثل « ما » و « لي » و « له » و « لك » وقـد تكون اكثر من ذلك ، واكثر ما تكون الكلمة في القرآن عشرة أحرف او احد عشر حرف مثل « ليستخلفنهم » و « انلزمكموها » و « فأسقيناكموه » و « اقترفتموها ».

وقد تكون الكلمة آيـة مثل « والفجر » و « والعصر » و « طـه » و « يس » و « حم » او قد تكون دونها كما سلف آنفا (١١)..

اما الفاصلة فهي تطلق على الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن كما وتطلق على رأس الآية ، ويقال انها جاءت من التفصيل وانما سميت بذلك لان بها يتم بيان المعنى ويزداد وضوحه جلاء وقوة ، كما قيل انها سميت بذلك لانه ينفصل عندها كلامان ، لان آخر الآية فصل بينها وبين ما بعـدها، والسر في عدم تسميتها اسجاعا يعود الى خلو القرآن من السجع ولان السجع نقص وعيب بينما الفواصل بلاغة وبيان ..

والفاصلة (١٢) تكمل معنى الاية ويتم بها النغم الموسيقي لها ، فهي اكثر ما تنتهي بالنون والميم وحروف المـد وهي كلها من الحروف الطبيعية في الموسيقى نفسها ...

---

(١٠) البقرة : ٢٨٢ .

(١١) البرهان فى علوم القرآن ـ بدور الدين الزركشي .

(١٢) البرهان فى علوم القرآن ـ بدر الدين الزركشي .

ويتعلق معنى الفاصلة بمعنى الاية كلها تعلقا كبيرا بحيث اننا لو ابعدناها لاختل المعنى واضطرب الفهم ، فهي تؤدي في محلها جزءا من معنى الايـة ينقص ويرتبك بطرحها واستبعادها وقد يتضاعف تمكن الفاصلة من مكانها حتى لتشير اليها قبل التفوه والنطق بها ..

وقد حفلت الكتب بامثلة ملموسة على صحة الفقرة الاخيرة مما لامجال لايرادها في هذا البحث الوجيز ...



أضواء على المجتمع العربي فى عصر النبوة

كانت غالبية الناس في الديار الحجازيةحين نزل القرآن على الرسول(ص) كانت امية وجاهلة ولا تجيد القراءة والكتابة ، وقد قلنا هنا الغالبية من اجل ان نخرج منهم فئات قليلة كانت تتقن القراءة والكتابة وهي في مجموعها تكون نسبة لايستهان بها عند الحساب ..

وسنتكلم فيما يمر من أسطر اولا عن مدى انتشار التعليم (القراءة والكتابة) في المدن الحجازية ثم نعرج بعد ذلك على شؤون واحوال المجتمع الاخرى فأقول :

بصدد نسبة المتعلمين عند بدء الوحي وعددهم ذهب معظم المؤرخين والرواة الى نفي وجود أي لون من الوان التعليم او وجوده ولكن بنسبة جد صغيرة حيث لا يتجاوز عدد المتعلمين عن عدد اصابع اليد الواحدة في كل بلد من بلدان الحجاز وحواضره ..

اما القلة من المؤرخين والرواة فتنحو الى ان هناك فئات قليلة من المتعلمين وبنسب لايمكن تجاهلها في المدن الحجازية [١]، وهي لم تطلق قولها هذا جزافا او تلقيه على عواهنه وانما تورد ادلة واثباتات تؤكده وتدعمه جملة وتفصيلا ..

واني اذا ضم صوتي الى هذه الفئة القليلة لاورد ادناه وبتصرف كافة اوغالبية ما سجلته في بطون الكتب في تأييد رأيها وتعزيز قولها وهي

---

(١) القرآن المجيد ــ محمد عزة دروزة .

ان البيئة الحجازية ولاسيما مكة والمدينة كانت بيئة تجارية قبل كل شيء (كما اشار اليها القرآن الكريم في سورة قريش) وكانت هذه البيئة بحكم عملها وطبيعتها على اتصال وثيق ومستمر مع البلاد المجاورة وهي الشام واليمن والعراق والتي كانت على جانب لابأس به من العلم والثقافة..

وكانت البيئة الحجازية ايضا تضم فئات وجاليات كتابية مسيحية ويهوديةاصيلة ونازحة من البلاد المجاورة والتي كانت تتداول مابينها الكتب الدينية وغير الدينية قراءة وكتابة ..

فلا يتصور في كل هذه الحالات ان يبقى العرب في مكة والمدينة جامدين وغافلين عن اقتباس اصول القراءة والكتابة من هؤلاء لاستعمالهافي معاملاتهم اليومية وحياتهم التجارية والتي لايمكن تصور قيامها بدون كتابة او تدوين ، ولاستعمالها ايضا في تسجيل معلقاتهم وشعرهم وايامهم التي ملئت الخافقين وتحدث بها الركبان وسمعها القاصي والداني ..

هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فان في القرآن العزيز آيات عديدة تشيد بفضل العلم ومنزلة العلماء ودرجتهم وتطلب من الناس تسجيل كافة المعاملات والتصرفات وكتابتها نقدا أو دينا صغيرة او كبيرة ، فكيف تطلب هذه الآيات من الناس تحقيق كل ذلك دون وجود قسم من المتعلمين في صفوفهم يكتبون ويدونون عن انفسهم أو عن الاخرين[٢] .

هذا بالاضافة الى ان كتبة الوحي بين يدي الرسول (ص) بلغ عددهم أكثر من اربعين رجلا — كما سترى بعد قليل — وان كثيرا منهم كانوا مكيين وهمالذين كتبوا القسم المكي من القرآن قبل هجرته (ص)الى المدينة ، وهذا دليل على وجود المتعلمين في مكة وان كانوا قليلين سواء ممن كتب الوحي من هؤلاء وممن لم يسلم بعد ..

---

(٢) القرآن المجيد — محمد عزة دروزة .

كما ان الاسرى الفقراء من قريش الذين وقعوا في قبضة المسلمين في معركة بدر الكبرى عام ٢ للهجرة ، والذين لم يستطيعوا ان يقدموا فديــة نقدية لاطلاق سراحهم كلف كل واحد منهم ممن يجيد القراءة والكتابة تعليم عشرة من اطفال المسلمين في المدينة القراءة والكتابة لقاء اطلاق سراحهم[٣]، ويحدثنا التاريخ ان كثيرين منهم قاموا بما كلفوا به من تعليم الاطفــال في المدينة واصبحوا بعدها احرارا عادوا الى مكة ، كما واسلم بعضهم بعدمـا لمسوا عدالة الاسلام وسماحته ، فكيف يعقل هنا ان يجيد قسم من الفقراء ومعدمي القرشيين القراءة والكتابة ولا يتقنها اغنياؤهم وتجارهم واربــاب السلطة والسلطان منهم •

لذا فنرى جازمين مما تقدم ان التعليم كان منتشرا عند بدء الرسالة في المدن الحجازية بأكثر مما يسجله معظم المؤرخين والرواة في كتبهم ورواياتهم ، وان نسبتهم هناك وان كانت قليلة بالقياس الى عموم الناس ، الا انها لا يستهان بها وانها قد لا تكون بأقل من نسبة المتعلمين في هذا العصر في بعض البلدان الافريقية الاستوائية ••

هذا وان زيادة وكثرة نسبة المتعلمين بين الناس عند بعثة الرسول (ص) كما ذهبنا آنفا عما سجله غالبية المؤرخـين لا يمكن ان يحمل غير محملـه فيتصور بأن هذا يخفف أو يصطدم أو يقلل من معجزة الاسلام الخالــدة ــ القرآن ــ أو مع أي اصــل أو فرع ديني آخر ، بــل ان العكس هو الصحيح ، حيث ارى جازما بأن وجود هذه الفئة القليلة من المتعلمين عنــد نزول القرآن على الرسول (ص) ليعزز ويشد في ازر وروعــة وقوة هــذه المعجزة التي تحدت القوم وجابهتهم في الميدان الذي يصولون فيه ويجولون

---

(٣) يمكننا هنا اعتبار قيام هؤلاء الاسرى بتعليم المسلمين الاميين اول مدرسة فى العصر الاسلامي ان صح تسميتها مدرسة .

وفي السلاح الذي يحملونه في ايديهم ..

بل اضيف الى هذا فأقول بانه لو لم يكن هناك في البيئة الحجازية أي متعلم يذكر أو كان ولكن بقدر أصابع اليد الواحدة كما يقال ، لكان وقع معجزة القرآن واثرها على نفوس الناس أقل وادنى مما لو كان اعداد المتعلمين كبيرة ونسبتهم العددية عالية ..

أما بصدد اجادة الرسول (ص) نفسه للقراءة والكتابة ، فقد ذهبت الغالبية العظمى من المؤرخين القدامى والمعاصرين من مختلف المذاهب والمدارس الى ان النبي (ص) كان لا يعرف ان يقرأ ولا يعرف ان يكتب ولم يدخل مدرسة ولم يمارس تعلما[٤] ، واني اذ اضم صوتي الى اصواتهم لاورد ادناه بعض النقاط والملاحظات المتعلقة باثبات هذا الشيء ودعمه فأقول :

ان النبي (ص) كان اميا بسبب اتخاذه بعد بعثته كتابا للوحي يسجلون عنه كل ما اوحي اليه كما سيرد تفصيل ذلك في فصل قادم ، كما ولم نسمع بأن الرسول (ص) كتب شيئا او دوّن رسالة طيلة حياته ، بل ان هذا العمل كان موكولا الى الكتاب الذين كانوا يدونون كلما يطلب منهم الرسول (ص) ويوشحه بعد ذلك بختمه (مهره) اذا كانت رسالة موجهة الى جهة خاصة او خطابا لفئة معينة اخرى .

كما ونروي هنا قصة طريفة يتداولها المؤرخون في بطون كتبهم تخص نفس الموضوع الذي نخوض به الان وملخصها هو ان العباس بن عبد المطلب عم النبي (ص) وهو بمكة كان قد كتب الى النبي (ص) كتابا يخبره فيه بتجمع فئات قريش وخروجهم (لمعركة احد) ، وان العباس كان قد ارسل هذا

---

(٤) المعجزة الخالدة — السيد هبة الدين الشهرستاني، اعجاز القرآن — أبو بكر الباقلاني ، تاريخ القرآن — ابراهيم الابياري ، تفسير شبر — السيد عبدالله شبر .

الكتاب بصحبة فتى من غفار ، وان النبي (ص) حين جاءه الغفاري بكتاب العباس استدعى ابي بن كعب — وكان احد كتابه — ودفع اليه الكتاب ليقرؤه عليه وحين فرغ — ابيّ — من قراءة الكتاب استكتمه النبي ، ولو كان النبي (ص) غير امي لكفى نفسه مؤونة دعوة ابي لقراءة كتاب العباس ولقرأه بنفسه(٥) ..

هذا ولا يمكن ان يتصور هنا وبحال من الاحوال ان الاميةهي منقصة بالنبي (ص) أو اساءة له ، بل هي في الحقيقة مأثرة عظمى ووجه اعجاز له، فالقرآن من وجوه اعجازه والاعجاب به صدوره من قبل النبي الامي ربيب البادية البعيد عن حظائر الفنون النائي عن حواضر الحكماء ومحاضر العلماء(٦) ..

ولو كان النبي (ص) غير امي — جدلا — فلربما ستثور بوجهم التقولات والاراجيف بان القرآن أو بعضه من صنع يده وان كافة ما ورد فيه من قصص الماضين واحوال الغابرين هي مما تعلمها وسجلها واخذها من اليهود والمسيحيين في خلال سفراته العديدة الى ديار الشام والى المدينة قبل ان يبعثه الله الى العالمين رسولا ونبيا ..

لذا جاء حكم الله تعالى الصارم في القرآن بنفي اجادة الرسول (ص) للقراءة والكتابة من أجل ان يقطع الطريق على كل ما قد يتصور أو يحتمل ان يثار بشأن القرآن ونسبته الى غير منزله وهو قوله تعالى « وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون »(٧) .

هذا وان في وسع أي شخص في عصر النبي (ص) ان يتعلم القراءة

---

(٥) تاريخ القرآن — ابراهيم الابياري .

(٦) المعجزة الخالدة — السيد هبة الدين الشهرستاني .

(٧) العنكبوت : ٤٨ .

والكتابة في بحر فترة قصيرة من الزمن ، وكان من باب اولى في مكنةالرسول ان يتقنها في أقل فترة ممكنة اذا رغب في ذلك ، ولكن الله سبحانه آثر له البقاء بعيدا عن عالم القراءة والكتابة ليكون وقع معجزة القرآن على الناس شديدا واثرها عليهم عميقا وعظيما فضلا عن سحق كافة التقولات التي قد تثار بشأن مصدر القرآن ٠

ورغم كل ما مر ذكره نجد هناك افرادا قلائل جدا قالوا بخلاف ما ذهبنا اليه آنفا وهو ان النبي كان يقرأ ويكتب لان الامية ـ في نظرهم ـ غير خليقة به (ص) بل هي نقص ، كما وقاموا بتأويل الآيات الكريمة الواردة بشأن أمية الرسول تأويلا يتفق مع وجهة نظرهم وأقوالهمومشيرين ايضا الى ما حصل له (ص) عند عقد صلح الحديبية من ملاحظته لاحدى جمل العقد المبرم بين المسلمين والقرشيين ٠٠

وكل ما يمكننا ان نقوله هنا اضافة لاقوالنا السابقة هو ان الامية في حقه (ص) كمال ومفخرة وفي حق غيره نقص وضعف ٠٠

كما ولم نعدم كذلك فئة ثالثة برزت بين الاثنين حاولت التوفيق بين القولين المتضاربين بصدد عدم اجادة الرسول (ص) للقراءة والكتابة أو اجادته لها فقالت : ان النبي (ص) كان حقا اميا لا يقرأ ولا يكتب ولكن في مكنته واستطاعته ان يقرأ ويكتب متى اراد وحين يشاء أو بقول قريب آخر من هذا هو ان النبي (ص) كان يعرف ان يقرأ ويكتب ولكنه لم يباشر ذلك ابدا طيلة حياته ٠٠

وليس لدينا ما نقوله هنا غير الرجوع الى ادلة وحجج رأينا الاول بصدد أمية الرسول (ص) وهو الرأي الذي يتفق مع المنطق والمتجاوب مع الواقع والمعنى الظاهر للايات القرآنية بهذا الصدد وهو الذي تأيده غالبية المسلمين من مختلف المذاهب والنحل ٠٠

واما بصدد ما ورد في القرآن الكريم من وصف للنبي بالأمي او بعثه في الاميين فهو يعود اما الى ان النبي (ص) كان اميا ـ كما ذهبنا اليه آنفا ـ واما الى ان الغالبية العظمى من أهل مكة كانوا اميين فنسب النبي اليهم ، أو الى ان مكة كانت أم القرى فنسب النبي لها ، كما وقد يراد بالامي ما يقابل أهل الكتاب الذين يحوزون الكتب المقدسة ويعرفونها ، فالرسول (ص) لم يكن له علم بهذه الكتب المقدسة ولم يتلق منها وانما جاءه العلم من الله تعالى عن طريق الوحي ..

ولفظ الامي في اللغة اصله المنسوب لامه واريد به من لا يقرأ من كتاب ولا يكتب لانه كيوم ولدته امه[٨] ..

نكتفي الان بهذا القدر من الكلام بصدد التعليم لننتقل بالقارىء الكريم الى الاحوال والشؤون الاخرى للمجتمع العربي الحجازي عند بدء الرسالة فنشير الى ان الحالة التي كانت سائدة عند العرب في عصر النبوة لا يمكن ان نعتبرها حالة بسيطة وساذجة ، فلم يك في الحقيقة فطريا ساذجا سوى احوال البدو في الصحراء ، حيث ان ارتباط كل من مكة والمدينة بسوريا الرومانية والعراق الساساني وباليمن وباليهود في اطراف المدينة وفي قلب المدينة نفسها جعلتهما متأثرين بالقانون الروماني والقانون الساساني الفارسي والقانون اليهودي فيما كان معمولا به في المعاملات المدنية في البلدين فضلا عن تأثرهم ببعض العادات والطبائع الاخرى[٩] .

كما وكان هناك في كل من مكة والمدينة بعض النظم الاجتماعية التي تعود الى النظام العربي الخالص والنظام القبلي القح وهي الانظمة المتعلقة

---

(٨) المصحف الميسر : الشيخ عبد الجليل عيسى .

(٩) نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ـ للدكتور علي حسن عبد القادر .

بالاسرة والمواريث والعهود والجنايات والقصاص فضلا عن القواعد التي كانت تطبق على العقود وبعض اشكال معينة للشركات والمعاملات المالية والزراعية (في المدينة) ، وكل هذه كانت تنمو وتزدهر وتتطور بالعلاقات التجارية التي كانت تغذيها وتنعشها الاشهر الحرم والاسواق الكبرى ورحلات الشتاء والصيف[١٠] ..

والى جانب كل هذه كانت هناك ايضا عادات وتقاليد ظالمة وجائرة لا تتلاءم مع ابسط قواعد العدل والانصاف ولا تتفق مع ادنى حقوق الانسان وهذه وان لم تكن شائعة بين صفوف كافة القبائل والمدن الا انها كانت منتشرة بين بعض امهات هذه القبائل ومن هذه التقاليد الباليةهو الربا ووأد البنات وتمليكها كجزء من الثروة واشعال نيران الحرب لسبب بسيط او بدون سبب كحرب الفجار وداحس والغبراء والبسوس ، بالاضافة الى انتشار عبادة الاوثان والاصنام[١١] بين كثرتهم الكاثرة الا بعض الافراد ممن يدعى بالحنفاء وقد كانوا يعبدون الله دون غيره ..

هذه هي حالة المجتمع العربي وتاريخه موجزا عند نزول الوحي وبدء الدعوة الاسلامية الزاهرة ..

فكيف يا ترى سيكون وقع صوت الوحي ونداء الدعوة على مسامع افراد هذا المجتمع واثره على عقولهم وافكارهم ..

هذا ما سنعرفه في الفصل التالي وفصول لاحقة اخرى ..

---

(١٠) نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ــ للدكتور علي حسن عبد القادر .

(١١) قيل في التفريق بين الاصنام والاوثان ان الصنم هو ما عمل من خشب او ذهب او فضة على صورة انسان ، واذا عمل هذا من حجارة فهو وثن . .

وهناك من لايفرق بينهما فيقول انه اذا كان ما يعبد حجرا على غير صورة فهو نصب وان كان تمثالا سمي صنما ووثنا . .

نزول القرآن

نزل القرآن الكريم على الرسول (ص) نجوما «منجما» في مدة ٢٣ سنة استنادا على بقاء واقامة الرسول (ص) في مكة قبل البعثة مدة ١٣ سنة[١] واقامته بالمدينة ١٠ سنوات ..

وقيل نزل في أقل من ذلك وفي مدة ٢٢ سنة و ٦ اشهر و ٢٢ يوم[٢] .

وكان اول ما نزل من القرآن هو دعوته سبحانه وتعالى لرسوله وللناس جميعا للقراءة والتعلم وتذكيرهم بخلقتهم الاولى واصل نشأتهم فضلا عن الاشارة الى وحدانيته وفضله على عموم الناس بقوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »[٣] .

وقد كان نزول هذه الآيات في يوم الاثنين ١٧ رمضان للسنة ٤٠ من ميلاد الرسول (ص) المصادف ١ شباط أو ٦ آب من سنة ٦١٠ ميلادية ، وفي غار حراء في اعلى جبل النور الذي يقع على بعد ٥ كيلومترات من مكة وموقعه على يسار الذاهب الى منى وعرفات من مكة والذي كان الرسول (ص) يتعبد فيه ويخلو به قبل ان يبعثه الله بالرسالة ويصطفيه للنبوة ..

كانت ساعة الصفر في الثورة الاسلامية قد دقت عندما دوى جنبات غار حراء صوت عالي متسم بالوضوح والجلاء وقاضيا على سكون الغار وصمته

---

(١) وفى هذا المعنى قال الشاعر :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

(٢) الاتقان فى علوم القرآن — جلال الدين السيوطي .

(٣) العلق : او ما بعدها .

مخاطبا الرسول (ص) بـ اقرأ فيجيبه ما انا بقاريء ..؟ وهكذا يتـكرر الخطاب ثلاثا حتى يعود الصوت اخيرا لينشد البيان الاول لقيام الثورة وهو « اقرأ باسم ربك الذي خلق ... » فما كان من الرسول (ص) الا ان يردد في تؤدة وهدوء وسكون هذه الالفاظ التي سمعها لتوه مرة ومرةومرات بعد ان يكون الطارق الجديد قد انهى مهمته الاولى وانصرف خارجا ..

وما هي الا لحظات حتى يغادر الرسول (ص) الغار مسرعا تلقاء داره ليخفف عن كاهله وطأة هذا الحدث الجديد وليجد فيه من يفسر له حقيقـة ما رآه وسمعه آنفا ، حتى اذا كان في وسط الجبل واذا به (ص) يسـمع من السماء صوتا مماثلا للاول يقول له « يا محمد انت رسول الله الى الناس كافة وانا الامين جبريل » وينقطع الصوت ويغيب الوحي ليخيم على جنبات الجبل صمت كصمت القبور ..

فعرف الرسول (ص) ان الامر جدي وانه امسى رسـولا الى الناس جميعا وان عليه الآن ان يشرع في انجاز المهمة الموكل بها ، وان كل ما سمعه آنفا لم يك من خيالات النفس ولا اوهام اليقظة وانما هي الحقيقة الواضحة والواقع الجلي وضوح الشمس وجلاء النور لذي عينين ..

جاء النبي (ص) الى داره من اقصر الطرق من دون ان يعرج على احد او يمر على آخر ، وحال وصوله الى الدار نراه يلقي بنفسه الى حجر خديجة بنت خويلد طالبا منها ان تدثره في الحال ، فما عنمت هذه المجاهدة وهذه الزوجة البارة ان لمست من زوجها (ص) وعلى خلاف العادة وضعا جـديدا وطورا غريبا لم يسبق لها ان وجدته فيه من قبل ، فقادها تفكيرهـا الى ان شيئا أو حدثا قد حصل لزوجها في هذا اليوم ، ولكن ما هو هذا الشيء وما هذا الحدث ، لا احد يعرف حقيقته من الناس عدا زوجها نفسه ..

لذا استجمعت قواها وصممت على معرفة واقع الحال فسألته (ص) بعد

حين عن حقيقة الامر وهل ألم به حادث مهم أو اصابه طاريء جـديد في سحابة يومه هـذا ..

ولكنه (ص) طلب منها التريث قليلا وبعد ذلك قص عليها حقيقة الوحى وواقع الرسالة وكل ما شاهده وسمعه في مطلع هذا اليوم .

وبعد صمت مطبق خيم على ارجاء الغرفة فاذا بها تجيبه بكلام يطمئن قلبه ونفسه ويبعث فيهما القوة والعزيمة والمضاء قائلة « كلا والله ما يخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ، فابشر يا ابن العم وأثبت فولذي نفس خديجـة بيده اني لارجو ان تكون نبي هذه الامة » .

فكانت ــ رحمها الله ــ اول مسلمة في الاسلام كما وكان إمام الهدى علي بن ابي طالب ــ عليه السلام ــ أول مسلم فيه ..

لم يهدأ روع خديجة بعد كل الذي سمعتهمن زوجها ولم يقر لها قرار، بل انطلقت مسرعة تلقاء دارها الاولى حيث يقيم فيه قريبها ورقة بن نوفل ابن عبد العزى (٤) فاخبرته بالقصة كاملة وهي آملة ان تسمع منه شيئا يسرها ويضاعف يقينها ويقوي فيعزيمة زوجها محمد (ص) ويشد في أزره وتصميمه على اداء الرسالة الجديدة ..

فما يكاد ورقة يسمع آخر قولها حتى انتفض واقفا على قدميه وكأنه قد وجد شيئا طالما كان ينتظره ويبحث عنه ، أجل وقف ورقة وقال لقريبته

---

٤) ورقة بن نوفل ينتسب الى قريش وهو حكيم جاهلي ، اعتزل الاوثان قبل الاسلام وقرا كتب الاديان واطلع على ما ورد فيها بصدد النبي الموعود والرسول المنتظر ، وكان يكتب اللغة العربية بالحروف اللاتينية ، ادرك عصر النبوة ولم يدرك الدعوة ، وهناك من المؤمنين من يعده من الصحابة وله شعر جميل سلك مسلك الحكماء ، توفى ــ رحمه الله ــ نحو ١٢ قبل الهجرة ..

خديجة قولته المشهورة المأثورة وهي[٥] « لئن كنت قد صدقتيني يا خديجة فيما قلتيه لي ــ وما اظنك واحسبك الا صادقة ــ فقد جاء زوجك امين الوحي الذي اتى موسى من قبل وانه لنبي هذه الامة ، فقولي لــه فليثبت فانه ذائق من قومه ما ذاقه اخوانه موسى وعيسى من قبله ، فطوبى لمن يؤمن به ومن يصدقه » ..

عادت خديجة بعد كل الذي سمعته الى زوجها مسرعة من اجل أن تروي له جواب قريبها ورقة علّ هذا الجواب يخفف من وقع الوحي على زوجها ويضاعف عزيمته وارادته ، فحكت له الجواب كاملا ، فما كان من الرسول (ص) الا ان حمد الله ربه وشكره طويلا على ما اصفاه للرسالة وآثره بتبليغها ونشرها بين الناس رغم ما ينتظر ان يلاقي في سبيلها من عقبات ومكاره ومتاعب كما ورد على لسان قريب زوجته ورقة بين نوفل ..

هذا وان الوحي الذي جاء الى الرسول (ص) انقطع عن النزول عليه مدة ٤٠ يوم أو ثلاث سنوات يقول آخر وهي الفترة المسماة بـ «فترة انقطاع الوحي» وهي الفترة والمدة التي كانت الدعوة في خلالها تلتزم جانب السرية التامة ، ولم تصل اخبارها وانباؤها الى قريش بعد ، لذا لم تلق هذه الدعوة أية معارضة أو مقاومة تذكر من طواغيت قريش وطغاتها ..

ثم يعود الوحي بعد مضي هذه الفترة « وهي ثلاثة سنوات على اصح الاقوال » ليستأنف نزوله كرة اخرى لينقل الى الرسول الاكرم (ص) قوله تعالى « يا ايها المدثر ، قم فانذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر »[٦] ..

وعند نزول هذه الآيات المعلنة عن علنية الدعوة يذهب الرسول (ص)

---

(٥) القرآن ــ محمد صبيح .

(٦) المدثر : ١ وما بعدها .

الى جبل الصفا بمكة ويقف عليه ويهتف بأعلى صوته : يا معشر قريش أرأيتم لو اخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل تريد ان تغير عليكم أكنتم تصدقوني؟ فأجابت قريش التي اجتمعت من كل جانب بعد سماعها لهذا النداء اجابت : نعم انت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط .. فقال النبي (ص) : اذن فاسمعوا اني نذير لكم بين عذاب شديد ، ان الله امرني ان انذركم وعشيرتي الاقربين واني لا املك من الدنيا منفعة ولا من الاخرة الا ان تقولوا لا اله الا الله ...

فأجاب من بينهم ابو لهب غاضبا : الهذا جمعتنا تبا لك هذا اليوم ، تفرقوا ايها الناس عن هذا الضال ولا تعيروا لقوله اذنا واعية ..

فقال الرسول (ص) : ما اعلم انسانا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، لقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد امرني ربي ان ادعوكم اليه فأيكم مؤازري على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم.؟

وسكت الجميع ثم ضحكوا ساخرين بينما نهض من بينهم الامام علي عليه السلام وقال : انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه وحرب على من حاربت وسلم لمن سالمت ، فقال الرسول (ص) بعد ان اخذ برقبة الامام علي ـ ع ـ : هذا اخي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا[٧] ..

وبعد هذه الواقعة اخذت الآيات الكريمة تأخذ طريقها تباعا الى صدر النبي (ص) دونما انقطاع أو تأخير ، حيث مضى عهد سرية الدعوة وغدت لذلك علنية ، واخذ افراد المسلمين يزدادون ويتضاعفون شيئا فشيئا ، في نفس الوقت الذي اخذت مقاومة قريش وعدوانها هو الآخر يزداد وينمو من أجل الحد من اندفاع حركة الدين الجديد وايقاف زخم تقدمها وبالتالي القضاء عليها في مهدها ..

---

(٧) حياة محمد ـ الدكتور محمد حسين هيكل .

ولكن حكم الله تعالى وارادته قد تقررت وهو ان يكون النصر والفلاح لهذا الدين الجديد والمبدأ القويم ، وان تكون جهود ومساعي اعــدائه من القرشيين ومن لف لفهم الى بوار وفشل وان يحيق بها الخسران والفنــاء المحقــق .

اما آخر ما نزل من القرآن الكريم فهو قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا »[٨] .

وقد نزلت هذه الآية في غدير خم بين مكة والمدينة بعد الخطبة الشهيرة التي القاها الرسول (ص) على جموع المسلمين حين الفراغ من حجة الوداع عام ١٠ هجرية وقبل ان يتفرق هؤلاء المسلمين وينطلقوا الى امصارهم وديارهم وهي الخطبة المسماة بـ «خطبة الوداع» حيث احاط الرسول (ص) المسلمين علما بأحكام دينهم وامور دنياهم فخوفهم من عذاب الله ورغبتهم في رضوانه وعبّد لهم السبيل الموصل للوحدة والحرية والعدالة الاجتماعية ، وحذرهم من ارتياد سلوك الطرق والسبل المفضية الى الخلاف والشقاق والنزاع فضلا عن التأكيد بلزوم التمسك بالثقلين كتاب الله وعترته الطاهرة ، وقد حرص (ص) بعد كل امر او نهي فيها ان يردد جملته الخالدة « ألا هل بلغت اللهم اشهد »[٩] .

وقد كان وقت القاء هذه الخطبة على وجه الحصر هو في ١٨ ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة ، وقد كان عمره الشريف (ص) حينئذ ٦٣ سنة ، وقبل ارتحاله لجوار ربه بفترة قصيرة ...

كما وقيل هنا ايضا ان آخر ما نزل من القرآن هو قوله تعالى « واتقوا

---

(٨) المائدة : ٣ .

(٩) الغدير فى الكتاب والسنة ـ الشيخ عبد الحسين الاميني .

يوما ترجعون فيه الى الله »[١٠] كما وقيل ايضا ان آخر ما نزل هو قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين »[١١] وقيل كذلك هو قوله تعالى « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة »[١٢] .

هذا ما كان من امر نزول آخر آية من القرآن ، اما بشأن آخر سورة كاملة نزلت على الرسول (ص) فقد قيل هي سورة « اذا جاء نصر الله والفتح »[١٣] وقال آخرون هي سورة المائدة ، وقال غيرهم بل هي سورة براءة ، كما وقد قال قوم انها سورة الانعام والتي قيل بصددها انه قد شيعها سبعون الف ملك حتى نزلت على الرسول (ص) ..

أشرنا في مطلع هذا الفصل الى ان القرآن نزل نجوما أي متفرقا ودفعة دفعة ، فكيف يمكن ياترى ان نوفق بين ذلك القول وبين ما جاء بقوله تعالى « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هـدى للناس وبينات من الهـدى والفرقان »[١٤] وقوله سبحانه « انا انزلناه في ليلة القدر »[١٥] ..

ان الجواب على هذا التساؤل هو ان المقصود من الآيات الكريمة المتقدمة الذكر هو ان الله سبحانه كان قد انزل القرآن جملة واحدة وفي ليلة القدر من شهر رمضان المبارك انزله من اللوح المحفوظ الى بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم نزلت الآيات من المكان الاخير تباعا ومتفرقة على صدر الرسول (ص) وبحسب الحاجة والطلب وطيلة مدة بعثته (ص) وبالكيفية

---

(١٠) البقرة : ٢٨١ .
(١١) البقرة : ٢٧٨ .
(١٢) النساء : ١٧٦ .
(١٣) البرهان في تفسير القرآن ـ السيد هاشم البحراني .
(١٤) البقرة : ١٨٥ .
(١٥) القدر : ١

التي سنشير اليها في الاسطر التالية ٠٠ .

قلنا آنفاو نكرره هنا باسهاب بان القرآن الكريم لم ينزل على الرسول (ص) من السماء الدنيا جملة واحدة ودفعة واحدة لانه لو فرضنا جدلا انه نزل على هذا الشكل (جملة واحدة) لتحول عاجلا الى كلمة مقدسة ساكنة وفكرة هادئة ومجرد وثيقة دينية ، وليس مصدر وسبب لبعث الامل والحياة في الفكرة االناشئة والدعوة الجديدة ٠٠

أجل لم ينزل القرآن جملة واحدة على صدر الرسول (ص) وانما نزوله هذا كان متفرقا ودفعة دفعة لاسباب عديدة سنشير اليها بالتعاقب منها تسهيل حفظ القرآن وليكون أقرب للفهم والقبول ، وكان نزوله نجوما حسب مقتضيات حوادث المجتمع الاسلامي ، لذا سميت هذه الحوادث باسباب النزول [١٦] نحو جواب على بعض الاسئلة والاستفسارات التي يسأل عنها الرسول الامين او بيان لانواع التكاليف الدينيـــة والاخبار عن الحوادث والاحداث السابقة او الاشعار عن المغيبات والوقائع القادمة ، مضاف الى ذلك ان نزوله كان يراعى فيه الحاجات المتجددة ووفق النمو المطرد في الافكار والتصورات والنمو المطرد في المجتمع والحياة ووفق المشكلات العملية التي تواجهها الجماعة المسلمة في حياتها الواقعية ٠٠ [١٧] فضلا عن أن نزوله بهذا الطريق كان يبتغي منه العزاء العاجل لكل ألم او مصيبة تلم بالرسول وآلـه واصحابه ، والجزاء لكل تضحية والامل لكل هزيمة والدرس لـكل نصر والجهد لكل عقبة وأسباب التشجيع لكل خطر او عقبة ٠٠

ونشير هنا الى ان قليلا ما كانت تنزل الاحكام مبتدئة بغير سؤال من أحد المسلمين ، اما الاحكام التي انزلت بدون حادث او سؤال فهي آيات

(١٦) تاريخ التشريع الاسلامي — الشيخ محمد الخضري .

(١٧) معالم فى الطريق — سيد قطب .

تقل كثيرا جدا عما جاء اجابات على أسئلة متصلة بأحداث معينة ..

هذا ولولا ان الحكمة الالهية والرغبة الربانية آثرت نزول القرآن الى الارض منجما بحسب الوقائع والمناسبات لاهبطة الله على الرسول (ص) جملة واحدة كأغلب الكتب الدينية المنزلة من قبل ، ولكن الله تعالى اختص وميز القرآن عنها فجعل له الحسنيين في أنزاله جملة واحدة الى سماء الدنيا ثم انزاله من الاخيرة الى الارض مفرقا ، وكل ذلك تشريفا وتكريما منه تعالى للمنزل عليه والمنزل به .

ويمكننا بعد كل هذا من أجمال وحصر كافة الاسباب الحقيقة فيِ نزول القرآن منجما على الرسول (ص) في نقاط معدودة ليتاح للقراء حفظها عند اللزوم وهذه الاسباب هي :

١ ــ ان نزول القرآن منجما هو من أجل ان يقوى قلب الرسول (ص) عند محاجة قومه وتحديهم بأن يأتوا بمثله ، لان الوحي اذا كان يتجدد في كـل حادثة وفي كـل واقعة كان أقوى واثبت للقلب وأشد عنايـة ورعاية بالمرسل اليه ..

٢ ــ ان نزوله مفرقا وشيئا فشيئا هو أقرب واسهل للحفظ والاستظهار والتدوين فيما اذا هبط جملة واحدة ..

٣ ــ آثر الله سبحانه ان يكون هناك ناسخ ومنسوخ ولا يمكن ان يتصور وجود وحصول هذا الشيء بدون ان ينزل القرآن متفرقا ..

٤ ــ تطلبت الحكمة وأساليب الدعوة بأن يكون من القرآن اجوبة لاستفسارات وبيان لحوادث ووقائع وانكار على قول ليكون أقرب للقبول وابعث لليقين ولا يكون ذلك الا اذا جاء القرآن دفعة دفعة وأثر كل استفسار وبعد كل قول وطلب ..

٥ ــ ان في التفريق رحمة ولطفا بالعباد ، فلو نزل القرآن دفعة واحدة

لثقلت عليهم التكاليف والاعباء فتنفر لذلك قلوبهم وترفض نفوسهم عن قبول كافة الاوامر والنواهي في آن واحد ودفعة واحدة ، لذا جاء التشريع متدرجا تبعا لنزول القرآن وهبوطه متفرقا ونجوما ..

وبصدد عدد وكمية الآيات التي كانت تنزل في كل دفعة على الرسول (ص) فالحق انها كانت تنزل نجوما الآية الواحدة والاثنان والاكثر ، وتارة قدتنزل سورة بجملتها كما في سورة الفاتحة والمدثر والانعام ، والاخيرة يقال عنها انها نزلت كلها في مكة دفعة واحدة عدا ثلاث آيات منها نزلت في المدينة المنورة ..

والقاعدة العامة هنا بخصوص نزول السور كاملة هو أن كل سورة يتحد موضوعها أو تتداعى موضوعاتها تداعيا كبيرا ويلتزم فيها نسق معين فيرجح انها نزلت جملة واحدة ، بينما نجد أن السور التي تختلف موضوعاتها وتتباعد ولا تتداعى ولا تلتزم بآياتها نسق معين فيرجح نزولها منجمة ..

وسوَر القرآن بالنظر الى أختلاف عدد آياتها ثلاثة أقسام [١٨] .

١ ـ قسم لم يختلف فيه أجمالا ولا تفصيلا .

٢ ـ قسم أختلف فيه تفصيلا لا اجمالا .

٣ ـ قسم اختلف فيه تفصيلا واجمالا .

كما وقيل بصدد عدد وكمية الآيات المنزلية انه صح نزول بعض آية على الرسول [١٩] (ص) كما في قوله تعالى « غير اولي الضرر » [٢٠] وكذلك قوله « وان خفتم عيلة » [٢١] .

---

(١٨) تاريخ القرآن ـ ابراهيم الابياري .

(١٩) مباحث في علوم القرآن ـ الدكتور صبحي الصالح .

(٢٠) النساء : ٩٥ .

(٢١) التوبة : ٢٨ .

وهكذا وعلى الترتيب المتقدم كان نزول الآيات على الرسول (ص) حتى كملت الشريعة الغراء بتمام نزول القرآن ..

وقد أستعمل القرآن في أسلوبه وبيانه الحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد والتصريح والكناية والايجاز والاسهاب على نمط العرب في لغتهم مع علوه على اللغة العربية بفنونه وبلاغته وعلومه وقصصه كما سنشير اليها في فصل قادم ..

أما عن كيفية مجيء الوحي الامين الى الرسول (ص) او بتعبير آخر كيف كان الرسول يتلقى آيات الله البينات المنزلة عليه ، فأقول ان هذا الامر كان يتم على واحد او أكثر من الطرق التالية ..

١ — ان يسمع الرسول او النبي كلام الملك (الوحي) من دون ان يراه او يشاهده بعينه ..

٢ — ان يسمع الرسول كلام الملك كما ويراه امامه جليا، وهذا الوضع والحالة هو الذي يفرق ويميز بين درجة الرسول ودرجة النبي (الرسالة والنبوة) فالرسول وحده هو الذي في استطاعته مشاهدة الملك وسماع قوله فضلا عن ان دعوته عامة وشاملة ، بينما النبي الذي تكون دعوته محدودة ومحصورة ببلده او قومه او ربما بأهل بيته يكون اتصاله وارتباطه بالملك محدودا أيضا ، وفي حدود ونطاق السماع فقط دون المشاهدة ..

٣ — ان يأتي الملك للرسول أو النبي في النوم (اليقظة) فيكلمه بصدد الآيات المنزلة عليه ، علما بأن رؤيا الرسول أو النبي لا تأتي الا كمثل فلق الصبح أو الشمس في رابعة النهار وضوحا وجلاء ..

وقيل ان هناك علاوة على ذلك طرق اخرى للاتصال بالوحي منها ان ينفث الوحي في روع الرسول الكلام المنزل نفثا ، ومنها ان يأتيه كصلصلة

الجرس ... وغير ذلك[٢٢] ..

كما ونود ان نشير هنا الى مطلب آخر وهو هل سبق ان نزلت سور أو آيات لاكثر من مرة واحدة على الرسول (ص) عند تجدد نفس الحادثة أو السبب الذي نزلت من اجله السورة أو الآية وهو المعبر عنه بـ « تعدد النازل والسبب واحد » أو عند عدم تجدده ..

لقد قيل بصدد هذا انه لا يمنع من ذلك ، فهناك آيات وسور عديدة في القرآن نزلت مرتين فسورة الفاتحة مثلا يقال عنها انها نزلت على الرسول (ص) مرتين وانها مكيــة مدنية معا ، وقيــل ان آية « ويســألونك عن الروح ... » نزلت هي الاخرى مرتين في مكة والمدينة ... الخ ، وعلة النزول مرتين هو التعظيم والتذكير ..

هذا ومثلما هناك سور او آيات نزلت مرتين فهناك ايضا آية او آيات تتشابه فيما بينها مع وجود فرق صغير في النظم او في بعض تراكيب كلماتها، ومن هذا النوع هو قوله تعالى « واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون »[٢٣] وقــوله « واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون »[٢٤] ومن هذا النوع ايضا قوله تعالى « فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون »[٢٥] وقوله تعالى « ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد

---

(٢٢) روح الدين الاسلامي ـ عفيف طبارة ، الاتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي .

(٢٣) البقرة : ٤٨ .

(٢٤) البقرة : ١٢٣ .

(٢٥) التوبة : ٥٥ .

الله ان يعذبهم في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون »[٢٦] ..

وقيل بشأنهذا التشابه النسبي هو انزول الآية المماثلة نسبيا للاولى الا في بعض الكلمات والالفاظ هو بسبب تجدد نفس الواقعة السابقة التي نزلت من أجلها الآية الاولى عدا تغيير بسيط في بعض ظروفها واحوالها مما تطلب تغيير بعض كلمات الآية الثانية بما يناسب الوضع الجديد ويلائمه ..

وهناك بالاضافة الى ما سلف بيانه آيات صغيرة في القــرآن مكررة لعدة مرات مثل قوله تعالى « ويل يومئذ للمكذبين »[٢٧] وقولــه « فبأي آلاء ربكما تكذبان »[٢٨] وقوله سبحانه « فكيف كان عذابي ونذر »[٢٩].

وهذه الآيات المكررة هي بلا شك نوع طريف من الابــداع لم يك معروفا من قبل وقد شاع استعمال هذه الطريقة ــ التكرار ــ في اللغــة العربية بعد نزول القرآن الكريم ، فنجد في المخمسات تكرر بيت واحد ، كما ونلاحظ ذلك في الاناشيد القومية والوطنية والتي تتكرر فيهــا بعض المقاطع الحماسية المثيرة[٣٠] .

وفي ختام هذا الفصل نشير الى شيء قد يكون غير مهم وغير ذيفائدة تذكر لبعض الناس الا انه قد يهم الآخرين الذين يحبون ان يقفوا على كل صغيرة وكبيرة وشاردة وواردة في القرآن وفي غير القرآن تجاوبا مع الحكمة التي تقول : « تعلم الشيء خير من الجهل به » ..

ولهذه الفئة من الناس اقول ان الامر المراد بيانه الان هو ان القرآن

---

(٢٦) التوبة : ٨٥ .

(٢٧) المرسلات .

(٢٨) الرحمن .

(٢٩) القمر .

(٣٠) القرآن والعلم الحديث ــ عبد الرزاق نوفل .

الكريم ينقل الينا في خلال آياته الكريمة ـ فيما ينقل ـ كلمات وجمل واقوال سبق لها ان نطقت وقيلت والقيت من قبْل على لسان الانبياء أو الملائكة أو الجن أو الحيوان أو على لسان جهنم أو غيرهم ، ومعلوم لدى الجميع ومسلم به هنا ان لسان ولغة الغالبية من هؤلاء لم يك عربيا فقد كان عبرانيا أو اغريقيا او روميا او مسماريا او هيروغلوفيا او لغة خاصة .

فيا ليت شعري ما هي علاقة وارتباط تلك الاقوال التي قيلت في وقتها وكانت بغير العربية بما جاء في القرآن من اشارة لها تفصيلا او تلميحا وبلسان عربي مبين ..

الظاهر هنا هو ان الفقهاء والمؤرخين ممن تكلموا عن ذلك ـ وما اقلهم ـ ذهبوا بشأنها الى مذهبين :

الاول : هو ان ما جاء في القرآن الكريم على لسان كل هؤلاء انما هو الترجمة والتفسير الكامل والامين الذي لا يزيد ولا ينقص لاقوالهم وكلماتهم ..

اما الثاني : فيذهب الى ان ما ورد في القرآن من اقوال وكلمات لهؤلاء الماضين لا يتعدى عن معانيه الحقيقية ، وقد يكون هذا المعنى مختصرا كما وقد يكون مفصلا وذلك تبعا لما يتطلبه المقام عند نزول الآيات على الرسول (ص) ..

فهذه المعاني تكون مفصلة ومسهبة اذا كان المقام يتطلب مزيدا من الموعظة والهداية والارشاد ليمكن انقاذ وانتشال جماهير كبيرة من رجالات قريش والعرب من ظلمة الكفر الى نور الاسلام ..

بينما ترد هذه المعاني مختصرة وموجزة اذا لم يتطلب المقام الاطناب والاسهاب كرد مفحم قصير على قول أو جواب على سؤال عابر ..

وهكذا وعلى النحو الذي لمسناه عبر هذا الفصل نزلت آيات القرآن

على صدر الرسول (ص) ، وبقي ان نعقب على ذلك هنا فنقول هل ذهبت هذه الآيات الكريمة يا ترى يمنة ويسرة وتفرقت هنا وهناك وحفظ ودوّن قسم منها دون الاخر ، أم ان امرها على العكس من ذلك حيث التقت في مكان واحد وانتظمت بعضها الى بعض وحفظت ودوّنت باجمعها ..

ان كل هذا سيكون موضوع الفصول الثلاثة القادمة ..

الجمع الاول للقرآن

يؤثر عن النبي الكريم (ص) انه قال « لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن ومن كتب غيره فليمحه[١] ، وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »[٢] .

وقوله (ص) هذا ما جاء الا لكي يحفظ للقرآن صفته وارتباطه المباشر بالله تعالى وليحول دون اختلاطه بشيء ليست له هذه الرابطة وهذه الصفة والسمة القدسية ، ودون ان تلتبس اقواله وشروحه وسيرته (ص) بآيات القرآن ..

لذا فعندما كانت تنزل على النبي (ص) شيء من الآيات الكريمة كان يستدعي على الفور بعض من كان يكتب له بالخط المقرر حينذاك وهو (الخط المكي) وهم كتاب الوحي فيملي عليهم ما ينزل عليه ، واذا فرغ (ص)

---

(١) يروى أن الرسول (ص) في السنوات الاخيرة من حياته قد اذن في كتابة الحديث وذلك بعد ان نزل اكثر القرآن وحفظه الكثيرون ، وهناك من قال بأن هذا الاذن كان خاصا ومن قال بأنه كان عاما ، واستنادا الى هذا فقد كتب الاصحاب الحديث في عهد النبي (ص) ومنهم من كانت له مجموعة خاصة أشتهر به فقد كان للامام علي بن ابي طالب (ع) صحيفة ـ وكان لانس صحيفة فضلا عن حبر الامة عبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وجابر بن عبدالله .. علما بان التدوين الرسمي للاحاديث كان في مطلع القرن الثاني الهجري وفي عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز كما مر تفصيله في فصل التعريف بالقرآن .

(٢) صحيح مسلم ، فضائل القرآن ـ اسماعيل بن كثير القرشي .

من ذلك يطلب من الكاتب اعادة قراءة ما كتبه، فان كان فيه سقط او زيادة أو نقصان صلحه واقامه ، كما وكان (ص) يقريء الفائزين بشرف الصحبة ويحفظهم كل ما كان ينزل عليه من الآيات اولا بأول ، فضلا عن انه (ص) كان يبعث الى من كان بعيد الدار منهم من يعلمه ويقرئه وانه كان قد خصص سيدة لتعليم النساء القرآن ..

وكان الاصحاب يتنافسون في استظهار آيات الله وحفظها ويتسابقون الى مدارستها وتفهمها ، وكانوا كلما نزل شيء من الآيات تهفوا قلوبهم اليها وتنشرح صدورهم وتلقوها بالابتهاج والفرحة الغامرة ..

ويتفاوت حفظ هؤلاء الاصحاب للآيات الكريمة تبعا لمدى حضورهم ووجودهم عند الرسول (ص) حال املاء الآيات على كتاب الوحي وعلى درجة فطنتهم وملكتهم في الحفظ والاستظهار في لوح القلب وسعة خبرتهم بأساليب اللغة وطرق البيان ..

وكان هؤلاء ايضا اذا حفظوا شيئا من الآيات لم يتجاوزوها الى غيرها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل ..

وبالنظر لعدم وجود المشاغل وانتفاء المتاعب لدى هؤلاء لبساطة الحياة الاجتماعية التي كانوا يحيوها وسهولتها وذلك على خلاف ما هي عليه الحياة الان من التعقيد والتطور والمشقة نرى انه شذ ان نجد احدا منهم أو من بقية رجالات المسلمين أو نسائهم يخلوا من حفظ قسم كبير أو صغير من آيات القرآن ، وهذا وضع طبيعي اذا اضفنا الى بساطة الحياة ما امتازت به العرب وعرفوا به من قوة الحافظة الفطرية والتي قد تصل عند البعض منهم الى درجة النقش في الحجر ، وهذه نتيجة طبيعية لامية العرب، حيث ان هذه الامية قد وجهتهم للاهتمام بالحفظ فقويت الذاكرة لديهم قوة خارقة على النحو الذي نجده في الاعمى ، فالاخير اقوى حفظا من البصير

اذ جعل كل اعتماده على الحفظ ، اما البصير فان ركونه الى الكتاب يضعف ذاكرته عن غيره ..

وكتاب الوحي المؤما اليهم الذين كانوا يكتبون للرسول (ص) الآيات يصل عددهم الى ٤٣[٣] نفر وأشهرهم واقدمهم إمام الهـدى علي بن ابي طالب (ع) ومنهم ايضا ابو بكر وعمر وعثمان (رض) وزيد بن ثابت وابي ابن كعب وثابت بن قيس والزبير بن العوام وحذيفة بن اليمان وعبدالله بن رواحة وسعيد بن العاص ..

وكان الزم كتاب الوحي للنبي وأكثرهم كتابة وتدوينا له هو الامام علي بن ابي طالب — ع — ومن بعده يأتي زيد بن ثابت ..

مما تقدم بيانه يظهر لنا ان حفظ القرآن وجمعه الاول (ويطلق الجمع ايضا على حفظ القرآن) قد تم في عهد الرسول (ص) بطريقتين اثنتين هما:

١ — في حفظه في صدور المسلمين وقلوبهم حفظا لم يهمل حرفا ولا حركة ولا سكونا ولا اثباتا ولا حذفا ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم ، وقد كان البعض يحفظه كله والبعض الآخر شطرا منه ..

وكان شغف المسلمين بحفظه وتلاوته حينئذ عظيما ، فقد كانوا يتداولون ما استجد منه في نواديهم ومجتمعاتهم لانه بات يملك عليهم سويداء قلوبهم، وغدا همهم الاوحد قراءة وكتابة الكتاب أو الاستماع اليه لانه قاعدة الدين والدنيا وبه تتأيد السلطة والحكم ، حتى ان منازلهم كانت تدوي ليلا من اصواتهم بالقرآن كدوي النحل حيث كانوا يهجرون لذة النوم وراحة الهجود ايثارا للذة القيام به في الليل ..

كما وكان يسمع لمسجد رسول الله (ص) ضجة بتـلاوة القرآن حتى أمرهم الرسول (ص) ان يخفضوا ويخففوا اصواتهم لئلا يتغالطوا ما بينهم ..

(٣) الاتقان في علوم القرآن — جلال الدين السيوطي .

كما وكانت سور القتال تتلى احيانا في نشيد جماعي تهدر وتصدح به الكتائب الغازية فتملأ نفوسها روعة وقلوبها ايمانا مما يدفعها لان تفعل الاعاجيب وتقوم بالمستحيلات وتحقق المعجزات ، على النحو الذي نجده في عصرنا هذا من هتاف الجماهير بالنشيد القومي والوطني خلال فترات الحماسة والشجاعة والمناسبات[٤] .

هذا فضلا عن ان المرأة المسلمة قد تجعل مهرها تعليمها سورة من القرآن أو اكثر ، وهذا على عكس ما نلمسه الآن بصدد مشاكل الزواج عندنا من مضاعفة اولياء الامور لمهور الفتيات ووضع الف شرط وشرط في طريق زواج تلكم الفتيات المسلمات حتى بات الامر لدينا هو ان اذن الموافقة على زواجهن هو الاستثناء وان الامتناع أو رفض طلبات زواجهن هي القاعدة ، فكل هذه القيود وهذه الشروط هي في الحق ليست من الاسلام ولا من الايمان في شيء فضلا عن انها لا تتفق مع التطور الاجتماعي وسنة الحياة ، علما بأن الاسلام سهل كافة مراحل الزواج وحث وشجع عليه وجعل من شؤم المرأة غلاء مهرها وزيادته ، وقد طالما ردد الرسول (ص) بهذا الصدد عبارته المشهورة وفي كل مناسبة وهي « اذا اتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير » ألا هل بلغت..

هذا وان اشهر من حفظ القرآن كله أو قسم منه من آل واصحاب رسول الله (ص) هم الامام علي بن ابي طالب (ع) وابو بكر وعمر وعثمان (رض) وحبر الامة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس وابي بن كعب وزيد ابن ثابت وعبدالله بن مسعود وابو الدرداء وابو موسى الاشعري ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان ..

وطبيعي ان هؤلاء ليسوا هم كل الحفاظ وانما هناك آخرون من

---

(٤) نظرات فى القرآن ـ محمد الغزالي .

المسلمين ممن حفظ من القرآن كثيرا او قليلا مما لا يسع المجال لايراد اسمائهم برمتهم ..

ويروى بهذا الصدد ان القبائل فيصدر الاسلام كانت تتفاخر فيما بينها على كثرة ما بين افرادها من حفاظ للقرآن كله فيقال بهذه المناسبة ان الخزرج كانت تفاخر الاوس بأربعة اشخاص من قبيلتها ممن حفظوا القرآن كله وهم زيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وابي بن كعب وابو زيد ، بينما لا تملك الاوس هنا الا ان تفاخر بافراد منها لهم مناقب اخرى منهم ذو الشهادتين وغيرهم(٥) ..

كما ونحب ان نشير هنا الى انه قد حفظ القرآن عند فجر الدعوة الاسلامية ايضا جملة وزمرة من أقطاب الكفر والشرك بأمل معارضته وابطال حجته ، فمن أشهر واعلن اسلامه منهم فيما بعد —وقد اسلم أكثرهم فعلا— كان ما حفظوه من الآيات في عهد كفرهم وشركهم عونا ومددا لهم في تفهم اصول الشريعة ومباديء العقيدة بعد ان وضح وابان لهم الرسول (ص) المعنى الصحيح والغرض الحقيقي للآيات المحفوظة في صدورهم ..

والقلة القليلة والشرذمة الصغيرة التي لم تسلم منهم وماتت وهي في متاهات الكفر والشرك كانت الايات المحفوظة في نفوسهم حجة قاطعة ودليلا لازما عليهم في يوم الحساب ..

٢ — اما الطريقة الثانية التي تم عن طريقها حفظ وجمع القرآن فهو تدوينه وتسجيله بواسطة الكتاب على الوسائل المتيسرة والموجودة في ذلك العهد وهي(٦) :

أ — العسب « جمع عسيب وهي اضلاع وجريد النخل حيث كانوا

---

(٥) تاريخ القرآن — محمد طاهر الكردي .

(٦) الاتقان في علوم القرآن — جلال الدين السيوطي .

يكشفون عنه الخوص ويكتبون في الطرف العريض » .

ب ـ اللخاف « جمع لخفة وهي صفائح الحجارة الرقاق » .

جـ ـ الرقاع « جمع رقعة وهي القطعة من الجلد »

د ـ الاقتاب « جمع قتب وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه » .

هـ ـ فضلا عن العظـام والاكتاف بل اضيف الى ذلـك القراطيس والاوراق الاولية والرقوف الناعمة المسواة ..

فقد حرص كثير من الصحابة في حياة الرسول (ص) على الاحتفاظ وجمع كل او قسم من الآيات الكريمة والتي دونوها على الوسائل الاتفـة الذكر جمعها في مكان واحد « وليس في مصحف واحد » بسبب ان الوحي لم ينقطع عن الارض طيلة حياة الرسول (ص) وقبل انقطاعه لا يمكن اتمام جمع المصحف فضلا عن ترقب ورود ناسخ لبعض الاحكام والآيات ..

والمقصود هنا من حفظ وجمع الآيات في مكان واحد هو ان يسجل الحافظ أو الصحابي الآيات تباعا ويدعها في غرفة خاصة او صندوق معين، كما وكان هناك من هؤلاء من اكمل هذا الجمع عقب وفاة الرسول (ص) مباشـرة ..

ويؤكد قولنا هذا ما يروى من ان اكثر الصحابة كان معتادا على ختم القرآن ومعنى ختمه هو ان يقرأه من اوله الى آخره ، فلو لم يكن القرآن مسجلا ومجموعا من الاول الى الآخر ومحفوظا في مكان خاص لما اطلق على قرائته عنوان الختم(٧) ..

كما ويثبت هذا القول ما يروى عن زيد بن ثابت من قوله بأننا كنـا نجمع آيات القرآن الكريم بحضور النبي (ص) من قصاصات من الورق ..

---

(٧) مجلة الايمان النجفية ـ مقال السيد جمال الهاشمي .

أما بصدد ترتيب آيات السور فان الرسول (ص) لم ينتظر في ترتيب الآيات المنزلة نجوما حتى يكمل نزولها ، ولم يتريث في تأليف سورة واحدة حتى تتم كافة فصولها ، بل كان كلما ألقيت عليه آية أو اكثر يأمر بوضعها حالا في مكان مرتب من سورة معينة — أي ان الامر توقيفي — .

وفي بعض الاحيان كان يحدث ان تنزل آيتان لسورتين مختلفتين في آن واحد فيطلب الرسول (ص) تدوينها منفصلتين تفاديا لاي لبس أو خلط وليمكن وضع كل آية في سورتها المطلوبة ومكانها المعلوم ..

وعلى هذا يمكن التأكيد والجزم بان جميع الآيات قد نسقت ووضعت في اماكنها المطلوبة والثابتة قبيل وفاة الرسول (ص) كما سميت السور باذنه وتوجيهه كما سلف بيانه ..

هذا علما بأن هذه الآيات وهذه السور في القرآن الكريم لم تتخذ في ورودها التنزيلي سبيلها التي اتبعته في وضعها الترتيبي ، فما اكثر السور التي نزلت جميعا أو اشتاتا في الفترات التي نزلت بها سور اخرى ، وكم آية في السورة الواحدة تقدمت فيها نزولا وتأخرت ترتيبا ، وكم آية على عكس ذلك ..

ولهذه الطريقة المشار اليها كما يرى البعض[8] سر خاص مفاده ان جميع القرآن بسوره وآياته واحكامه وتشريعاتـه وان اختلفت اماكنهـا وتعددت مواقعها فهي وحدة عامة كاملة لا يجوز التفريق بينها في العمل او التمسك ببعضها دون البعض فهي أما ان تؤخذ كلها أو تترك كلهـا ولا وسط بين ذلك ..

هذا وعندما كان الوحي ينزل بالبسملة في اول كل سورة كان يعرف الجميع انها سورة جديدة فتوضع في محلها ، لذا اعتبرت البسملة في الحق

٨/) نظرات في القرآن — محمد الغزالي .

آية اصيلة وجزءا من كل سورة لا تتجزأ[٩] — عدا سورة براءة — ودليل ذلك هو ان السلف الصالح قد جرى على اثباتها في المصحف مع استقرار السيرة واستمرارها بين المسلمين على قراءتها في اول كل سورة فضلا عن اشتمال جميع المصاحف منذ صدر الاسلام حتى الان على ذكرها في أول كل سورة مع حرصهم الشديد — المسلمين — على عدم ادخال ما ليس من القرآن فيه حتى ان بعض الصحابة عارض في تنقيط المصحف وتشكيله لكي لا يدخل في المصحف أي عنصر جديد[١٠] ..

أما سورة براءة فقد قيل في سبب حذف البسملة منها ان السورة هذه قد جاءت تقريعا وعذابا اليما على الكافرين والمشركين فلا تتفق والحالة هذه مع فحوى البسملة وفلسفتها والتي سداها الامان ولحمتها الرحمة والرضوان .

وقد قيل في حذفها من سورة التوبة ايضا انه جاء عن طريق الشك الذي نجم عند جمع القرآن — الجمع الثالث — وهو ما اذا كانت كل من سورة الانفال التي تسبق سورة التوبة وسورة التوبة هما سورة واحدة او سورتان، لانه قد ورد ان النبي (ص) قد قرأهما بدون الاتيان بالبسملة بينهما ، لذا حذفت البسملة — عند الجمع — من سورة التوبة اولا ووضعت هذه — التوبة — مستقلة بعد الانفال ليصدق عليها الوجهان والاحتمالان ، وجه انها مستقلة ووجه آخر انها من الانفال [١١] ..

علما بأن القول الاول — وهو ان البسملة تدل على الامان والسورة جاءت للتقريع ونزلت بالسيف — هو المعول به والاصح عندي وعند الكثيرين

(٩) تفسير المنار — محمد رشيد رضا .

(١٠) محاضرات فى تفسير القرآن — السيد اسماعيل الصدر .

(١١) الاتقان فى علوم القآن — جلال الدين السيوطي .

من المؤرخين والكتاب[١٢] ..

قلنا آنفا ان البسملة هي جزء من السورة لا تتجزأ وقد اوردنا بعض الحجج الخاصة بذلك ، ورغم ذلك فلا نعدم من يقول بان البسملة ليست اصيلة في السور بسبب ان اثبات السلف لها في المصاحف ـ كما قلنا آنفا ـ كان لأجل التبرك[١٣] ، فيكون الافتتاح بها في الصلاة أو في كل عمل ذي شأن سنة محمودة وثواب عظيم ، عدا سورة الفاتحة فانها ـ عند الجميع ـ جزء من الفاتحة لا تتجزأ ولا يعد من قرأ سورة الفاتحة بدون الاتيان بها سرا او جهرا انه قرأ سورة كاملة من القرآن ..

كما ولم نعدم فئة صغيرة اخرى تذهب في البسملة مذهبا جديدا وهو انها آية مستقلة بنفسها وليست جزءا من أي سورة وان رجح هنا قراءتها في مطلع السور ..

هذا ويروى فيما يروى بعد ذلك بأن الرسول (ص) كان يعرض ما نزل عليه من الآيات في كل شهر رمضان من كل عام هجري على الوحي الامين ، وان الوحي طلب منه في السنة العاشرة للهجرة عرضها عليه مرتين ـ العرضة الاخيرة ـ فعرف الرسول (ص) بأن هذا الامر قرينة واشارة الى ان اجله قد حان وان اللهسبحانه قد آثره لجواره واختار له دار كرامته[١٤].

وكان الرسول (ص) بدوره كذلك يستعيد قراءة (كتاب الوحي)

---

(١٢) ومن الطريف هنا ان نذكر ان الصبيان فى مكاتب الجمهورية العربية المتحدة يتنادرون فيما بينهم بان النمل من عادته سرقة ما يجده ، ومن اجل ذلك فقد سرق بسملة براءة ووضعها فى قلب سورته ـ سورة النمل ـ عند ذكر حوادث النبي سليمان ..

(١٣) التبيان فى آداب حملة القرآن ـ يحيى شرف الدين .

(١٤) صحيح البخاري .

وغيرهم من الحفاظ في كل فرصة ومناسبة من اجل التثبت من سلامة حفظهم واستظهارهم ولتصحيح الاغلاط والسقطات التي قد تشوب بعض ما حفظوه ..

وقد فعل الرسول (ص) هذا واكد عليه حتى لايضيع الاسلام بضياع دستوره وكتابه الكريم ولأن القرآن امانة في عنق الرسول (ص)عليه حتما ان يؤديه كاملا ويسلمه مجموعا لئلا تناله ايدي العابثين [١٥]..

والاستعادة الاخيرة هذه تختلف عن الاولى (والمماثلة لها في الطريقة) والتي اشرنا اليها في مطلع هذا الفصل ، تختلف عن الاولى في الوقت فقط، حيث كانت الاولى تتم حال الفراغ من كتابة الآية التي انزلها الوحي من قريب او حال حفظها ، اما الاخرى ــ موضوعة البحث ــ فتتم في المناسبات والفرص المواتية ..

وبصدد وسائل التدوين التي كانت مستعملة في عصر النبوة فلنا قول موجز عليها وقد آثرت تأخيره الى هذا الموضع من الكتاب مع ان مكانه المناسب كان في فصل ــ اضواء على المجتمع العربي في عصر النبوة ــ والذي حداني لتأخيره هو رغبتي في ان اناقش هذه الوسائل المستعملة في تدوين بعد ان نكون قد فرغنا من الاشارة اليها والكلام عنها عند ذكر الطريقة الثانية في جمع القرآن ليأخذ القارىء الكريم فكرة عابرة عنها قبل ان ندخل في صلب المناقشة ..

فبصدد هذه الوسائل اقول ان الغالبية من المؤرخين قد ذهبت الى ان التدوين في عهد النبوة كان قد تم على الوسائل البدائية المشار اليها وهي الاكتاف والعظام ورقاق الحجارة والخشب .. الخ وطبيعي ان ماذهب اليه

---

(١٥) الامام الصادق ــ عبد الله السبيتي .

هؤلاء ليس هو كل الحقيقة بل ارى مع نفر قليل جدا من الكتاب الى ان هذا التدوين قد تم بالاضافة الى كل تلك الوسائل الاولية تم على القراطيس والاوراق البدائية والرقوق الناعمة المسواة .. بدليل ان الرسول (ص) حرصا منه على حفظ اعظم مظاهر النبوة ومعجزتها الخالدة كان يكتب كل ما ينزل به الوحي في رقاع منفردة ثم تنقل هذه الرقاع الى صحف معدة كالسجل [١٦] فتلحق فصولها ببعضها وفق ما كان يشير به النبي (ص) ويطلبه [١٧] ..

كما وان وجود القراطيس والصحف في عهد النبوة ليس مستبعدا بعد ما جاء ذكرها مرارا عديدة في القرآن الكريم في قوله تعالى « ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم »[١٨] وقوله سبحانه « قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » [١٩] وقوله تعالى « في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة » [٢٠] وقوله « ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى » [٢١] .

ان القرطاس والصحف المشار اليها في القرآن الكريم لايمكن في الحق ان تدل على تلك الوسائل الاولية والبدائية المعروفة ، بل تطلق عادة على ما كان شائعا حينئذ من وسائل الكتابة وموادها التي تبسط وتطوى وتحمل ويكتب عليها بسهولة ويسر والتي قد يكون لها شبه كبير او قليل بالورق

---

(١٦) وفى هذا المعنى قال الشاعر فى الشطر الاول من بيته .

كل علم ليس فى القرطاس ضاع　　كل سر جاوز الاثنين شاع

(١٧) القرآن المجيد — محمد عزة دروزة .

(١٨) الانعام : ٧

(١٩) الانعام : ٩١ .

(٢٠) عبسى : ١٣ ، ١٤ .

(٢١) الاعلى : ١٨ ، ١٩ .

المستعمل حاليا في الكتابة وان كان دونه طبعا في التطور والجودة [٢٢] ..

هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فقد سبق ان نوهنا بانتشار التعليم بصورة محدودة بين صفوف الافراد داخل المدن الحجازية ، فلا يمكن والحالة هذه ان تقتصر كتابات هؤلاء ومراسلاتهم على الوسائل البدائية في االكتابة والى جوارهم وبقربهم الدول والجاليات التي عرفت واستعملت القراطيس والاوراق وسجلت عليها بعض مقاطع واجزاء من التوراة والانجيل وغيرهما ...

فطبيعي كان العرب سباقين في اقتباس هذه القراطيس والاوراق من اجل ان يدونوا عليها كتاباتهم ومعاملاتهم التجارية ليسهل عليهم حفظها وحملها في رحلاتهم الصيفية والشتوية الى ديار الشام واليمن من اجل التكسب والارتزاق والتجارة ..

كما ولا يمكن هنا ان نتصور او ان نقول بان احراق عثمان بن عفان للآيات القرآنية بعد جمعه للقرآن (الجمع الثالث)واحراق مروان بن الحكم للآيات التي استنسخت في خلال الجمع الثاني في عهد ابي بكر والتي كانت محفوظة لدى حفصة بنت عمر بعد وفاتها ـ كما سيرد تفصيله بعد قليل ـ لايمكن ان نتصور ان كل هذا الاحراق كان على الرقاع والاحجار والاكتاف والعظام ، وهذه كلها لايمكن ان ينالها لهيب النار بطبيعتها ، وانما جاء الحرق هذا على القراطيس والصحف والرقاق التي دونت عليها الآيات القرآنية في حياة الرسول وبعده .

كما ولا يمكن ان نعقل قيام ابي بكر بشد الصحاف ببعضها بخيط واحد بعد ثقبها او بدونه ـ كما اشرنا الى ذلك من قبل ـ لايمكن ان

---

(٢٢) القرآن المجيد ـ محمد عزة دروزة .

تعقل الا ان الامر والفعل هذا قـد تم على القراطيس والصحف والرقوق الناعمة المسواة لامحالة ..

اضف الى ذلك انه لايمكن ان تتصور ان تكون الصحيفة التيوضعها القرشيون في اصل الكعبة عند منطلق الوحي وبدء الرسالة الاسـلامية بصورتها وشكلها العلني والتي امتد بقاءها داخل الكعبة لما يقرب من ثلاث سنوات والتي سودوها وسطروها بالقرارات الجائرة والاحـكام الظالمـة المتعلقة بمقاطعة اهل البيت وحصرهم في شعب ابي طالب وعدم السماح لاحد من الناس من الاتصال بهم او اعانتهم او تزويجهم او أخذ شيء منهم او اعطائهم شيء ، لا تتصور ان هذه الصحيفة قد كتبت على الرقاع او العظام او الاكتاف بل انها سطرت في الحقيقة ودونت — كما يفيد اسمها ايضا — على صحيفة منتظمة الاطراف او على قرطاس او جلد للغزال ناصع ومنتظم، والذي مزقته الارضة بعد ذلك كل ممزق ولم يترك منه سالما الا ما ورد فيه من اسـماء لله تعالى او صفات له ، مما حـدا بقريش اثر ذلك الى رفعها وابطال مفعولها وهم يجرون اذيال ووبال الخيبة والفشل الذريع ..

واخيرا — وليس آخرا — نشير هنا الى ماورد ذكره قبل قليل من قول ينسب الى زيد بن ثابت — كاتب الوحي — وهو انه مع السلف الصالح كانوا يجمعون آيات القرآن الكريم بحضور الرسول (ص) من قصاصات من الورق ، ولفظ الورق هذا وان لم يشبه الورق [٢٣] الذي نستعمله

---

٢٣) الورق الذي نستعمله الآن اكتشفه الصينيون ، ولكنه لم يدخل الى الغرب ولم تعرفه اوربا الا عن طريق المسلمين ، وذلك ان زياد بن صالح حاكم سمرقند من قبل العباسيين (عام ٧٥١م) لاحظ ان القبائل التركستانية على الحدود الشرقية للدولة الاسلامية كانت تهاجم هذه الحدود بدعم من الصين وتأييد منها ، وبصدد تاديبها بعث حملة قوية عليها حيث دخلت بلادها ومزقت جموعها واخذ اعدادا كبيرة منها كاسرى حرب ، كان منهم كثير من

الآن فهو لايقل عنه الا في الجودة والاتقان والتطور والنوع ..

الصينين وجاء بهم الى حواضر البلاد الاسلامية ، وهؤلاء هم الذين أدخلوا الورق وصناعته فى الوطن الاسلامي ، وقد ازدهرت وانتعشت هذه الصناعة بشكل خاص فى خراسان فى عهد الفضل بن يحيى البرمكي عامل الرشيد على خراسان ، وقد عني الرشيد نفسه بصناعة الورق وطلب تدوين المصاحف على هذا الورق بدلا من الورق والقراطيس والصحف لنصاعته وجودته على تلك *

وانتشرت صناعة الورق انتشارا كبيرا فى طول العالم الاسلامي منذالقرن الثاني للهجرة (الثامن للميلاد) وعن طريق المسلمين العرب فى الاندلس دخل هذا الورق الى اوربا كما دخلتها عن هذا الطريق وعن طريق جزيرة صقلية والحروب الصليبية مختلف الصناعات والعلوم والفنون والآداب التي كانت عند المسلمين العرب ..

* دور العرب فى تكوين الفكر الاوربي — الدكتور عبدالرحمن بدوي .

الجمع الثاني للقرآن

لايخفى على القارىء العزيز مما مر ذكره بان القرآن الكريم كان مؤلفا في زمن النبي (ص) على ما هو عليه في المصاحف اليوم ولكن لم يك مجموعا في مصحف واحد وكتاب واحد [١] لان الوحي كان لاينقطع في حياته (ص) وكان ما اوحي به (ص) مجموعا — كما سلف ذكره — في قلوب المسلمين وكتاباتهم له وذلك على خلاف مايذهب اليه البعض من المستشرقين ممن تصدوا للكتابة عن القرآن او الاشارة اليه [٢] وخصوصا في موضوع جمعه حيث ذهب هذا البعض الى ان سور القرآن وآياته ظلت مبعثرة ومفككة في حياة الرسول ثم جمعت بعد وفاته تحت رحمة الاسانيد الشفوية للصحابة مما جعل اصل القرآن مثارا للقيل والقال والتساؤل والاستفسار [٣] ..

وهذا الزعم — ان صح — فلا يصلح الا لاظهار مدى جهل الذين ابتدعوه وخلقوه ، فليس ابعد من الحقيقة من ان يقال ان آيات القرآن وسوره جمعت بعد وفاة الرسول (ص) لان هناك الف دليل ودليل يشير الى ان آيات القرآن قد جمعت كلها في عهد الرسول كما ان السور القرآنية قد سميت كلها تحت اشرافه ونظره [٤] — كما سلف بيانه — ..

---

(١) التبيان آداب حملة القرآن — يحيى بن شرف .

(٢) بصدد مصدر القرآن يذهب قسم من المستشرقين وغيرهم الى ان القرآن هو من تاليف محمد (ص) وطبيعي ان هذا مخالف للحق ومجانب للواقع وهو ان القرآن الكريم كلام الله وانه وحي انزله على رسوله ..

٣) التاريخ الجغرافى للقرآن — السيد مظفر الدين نادفى .

(٤) المصدر السابق .

ولما اختار الله تعالى لرسوله دار الكرامة والسعادة وانقطع اثر ذلك نزول الوحي فلا يرجى بعد ذلك للقرآن نزول تتمة لـه ، رأى المسلمون حينئذ ان يسجلوه في مصحف جامع واحد (٥) وكتاب واحد ..

وقيل ان الدافع الرئيسي في ذلك قد جاء بعد ان أشتد القتل بأصحاب رسول الله (ص) في واقعة اليمامة والتي وقعت في اواخر سنة ١١ هجرية واوائل عام ١٢ هـ تقريبا ، وهي الواقعة التي جرت مع مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة بعد وفاة الرسول (ص) ، كما وكانت ساحة المعركة في ارض نجد وفيها استشهد سبعون او مايقـارب من خمسمائة شخص من القراء بقول آخر (٦) الذين صحبوا النبي وسمعوا حديثه ..

وقيل هنا ايضا ان عمر بن الخطاب سأل عن آية من الكتاب فقيـل له كانت مع فلان الذي قتل في يوم اليمامة ، فقال انا لله وراجع بعـدها ابا بكر الصديق بصدد جمع االقرآن — كما سيرد تفصيله بعد قليل — ..

والظاهر هنا من قول عمر بن الخطاب هو ان غير فلان كان يحفظ تلك الآية بل كان هناك من يحفظ كل القرآن — كما سلف — ولكـنه — عمر — عندما سمع بقتل فلان خاف من قتل بقية القراء والحفاظ لكلام الله تعالى في المعارك التي استعر لظاها بعـد وفاة الرسول (ص) فيضيع بفقدهم القرآن او لا اقل شطرا منه ...

لذا فقد راجع عمر ابا بكر بصدد جمع القرآن مشيرا عليه من مغبه

---

(٥) آلاء الرحمن فى تفسير القرآن — الشيخ محمد جواد البلاغي .

(٦) كان يطلق لفظ قارىء قديما على الذين يحفظون القرآن عن ظهر قلب ويساويه الآن لفظ الحافظ ، اما لفظ المقريء المتداول بيننا الآن فهو الذي يقرأ القرآن بالمصحف — وسيمر على القراء الكرام شرح ذلك مسهبا فى فصل لاحق هو « العناية بالقرآن » — .

ان تذهب كل المعارك التالية بالبقية الباقية من القراء فيذهب كثير من القرآن بذهابهم واستشهادهم ..

ولكن ابا بكر لم يوافق عمر على رأيه هذا مبدئيا حيث اجابه بقوله : كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله (ص) من قبل [٧] متصورا بأن جمعه هو سابقه خطيرة قد تقترب او تصل الى حدود البدعة التي نهىعنها الرسول وحاربها حربا شعواء لاهوادة فيها وجعل مآلها ومن سنها في النار .

ولم يزل عمر يراجع ابا بكر بهذا الشأن حتى انتزع منه في الاخير موافقته على جمع القرآن ، حيث ادرك ابو بكر الفوائد المترتبة من ذلك فضلا عما ثبت لديه من ان مثل هذه الخطوة ليست ببدعة فيكثير او صغير ان لم تكن حسنة يثاب عليها المرء احسن الثواب في يوم الجزاء ...

وفي سبيل هذا الامر الذي صدق عليه استدعى ابو بكر زيد بن ثابت وكان من ابرز كتاب الوحي وقال له : بأني قد عزمت على امر خطير آمل ان تعينني عليه ، فأنك رجل شاب عاقل لاتتهمك في شيء وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص) فتتبع القرآن واجمعه [٨] في مكان واحـد ...

وقد كان وقوع هذا القول على رأس زيـد وقوع الصاعقة ، حيث استثقل الامر في البداية واستبعده لاسباب منها انه لم يسبق لهان تلقىطلبا كهذا في عهد رسول الله فضلا عمـا سيكلفه ويوقعه في المزيـد من الاتعاب والمشاكل التي هو في غنى عنها ، وكذلك بصفته كصحابي شاهد رسول الله (ص) وسمع حديثه لايحب ان يقوم بعمل او بادرة او محاولة لم يفعلها النبي ولم يأمر بها ، مضاف الى ذلك انه كمسلم يتحاشى هكذا عمل خشية

---

(٧) فضائل القرآن ـ اسماعيل بن كثير القرشي ، الاتقان فى علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي .

(٨) البرهان فى علوم القرآن ـ بدر الدين الزركشي .

وقوعه في بعض الاخطاء عند تنفيذه هذه المهمة ومايترتب على هذه الاخطاء من المحاذير الدينية والادبية ..

وحسب زيـد حينئذ انه لو كلف بنقل جبل ـ كجبل ابي قبيس المطل على قلب مكة ـ بصخوره وترابه من مكانه ما كان اثقل عليه من تنفيـذ هـذا الطاب الذي كلف به ..

ولكن لم تمضي الا فترة قصيرة من الوقت الا وقد شرح الله صدره بقبول هـذا العمل كما شرح صدر ابي بكر في هذا الشأن من قبل ، فوافق على القيام بالعمل وابتدأ في تنفيذه وتحقيقه في الحال بعد ان توسل الى الله تعالى في ان ينهي مهمته بسرعة وانتظام وان يكلل جهوده بالنجاح والتوفيق..

قام زيد بالامر على خير وجه وسـار على خطة حكيمة وسليمة ، فهو لم يعتمد فقط على ملكة الحفظ عند العرب بـل اشترط فضلا عنها ان تعززها وتدعمها الكتابة ، كما اشترط ايضا ألا يقبل اية آيـة مكتوبة من آيات القرآن الا بعد شهادة شاهدين عادلين يفيدان على انها كتبت وحررت في حضرة الرسول (ص) وانها سمعت من فمه [٩] ..

والحقيقة ان كل هذه الاجراءات والتعقيدات هي من اجل المبالغة في الاحتياط والامانة في الجمع والحرص على سلامة الآيات ..

وهكذا تتبع زيد القرآن باجمعه يجمعه من العسب واللخاف والصحف والقراطيس وصدور الرجال ، فوجد قرب الانتهاء ان آخر سورة التوبة كانت لدى ابي خزيمة الانصاري [١٠] وهي قوله تعالى « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » فوافق

---

(٩) الاتقان فى علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي .

(١٠) المعنى هنا ان زيد لم يجد هذه الآية مكتوبة عند غيره ممن راجعهم لا انه لم يك يحفظها غيره ،بل كان يحفظها الكثيرون ويتلونها فى الصلاة وغيرها.

على كتابتها [١١] في الحال لان الرسول (ص) جعل شهادته مساويةلشهادة رجلين من المسلمين « وذلك في واقعة خاصة لا مجال لايرادها هنا » ولقب اثر ذلك بذي الشهادتين ..

كما ان عمر بن الخطاب جاء بآية الرجم وهي « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة » فلم يكتبها زيد لان نقل هذه الآية كان منحصرا به فقط ولم يشهد له على صحتها احد من المسلمين [١٢] ..

ويروى عن عمر بصدد ما جاء به من آية الرجم قوله :« لولا انيقول الناس ان عمرا قد اضاف الى كتاب الله شيئا لاضفت هذه الآية الى القرآن.» .

وقيل ان ابا بكر حرصا منه على سرعة وسهولة جمع القرآن طلب من عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت ان يجلسا عند باب المسجد النبوي فمن جاءهم بشاهدين على شيء من كتاب الله فليكتبوه [١٣] ..

والمقصود من الشاهدين هنا هو ان يشهدوا بأن ما أتوا به كان مما عرض على النبي (ص) عام وفاته في العرضة الاخيرة ــ كما سلف ذكره ــ وانه كذلك قد كتب بين يديه ووجها لوجه وسمعت منه ..

هذا وقد تم لابي بكر جمع القرآن كله خلال سنة واحدة ، لأن طلبه من زيد كان اثر واقعة اليمامة والمدة الفاصلة بين هذه الواقعة وبين وفاته اوقرب هذه الوفاة هي سنة واحدة تقريبا [١٤] ..

---

(١١) فضائل القرآن ــ اسماعيل بن كثير القرشي ، الاتقان فى علوم القرآن ــ جلال الدين السيوطي .

(١٢) الاتقان فى علوم القرآن ــ جلال الدين السيوطي .

(١٣) تاريخ القرآن ــ ابراهيم الابياري ، تاريخ القرآن ــ محمد طاهر الكردي .

(١٤) مباحث فى علوم القرآن ــ الدكتور صبحي الصالح .

كما وقد كتب زيد بن ثابت القرآن كله بجميع اجزائه واوجهه المعبر عنها بالاحرف السبعة كما سيرد ذكرها في نهاية هذا الكتاب ، وقد كتبه كما صرح هو به على قطع الاديم وكسر الاكتاف والسعف وغيرها ..

والصحف التي جمعت فيها القرآن وضعت لدى ابي بكر بعد أن شدت بخيط خشية سقوط او فقدان شيء منها ، وبعد وفاته انتقلت هذه الصحف الى خلفه عمر وظلت لديه حتى انتقاله لجوار ربه ثم حفظت عند ابنته حفصة وليس لدى عثمان ...

والحقيقة بصدد الفقرة الاخيرة هو ان عمر وضعها في اواخر ايام حياته لدى ابنته حفصة وليس لدى خلفه عثمان بسبب ان اختيار هذا الخلف لم يتم بعد وكذلك لاعتقاده بأن الخلف كائنا من كان في وسعه ان يستعيدها منها اذا تطلبت الحاجة اليها لأن ــ الصحف ــ هي ملك لكل المسلمين ، وليس في وسع احد ان يستأثر بها دونهم فضلا عن ان حفصة هي زوجة رسول الله (ص) وانها كانت تعرف القراءة والكتابة [١٥] ..

هذا وان امام الهدى علي بن أبي طالب ــ عليه السلام قال بصدد جمعه للقرآن : بأن حبيبي رسول الله (ص) كان قد أوصاني انه اذا ما واريته في حفرته أن لا أخرج من بيتي حتى اؤلف كتاب الله فأنه في جرائد النخل واكتاف الابل [١٦] ..

وفي رواية ثانية ان رسول الله) ص (قال لعلي : ياعلي ان القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة [١٧] ..

لذا فما ان أكمل الامام علي (ع) مواراة ابن عمه (ص) حتى آلى

---

(١٥) القرآن ــ محمد صبيح .

(١٦) ، (١٧) تاريخ القرآن ــ ابي عبد الله الزنجاني .

على نفسه ألا يرتدي برداء الا للصلاة حتى يجمع القرآن في مصحف واحد [١٨] ، وكان الرجل ليأتيه فيخرج بغير رداء حتى جمعه ، وقد تم جمعه في ثلاث أيام (وربما اكثر) وكان في ثوب أصفر ثم ختم عليه فكان بذلك اول مصحف في دنيا الاسلام جمع فيه القرآن من قلبه [١٩] ومن تدوينه ..

ولم يحتفظ الامام علي (ع) بهذا المصحف في بيته او يستأثره لنفسه دون المسلمين بل أتى به على جمل فقال لجماعة المسلمين هذا القرآن قد جمعته ، وكان — عليه السلام قد جزأ المصحف سبعة اجزاء [٢٠] ووضعه (جمعه) على ترتيب نزوله وتقدم منسوخه على ناسخه ، كما وقد كتب فيه تأويل بعض الآيات وتفسيرها بالتفصيل فضلا عن الاشارة الى عامة وخاصة ومطلقة ومقيده ومجمله ومبينه ومحكمه ومتشابهه ورخصه وعزائمه وآدابه وسننه وأسباب النزول ..

لذا فمصحف الامام علي (ع) لم يك في الحق والحقيقة اول مصحف في الاسلام فقط بل كان يضم اول تفسير للقرآن أيضا ، وليس كل هذا بمستكثر على الامام علي اذا ما علمنا بأنه — عليه السلام — كان قد آمن بالاسلام ولما يمضي على نزول الوحي ٢٤ ساعة وانه شارك النبي في اول صلاة صلاها لله ، وكان معه في حله وترحاله عدا غزوة تبوك التي استخلفه فيها على المدينة .. [٢١]

فليس غريبا أن نرى الرسول (ص) يثمن كل هذه الجهود والمساعي فيوشح صدر الامام بوسام العلم والعمل خاطا عليه بأحرف من نور قولته

---

(١٨) آلاء الرحمن فى تفسير القرآن — الشيخ محمد جواد البلاغي .

الاتقان فى علوم القرآن — جلال الدين السيوطي .

(١٩) الفهرست — ابن النديم .

(٢٠) تاريخ القرآن — ابي عبد الله الزنجاني .

(٢١) علي والقرآن — محمد جواد مغنية .

الشهيرة « انا مدينة العلم وعلي بابها » ناهيك عن الانواط والاوسمة الاخرى التي يتعذر أحصاها ويصعب استقصائها ..

كما لم يعد عجيبا ولا بعيدا ان نسمع الامام (ع) يخطب جماهير المسلمين وهو ملء الثقة والاعتزاز واليقين يخطبهم بقوله ـ عليه السلام ـ « اني لاعرف ناسخه من منسوخه (يقصد القرآن) ومحكمه من متشابهه وفصله من فصاله وحروفه من معانيه ، والله مامن حرف نزل على محمد (ص) الا اني اعرف فيمن نزل وفي أي يوم وفي اي موضع » ..

وقد سأله اثر ذلك بعض الاصحاب بعدما لمس منه ـ عليه السلام ـ فنون الادب والبلاغة والوان العلم والفقه ما أطاح بلبه وأخذ بمجامع قلبه سأله : « أعطيت ياامير المؤمنين علم الغيب » فضحك الامام (ع) وقال « ليس هو علم غيب وانما هو تعلم من ذي علم » .

كما ولم يعد مستبعدا ان نسمع الامام في مكان آخر يخطب بقوله « انه لو تكلم في الفاتحة من القرآن لحمل منها سبعين وقرأ » ..

هذا علما بأن الصحابة كانوا متفقين على ان علم القرآن مخصوص لأهل البيت ، اذ كانوا يسألون علي بن أبي طالب (ع) هل خصصتم أهل البيت دوننا بشيء سوى القرآن ... فأستثناء القرآن بالتخصيص دليل على اجماعهم بأن القرآن وعلمه وتنزيله وتأويله وتفسيره مخصوص بهم دون غيرهم ..

أجل ان مصحف الامام كان أول مصحف في الاسلام ، وقد طالما تأسف الاصحاب بعد ذلك على عدم اطلاعهم عليه بعد ان عرض عليهم ..

فهذا محمد بن سيرين يقول « لو اصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم» ومن قبله قال ابن عوف « سألت عكرمة عن ذلك الكتاب فلم يعرف» (٢٢) .

فرحمك الله يا أبا الحسن وطبت حيا وميتا واليك مني ومن ملايين

---

(٢٢) آلاء الرحمن فى تفسير القرآن ـ محمد جواد البلاغي .

المسلمين الذين تمنوا بلوغ العصر الذي عشته ليغترفوا من فيض علمك وبلاغتك الف تحية أكرام واعجاب وتقدير ..

وكان هناك آخرون أيضا بالاضافة الى الامام علي (ع) قد وفقوا ونجحوا في جمع القرآن في مصحف واحد بعد وفاة الرسول (ص) وهم أبي بن كعب وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وابو موسى الاشعري والمقداد بن الاسود ، وسنشير الى بعض هـذه المصاحف في نهاية الفصل القادم بعون الله ..

هذا وان المصاحف المشار اليها آنفا كانت موزعة في الامصار والمدن الاسلامية فأهل الكوفة كانوا يقرأون على مصحف عبدالله بن مسعود ،واهل البصرة تقرأ على مصحف ابي موسى الاشعري وأهل الشام بما فيهم أهـل حمص على مصحف ابي بن كعب واهـل دمشق على مصحف المقداد بن الاسود [٢٣] .

كما وقد كان ثمة خلاف بين هذه المصاحف ، فضلا عن أهل كل قطر كانوا ينتصرون لمصحفهم على حساب المصاحف الاخرى ويؤيدون قراءاتهم على ما عداها ..

وهذا الخلاف الذي استفحل بمرور الايام هو الذي أدركه الصحابي الجليل والقائد المشهور حذيفة بن اليمان [٢٤] حين كان غازيا في سبيل الله

(٢٣) الكامل فى التاريخ ـ ابن الاثير .

(٢٤) كان حذيفة بن اليمان العبسي صاحب سر رسول الله ، ويروى بصدده ان الرسول (ص) كان قد اخبره بما كان وما يكون الى ان تقوم الساعة بما فى ذلك واقع وقرارة نفس كل صحابي وعاقبته المنتظرة ، توفى رحمه الله فى العراق عام ٣٦ هجرية ودفن الى جوار الصحابي الجليل سلمان الفارسي فى المدائن قرب بغداد ..

مع جيوش المسلمين في جبهات اذربايجان (شمال غرب ايران) وارمينيا ، فعند اوبته — رحمه الله — الى الكوفة ذكر امام اميرها سعيد بن العاص الخطر الذي سيلحق بالاسلام من جراء هذا الاختلاف في المصاحف وقراءاتها ..

وبعدها توجه حذيفة الى المدينة ليفاتح عثمان بواقع هذا الامر ، فنهض الاخير لهذا السبب ولغيره من الاسباب — كما سترى تفصيله في الفصل القادم — نهض بجمع القرآن — وهو الجمع الثالث — كما وقام بعدها بتوزيع نسخ متشابهة منه على الامصار الاسلامية لتحل عوض المصاحف المتداولة هناك والمشار اليها قبل قليل مستهدفا من ذلك وضع حد لكل خصومة قد تطرأ او تحدث من جراء اختلاف المصاحف ، هذا الاختلاف الذي جاء او يأتي من طول عهد الناس بالرسول والوحي والتنزيل حيث نبتت ناشئة جديدة حدث بينها اختلاف في حروف الاداء ووجوه القراءة ، وحتى لاتسبب بعد ذلك هذه الاختلافات بين المسلمين تشتت الكلمة وتفرق الصف والرأي في وقت كانت الجيوش الاسلامية المظفرة تدك أسوار ما وراء النهر شرقا وساحل المحيط الاطلسي غربا ، حيث لايمكن بتاتا لهذه الجيوش ان تستمر في توغلها واندفاعها وكلمة المسلمين متفرقة وآراؤهم متباينة ..

الجمع الثالث للقرآن

قلنا في الفصل السابق ان حذيفة بن اليمان عندما عاد من حرب ارمينيا وآذربايجان دخل على عثمان قبل دخوله لبيته ليخبره بمخاوفه من اختلاف المسلمين في قراءة القرآن ، وليعلمه بأن أهل الشام الذين كانوا معه في الحرب كانوا يقرأون بقراءة ابي بن كعب بينما يقرأ أهل العراق بقراءة عبدالله بن مسعود فتقرأ كل فئة منهم بما لم تسمع به الاخرى مما دعا وادى الى تكفير بعضهم للبعض ..

كما وطلب حذيفة من عثمان بعد ان وصل الامر الى هذه النقطة من الحراجة والخطورة طلب منه ان يدرك الامة من قبل ان تختلف في القرآن وتتشتت ايدي سبأ وكأختلاف اليهود والنصارى [١] من قبل في كتبهم الدينية المنزلة عليهم [٢] ..

---

(١) صحيح البخاري ، الفهرست — ابن النديم .

(٢) بصدد كتب اليهود والمسيحيين الدينية وانواعها فنقول :

أ — المعروف عن اسفار العهد القديم عند اليهود انها تنقسم الى اربعة اقسام هي :

١ — القسم الاول : وهي كتب موسى (الاسفار الخمسة) وهي سفر التكوين وسفر الخروج وسفر الاخبار (اللاويين) وسفر العدد وسفر تثنية الاشتراع .

٢ — القسم الثاني : وتسمى الاسفار التاريخية وعددها اثنا عشر سفرا وهي أسفار يوشع والقضاة وراعوث وصموئيل (اثنان) والملوك (اثنان) واخبار الايام (اثنان) وعزرا وتحميا واستير ..

٣ — القسم الثالث : وتسمى اسفار الاناشيد (الشعرية)وعددها خمسة وهي سفر ايوب ومزامير داود وامثال سليمان والجامعة من كلام سليمان ونشيد الاناشيد لسليمان .

وبعد انصرام مدة وجيزة على طلب حذيفة هذا تسربت الى عثمان اخبار مقلقة ومفزعة مفادها ان أهل حمص يزعمون ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم وأهل دمشق يصوبون بدورهم قراءتهم على ما سواها وهكذا الامر بصدد أهل الكوفة والبصرة ..

فكر عثمان في الامر مليا وقلبه على كافة وجوهه ، ولم تمضي عليه الا أيام وليالي وهو في غمرة دراسة الموضوع وما يمكن اتخاذه بشأنه من حلول واذا بمعلومات واخبار جديدةمفزعة ترده وتطرق سمعه خلاصتها هو اختلاف المعلمين مع طلابهم في قلب المدينة المنورة نفسها وتطور هذا الاختلاف الى نزاع وقتال مسلح شهرت فيه المدى واستعملت فيه السكاكين ، وعند التحقيق والتدقيق في الموضوع هذا ، تجلى ان الدافع الرئيس والاوحد لهذا النزاع هو قراءة القرآن ، وحرص كل فئة من اطراف النزاع على تصويب قرائتها وترجيحها على الاخرى [٣]..

---

٤ ـ القسم الرابع : وتسمى اسفار الانبياء وعددها سبعة عشر وهي أسفار اشعيا وارمياء ومراثي ارمياء وحذقيال ودانيال وهو شع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونس وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاحي ..

ب ـ اماالانجيل المعتمدةعند المسيحيين فهي اربعةانجيل متى وانجيل مرقص وانجيل لوقا وانجيل يونحنا .

اما الاناجيل التي لاتعتمدها الاكثرية ويوثقها البعض فهي : انجيل برنابا وانجيل الحواري يعقوب وانجيل الحواري توماس وانجيل القديس نيكوديم وانجيل للامسن (السبعين) وانجيل الاثنى عشر وانجيل التذكرة وانجيل العبريين (الناصريين) وانجيل المصريين وانجيل ديصان وانجيل ماني وانجيل مرقيون / مرسيون) وانجيل الابيونيين * ...

* الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام ـ الدكتور عبد الواحدوافي .

(٣) تاريخ القرآن ـ محمد طاهر الكردي .

بعد كل هذه الوقائع والحوادث التي استأثرت من عثمان كل تفكيره ووقته ، وطد العزم على امر هام هو جمع الناس على مصحف واحـد ، مفصحا عن هذا العزم وهذا الامر بقولته الشهيرة « انتم عندي في المدينة مختلفون فيه فتلحنون ، فمن نأى عني من الامصار كان أشد اختلافا واكثر لحنا ، يا اصحاب محمد اجتمعوا فأكتبوا للناس اماما » ..

من أجل هذا سمي مصحف عثمان بعد نسخه « بالمصحف الامام » .

هذا ولم يك عثمان لينفرد بجمع القرآن أو يتخذ بشأنه قرارا خطيرا دون استشارة ومشاركة كبار الصحابة وأهل الحـل والعقـد ممن عاصر الرسول (ص) وسمع حديثه وخصوصا الفارس الهمام الامام علي بن ابي طالب (ع) والذي سبق لسلفه (سلف عثمان) ان كان يفزع اليه ويشاوره في كل امر خطير أو قضية التبس حلها وغم جوابها أو مسألة لم يعرف لها مخرجا أو حلا فكان يجد في الامام الاستجابـة الكاملة والنصح والعـون التامين .

لذا فقد دعا عثمان جمهورا من أصحاب الرسول (ص) فيهم الامام علي (ع) ، وطلب منهم تنسيب ما يرونه ملائما ولائقـا بصدد استنسـاخ القرآن وتوحيده من أجل وضع حد لتفاقم الاختلافات بين المسـلمين في الامصار بشأن قراءته ..

ولم يكن جواب الاصحاب الا الاستحسـان لهذه الخطوة الجريئـة والالتفاتة العظيمة ومباركتها فضلا عما ابدوا من استعدادهم لتقـديم كل مساعدة ممكنة في سبيل تحقيقها واخراجها الى عالم النور والواقع ..

لذا عد جمهور من المؤرخين ان جمع القرآن هذا (الجمع الثـالث) واستنساخه في المصاحف والذي قام به عثمان كان بتشجيع من الامام علي (ع) وبموافقته[٤] ، حتى ان قسما من هؤلاء الرواة والمؤرخين قـد نقلوا على

---

٤) تاريخ القرآن ــ ابي عبد الله الزنجاني .

لسان الامام (ع) قوله « لو لم يفعل عثمان هذاالشيء لفعلته انا »[٥] .

بعد انتهاء وارفضاض المشاورات والمداولات الآنفة الذكر أرسل عثمان في الحال كتابا الى حفصه بنت عمر يلتمس منها فيه بأن تتكرم فترسل له الصحف المحفوظة لديها من أجل استنساخها في المصاحف كما ووعدها وعدا قاطعا باعادة هذه الصحف اليها حال الفراغ منها ودونما ابطاء أو تأخير ..

لبت حفصه الطلب في الحال وارسلت الصحف لعثمان ، فأمر الاخير بتأليف لجنة رباعية برآسة زيد بن ثابت « من الانصار » وعضوية كل من عبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام « الثلاثة من قريش » وخوّلها صلاحية نسخ الصحف في المصاحف فقاموا بنسخها على الفور ..

وقيل ان عثمان سأل عن اكتب هؤلاء الاربعة واعربهم فقيل له في الكتابة زيد وفي الاعراب سعيد ، فقال ليكتب زيد وليملل سعيد .

والمقصود هنا من الكتابة هو معرفة قواعد الكتابة وحسن الخط كما وان المقصود من الاعراب هو الفصاحة ..

كما وكان عثمان قد بلغ القرشيين الثلاثة قبل ذلك بأنه اذا اختلفوا هم وزيد في شيء من القرآن فليكتبوه بلسان قريش لان القرآن قد نزل بلسانهم .

ويروى بهذه المناسبة هنا انه لم يختلف زيد وسعيد في شيء الا في حرف واحد من سورة البقرة في قوله تعالى « ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت »[٦] فقال زيد نكتب « التابوه » وقال الآخرون بل نكتب « التابوت » وعند عرض الحال على عثمان آثر اللفظ الثاني لانه بلسان قريش فكتب في المصحف[٧] ..

(٥) المصاحف ـ السجستاني .

(٦) البقرة : ٢٤٨ .

(٧) الاتقان فى علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي .

هذا وقد نسخت اللجنة خمسة مصاحف ارسل الى كل افق بمصحف وبقول آخر ارسل عثمان الى كل جند من اجناد المسلمين بمصحف ، وفصلها بعضهم ووضحها فقالوا انه (أي عثمان) احتفظ بواحد من المصاحف في المدينة وارسلت البقية الى البصرة والكوفة ومكة والشام ، وهناك من قال بان اللجنة نسخت سبعة مصاحف ارسلت الى الامصار السابقة وارسلت بالاضافة الى ذلك نسخة الى اليمن واخرى الى مصر [٨]..

وقد ارسل عثمان مع كل مصحف من يرشد الناس الى قراءته وما يحتمله رسمه منها مما صح وتواتر فكان عبد الله بن السائب مع المصحف المكي ، والمغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي ، وابو عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفي ، وعامر بن قيس مع المصحف البصري ، بينما طلب من زيد بن ثابت ان يقرأ الناس بالمصحف المدني [٩] ..

ولا نعرف هنا لماذا لم يرسل عثمان لكل بلدة من البلاد الاسلامية مصحفا او بضعة مصاحف ..والظاهر في عدم ارسال هذه المصاحف الى هذه الجهات يعود الى قلة النساخ والى عدم وجود الورق عندهم بكثرة ..

وبصدد اللجنة وتأسيسها أقول انه لا نعرف الاسباب الحقيقية التي دعت عثمان لاختيار القرشيين الثلاثة الى جانب زيد بن ثابت في اللجنة[١٠]، علما بأن هذا الجمع للقرآن لايعدوا ان يكون كتابة مافي صحف حفصة على المصاحف فقط ..

فبصدد سعيد بن العاص فقد كان منذ سنة ٢٩ هجرية اميرا على الكوفة ولاندري هل استدعي الى المدينة ام كان وجوده فيها صدفة فاختير للعضوية،

---

٨) تاريخ القرآن ـ محمد طاهر الكردي .

(٩) المصدر السابق .

(١٠) نظرة عامةفي تاريخ الفقه الاسلامي ـ الدكتور علي حسن عبدالقادر .

كما لاندري عن القرشيين الاخرين سببا وجيها لدعوتهم للاشتراك بهذه اللجنة ..

وكلما قيل بشأن هؤلاء الثلاثة هو ان السبب في دعوتهم يعود لمعرفتهم باسان قريش او انه يعود لأجل مساعدة زيد في الكتابة ..

ويمكننا بعد هذا من اختصار وحصر المراحل والادوار الثلاثة لجمع الآيات القرآنية من صدور المسلمين وكتاباتهم الى المصحف العثماني فنقول انه قد تم في المرحلة الاولى الجمع وقد جرى ذلك كله في عهد الرسول (ص) كما قد تم في المرحلة الثانية التنسيق والتوبيب (في كتاب) وقد تم هذا في عهد ابي بكر ، أما المرحلة الثالثة والاخيرة فقد كانت مرحلة الالزام والنشر وكانت في عهد عثمان بن عفان ..

وقيل بصدد رسم هذه المصاحف موضوعة البحث ـ انه قد وجد اختلاف بسيط ما بين حروفها وانها لم تك متشابهة ١٠٠٪(١١) ..

وبصدد تعليل هذه الظاهرة قيل ان عثمان لما جمع القرآن في المصاحف ونسخها على شكل واحد وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها ، برزت بوجهه مشكلة حروف القرآن ، ولما ثبت لديه ان هذه الحروف هي من عند الله تعالى وان جمعها في مصحف واحد غير ممكن الا باعادة الكلمة لأكثر من مرة ، لذا آثر توزيعها وتفريقها في المصاحف المرسلة الى الاقطار الاسلامية فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة من البعض لكي تحفظها الامة كما نزلت من عند الله تعالى وعلى ما سمعت من رسول الله (ص)، وقد ذهب البعض الى خلاف هذا فقال ان جمع عثمان كان بحرف واحد وهو لغة قريش بينما كان جمع ابي بكر من قبل بجميع الاحرف السبعة ..

وسنشير الى هذا الامر مفصلا في نهاية الكتاب وفي فصل حروف

---

(١١) تاريخ القرآن ـ محمد طاهر الكردي .

القرآن ..

هذا وبعد ان ارسل عثمان المصاحف الى الحواضر الاسلامية طلب من الولاة والمسلمين في تلك الحواضر الا يعتمدوا على شيء من آيات الله البينات الا ما ورد في هذه النسخ الرسمية المرسلة اليهم ، كما وأحاطهم علما بأنه قد محا واحرق ما عداها ، فعليهم بدورهم اما ان يرسلوا اليه المصاحف الموجود لديهم لاحراقهااو محوها واماان يضطلعوا هم بأنفسهم ويتولوا مهمة محو ما عندهم منها واحراقها ..

وبشأن حرق عثمان للصحف والمصاحف (عدا الصحف التي استنسخ من عليها واعادها الى حفصة) فقد اعترض على خطوته هذه جملة كبيرة من المسلمين وسموه بسببها (حراق القرآن) وكانت وجهة نظرهم وأملهم انه اذا كان ولابد من اعـدام هذه الصحف والمصاحف فلا اقل من ان تمحى وتغسل في الماء او ينقلها قارب صغير ليلقيها في عرض البحر الاحمر (القلزم) المجاور لهم ..

ورغم وجاهة هذه النظرة وهذا القول ، الا اننا نرى هناك وفي نفس الوقت من تقبل هذه الفعلة — الحرق — وباركها لانه برأيهم احسن وسيلة لجعل القرآن لايستعمل وما في هذا العمل من قطع واستئصال لدابر كل ما قـد يحدث مسـتقبلا من خلاف او نزاع في حالة بقاء شيء من هـذه الصحف سالمة ..

وأضاف هؤلاء الى قولهم انه اذا كان قول الفئة الاولى هو حرمـة حرق القرآن لانها تضم اسماء الله الحسنى فضلا عن اسماء انبيائـه ورسله فأن غسل هذه الصحف او محوها (كما طالبت به) هو كالحرق في ازالة هذه الاسماء ومسحها . واذا كان الحرق اشد اثرا ووقعا من المحو كمـا تقول الاولى ، الا ان المعصية والذنب عند الله حرام سواء كان شديـدا

او دونه ، كما ان الرسول الاعظم (ص) قال « لاتنظر الى نوع المعصية ولكن انظر الى من تعصيه » ..

وللفئتين الموما اليها بصدد الحرق والغسل حجج وبينات اخرى ينتصر كل منهم بها لرأيه مما لا مجال لايرادها هنا بعد ان مررنا على اهمها واعظمها..

نعود للكلام الان عن الصحف التي اعيدت الى حفصة بنت عمر بعد ان جرى استنساخ القرآن من عليها ، فهذه لم يمسها عثمان بشيء بل بقيت محفوظة لديها ـ حفصة ـ حتى ولاية مروان بن الحكم على المدينة عام ٤٧ و ٤٨ هجرية ، وقد طلبها الاخير منها فأبت بكل اصرار وقوة ان تعطيه شيء منها خشية احراقه ، ولكن لما انتقلت الى جوار ربها تنفس مروان الصعداء وأرسل على الفور في طلب الصحف ،فقام عبد الله بن عمر باستخراجها من بيت اخته حفصة وسلمها اليه ، وقام مروان بدوره باحراق هذه الصحف اوبشقها وينقل عن مروان قوله بهذا الصدد « انه انما فعل هذا لان مافيها قد كتب وحفظ بالمصحف فخشي ان طال بالناس زمان ان يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب ويقول انه قد كان شيء منها لم يكتب [١٢] .

هذا وقد انصاع المسلمون في كافة الامصار لمصحف عثمان وتلقوه بالقبول واتفقوا على العمل به رغم ان عثمان لم يك عنيفا ولا شديدا كسلفه،وما هذا الانصياع والرضاء التام الا لان المصاحف المرسلة من قبله قد خرجت عن اجماع واتفاق اطمأنت اليه القلوب والعقول [١٣] وارتضته النفوس وباركه الاصحاب دونما استثناء ، وحتى ان الجميع قد اتفقوا على ان من نقص حرفا واحدا قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف عامدا فقد كفر ... الخ [١٤] .

---

(١٢) المصاحف ـ السجستاني .

(١٣) تاريخ القرآن ـ ابراهيم الابياري .

(١٤) القراءات واللهجات ـ عبد الوهاب حمودة .

ونحب هنا وقد وصلنا الى هذا المكان الا نمر سراعا او نتنقل الى الفصول التالية دون ان نسجل ولو شيئا يسيرا عن زيد بن ثابت [١٥]، فنحن هنا اذ نثمن جهود هذا الصحابي وعزيمته وارادته التي لاتفل عند جمع القرآن من صدور الناس وكتاباتهم (الجمع الثاني)او عند استنساخ المصاحف التي وزعت على الامصار (الجمع الثالث) من دون ان يؤثر عليه مؤثر او يفرض عليه اتجاه خاص ، بل نراه قد اتجه في طريق مستقيم خطته له الشريعة الاسلامية من دون ان ينحاز لهذه الفئة او يعادي تلك ، فنراه مثلا يقبل ويرحب بسرور واطمئنان ما جاء به ابي خزيمة الانصاري (ذي الشهادتين) من آيات ، ويرفض باصرار وعناد ما يورده عمر بن الخطاب بصدد آية الرجم رغم ان الاخير هو الآمر والناهي وبيده السلطة والسلطان وان الاول لايتعدى ان يكون فردا من سواد المسلمين لايملك من اسباب القوة والاكراه مايمكنه من فرض حرف واحد فضلا عن آية كاملة او آيات عدة ..

ونحن اذ نثمن كل هذه المآتي والمآثر التي تمتع واتصف بها زيد بن ثابت لنؤمن ونعتقد جازمين بان المجتمع المسلم في كل عصر ومصر ولا سيما في عصرنا الراهن عصر النور لا يعدم اشخاصا كثيرين يعدون بالمئات يناظرون زيدا ويماثلونه في صلب العقيدة ويحملون بين ثنايا افئدتهم نفس الطاقة والارادة التي كانت له ويمكنهم ان يقوموا ويمثلوانفس دور زيد وزيادة..

وهذه الطاقات وهذه الارادات والعزائم ستتحرك لا محالة عندما تدق

---

(١٥) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الانصاري الخزرجي ، يقال عنه انه شهد أحد واستصغر يوم بدر ، ويقال ان اول مشاهدة الخندق ، وقد كتب الوحي وغيره للرسول (ص) استخلفه عمر على المدينة ثلاث مرات ، كان عمره حين الجمع الثاني ٢٢ سنة وعمره حين الجمع الثالث ٣٥ سنة ، توفى فى المدينة عام ٤٥ هجرية عن عمر ٥٦ او ٥٤ سنة .

ساعة العمل ومتى وجدت الطرق والسبل امامها ممهدة ومفتوحة وعندئذ ستأتي بالمستحيل وتبني المعجزات بسبب ان الايمان واليقين يصنع العجائب ويخلق وسائل النجاح ولو من بين طيات العدم واليأس ..

فمتى ياترى ستتحرك هذه الطاقات المعطلة ومتى ستنتفض هذه الارادات المجمدة ... لا اخال ذلك الا قريبا ..

ونحن هنا عندما ذهبنا الى تثمين جهود زيد واتعابه في جمع القرآن لم نعدم في نفس الوقت من يؤاخذه ومن لا يتفق او يلتقي معه في بعض النقاط

ونحمد الله هنا على ان هذه المؤاخذة لاتمتد الا الى امر واحد او اثنين لا ثالث معهما وهو امر لا منفذ من ورائه للنزاع ولا سبيل عبره للخلاف والصراع ..

فمن يؤاخذ زيد على شيء يتفق معه ومع عامة المسلمين في المشرق والمغرب بان القرآن هو الذي نجده بين الدفتين بدون زيادة او نقصان ولو حرف واحد ، ولكن هـذا الاتفاق لا يبرر لديهم عدم وجود تقديم او تأخير في بعض الايات اي نقل بعض الآيات من اماكنها الطبيعية واقحامها وحشرها في اخرى لسبب مقصود او بدون سبب ، وكذلك لايبرر هذا الاتفاق تقديم بعض السور او تأخيرها عن بعضها عند الجمع ..

ان خير مثل يرده هؤلاء هنا بصدد تقديم بعض الآيات او تأخيرها هو في قوله تعالى في سورة الاحزاب « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا »[١٦] .. فآية التطهير هذه قد اقحمت عند الجمع بين آيات يخاطب الله فيها النساء — نساء النبي — موردا فيها جميعا وطبعا صيغ وعلامات التأنيث مثل « كنتن ، تعالين ، امتعكن ، منكن ، اتقيتن ، تخضعن ، قلن ، قرن ، تبرجن ، اقمن ، آتين ، اذكرن » ..

---

(١٦) الاحزاب : ٣٣ .

بينما آية التطهير المتقدمة تــدل من الفاظها وجملها على انها تخاطب الذكور دون الاناث وانها لاتنسجم مع طبيعة وشكل الآيات التي تتقدمها او تليها مباشرة ..

هذا مع العلم بأن آية التطهير هذه سواء كان محلها في غير هذا المكان أو في هذا المكان بالذات لاتعني ابدا من صياغتها ــ كما قــد يظن ــ انها تنصرف فقط الى الرجال دون النساء ، بل هي عند الجميع تخص الطرفين لان اهل البيت منهم الرجال ومنهم النساء ، وانما الخلاف فيها يكمن في محلها الصحيح من القرآن الكريم ..

اما بصدد تقديم بعض السور او تأخيرها فيقول هؤلاء بأن ترتيب السور في المصاحف العثمانية كان بأمر واجتهاد ممن جمعها (١٧) وان نزول السور لم يكن وفقا لترتيب المصحف اليوم (١٨) ..حتى ان احد الكتاب المعاصرين تمنى لو ان عثمان كان قد جمع القرآن حسب تاريخ السور ولكان ذلك مفيدا ونافعا (١٩) ..

وكل هؤلاء يتخذون من اختــلاف ترتيب السور في مصاحف كبار الصحابة كأمام الهدى علي بن ابي طالب ــ ع ــ وعبد الله بن عباس وابي ابن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وغيرهم عن المصاحف العثمانية خير دليل يعزز قولهم ويؤيد رأيهم ..

ونحن اذ نمر الآن على ذكر مصاحف كبار الصحابة فــلا أقل من ان نشير الى بعضها الآن ولا سيما مصحف الامام علي ــ ع ــ وعبد الله بن مسعود وابي بن كعب لاهميتها ومكانتها التاريخية ولنرى مبلغ مطــابقتها

---

(١٧) البرهان في علوم القرآن ــ بدر الدين الزركشي .

(١٨) فوائد قرآنية ــ احمد خيري .

(١٩) القرآن ــ محمد صبيح .

للمصحف العثماني الذي فرغنا من تفصيله الان ..

فبقدر تعلق الامر بمصحف الامام علي ــ ع ــ فقد ألمحنا من قبل الى ان الامام قد اعتكف بعد وفاة الرسول (ص) في بيته يجمع القرآن في مصحف واحد ، وانه انهى هذه المهمة في فترة جد قصيرة ، فضلا عن ان القرآن الذي نسخه وعدد آياته لا يكاد يختلف في كثير او قليل عن الذي نسخه عثمان فيما بعد ..

ودليلنا القاطع على صحة القول الاخير ــ عدم اختلاف مصحف علي عن مصحف عثمان ــ هو انه لو كان هناك ادنى تحريف او نقص او زيادة او تغيير في مصحف عثمان لما سكت عنه الامام ــ ع ــ سواء قبل ان يصل الى الخلافة او عند تشرفها به وحين باتت كافة الامصار الاسلامية تدين له بالولاء والطاعة عدا زمرة الانفصال في الشام بقيادة معاوية بن ابي سفيان ..

اقول ولما سكت الامام وهو الذي يعرفه العدو قبل الصديق من انه الفارس البطل وانه المواطن المسلم الاول الذي يجهر بالقول ولا يهمس به و الذي لايصبر على ضيم ولا يهادن في دينه ولا تأخذه في الحق لومة لائم ابدا..

لذا لم نسمع من الامام ــ ع ــ ولاحرفا واحدا يشير فيه من بعيد او قريب الى شكوكه او عدم اطمئنانه الى مصحف عثمان ، رغم ان كلماته العصماء وخطبه البليغة والتي جمعت في « نهج البلاغة » قد ملئت الخافقين ولم تترك ميدانا او موضعا اوفنا دون ان تشير اليه او تتناوله ايجازا او تفصيلا تخصيصا أو تلميحا ..

واذا ما كان هناك شيء يستحق التسجيل عن مصحف الامام علي ــ ع ــ واختلافه عن المصحف العثماني فهو شيء جانبي وامر ثانوي ، وهو ان جمع الامام علي للقرآن كان على ترتيب نزوله وتقدم منسوخه على ناسخه [٢٠]

---

(٢٠) الفهرست ــ ابن النديم .

فضلا عن كتابة تأويل بعض الآيات وتفسيرها فيه وعلى النحو الذي مر ذكره من قبل ..

ولو صح هذا القول فأن جمع القرآن بهذه الطريقة يعكس وقائع الوحي متسلسلة يوما فيوم واولا فأول وساعة فساعة بدون ان يسبق هذا اليوم للذي قبله او يتأخر هذا اليوم عن الذي بعده ..

ولعل مصحف الامام علي (ع) هذا هو الوحيد الذي لم يذق طعم النيران او يناله المسح او الغسل ، حيث احتفظ به الامام ـ عليه السلام ـ عنده وتوارثته ذريته الطاهرة من بعده ، ولا نعلم يقينا اين استقر به المقام في الوقت الحاضر .

لقد شاهدنا مرة في احدى زيارتنا لمدينة مشهد (خراسان) في ايران وفي متحف الامام الثامن علي بن موسى الرضا ـ عليه السلام ـ شاهدنا قرآنا بديعا ونادرا من جلد الغزال الابيض يقال عنه انه بخط الامام ، كما ورأينا قرآنا آخر نظيره في متحف الآثار الاسلامية في اسطنبول ـ والذي يقع بجوار مسجد السلطان سليمان ـ يقال انه مصحف الامام علي (ع) ، كما ويقال عنه انه محفوظ لدى خزانة الامام علي(ع) في الروضة الحيدرية بالنجف الاشرف ..

قد يكون هذا مصحف الامام علي او ذاك وقد لايكونا كلاهما ... من يدري . وبمناسبة الخوض هنا والبحث عن مصير مصحف الامام علي(ع) نود ان نلقي ضوءاً على مصائر المصاحف التي أرسلها عثمان الى الامصار الاسلامية واين القت عصاها واستقر بها النوى قبل ان ننتقل الى الكلام عن بقية المصاحف المنسوبة الى كبار الصحابة كمصحف عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب ...

أقول ان غالبية المؤرخين حينما أشاروا الى المصاحف العثمانية ودخلوا

في تفاصيلها أنهوا أبحاثهم وختموها بعبارات وجمل تفيد بأنه لم يعثر حتى الآن على أي خيط أو بصيص من نور يمكن ان يوصل او يهدي الى محل ومكان أي من هذه المصاحف رغم ان عددها كان خمسة او سبعة بقول آخر ..

والظاهر لديّ هنا هو ان الاحداث السياسية والتقلبات الثورية والعسكرية والحركات الطائفية والمذهبية التي هزت وعصفت بالامصار الاسلامية طيلة الثلاثة عشر قرنا الماضية وكذلك الحرائق التي اصابت المكتبات والمساجد وغيرها في هذه الفترة ومنها الحريق الاول الذي حصل في المسجد النبوي عام ٦٥٤ هجرية حيث احترقت الكتب والمصاحف والسجاد وغيرها كان لهما الدخل الكبير في فقدان هذه المصاحف الثمينة والتي تعد بحق ثروة ثقافية ودينية وتاريخية وقومية لا تعوض بحال من الاحوال ..

وقد القى قسم من هؤلاء المؤرخين وزر وتبعة فقدان هذه المصاحف وزوالها من الوجود على عاتق الحجاج بن يوسف الثقفي [1] لان الاخير حين ولايته على العراق في عهد عبدالملك بن مروان استنسخ مصحفا جديدا على غرار المصحف العثماني ونظيره بعد ان أدخل فيه عدة تغييرات تخص الحروف والقراءة في اثنى عشر موضع منه وبعدها طلب اعدام وحرق كافة المصاحف العثمانية اينما كانت والاكتفاء بهذا المصحف الجديد والذي عليه فقط أمر ان يكون الاستنساخ التالي لاي نسخة من القرآن ، وهذا المصحف هو الذي يتداوله المسلمون منذ عهد ولايته الى هذه الساعة من عمر الزمن ..

---

(١) قال الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز فى شان الحجاج : انه لو اخرجت كل امة خبيثها واخرجنا الحجاج لغلبناهم ، ولما بلغه موته خر لله ساجدا ، فضلا عن انه كان يدعو الله ان يكون موت الحجاج على فراشه ليكون أشد لعذابه فى الآخرة ..

وطبيعي ان هذا الذي يقوله القسم القليل من المؤرخين لا يقف على قدميه ولا ظل له من الحقيقة والواقع لاسباب عديدة[٢٢] منها ان سلطان الحجاج وسلطته لا يمتد في خلال ولايته على العراق عن حدوده ، كما وليس في مقدوره القيام بهكذا عمل وسيده في الشام يحصي عليه انفاسه وتحركاته ولايسكن له ان يمضي أي شيء دون أخذ موافقته وخصوصا في مثل هذا الاجراء الخطير ، هذا فضلا عن عدم سكوت المسلمين الذين كانوا اقرب الى فجر الاسلام ومعرفة بروحه وتعاليمه ، والذين لا زالت العقيدة الاسلامية وهي في عنفوان تكاملها وتأججها تلتهب في صدورهم عدم سكوتهم على ذلك وغيرها من الاسباب التي لا مجال هنا للاستطراد فيها ..

نعود الان الى الاشارة للمصاحف الاخرى فبقدر تعلق الامر بمصحف عبدالله بن مسعود[٢٣] فيقال عنه انه كان يضم ١١٢ سورة وليس ١١٤ سورة كما هو عليه الامر والحال في كل المصاحف الاخرى ، وان السورتين اللتين كان مصحفه خاليا منهما هما « المعوذتان »[٢٤] وهما « قل أعوذ برب الفلق ... » السورة ، و « قل أعوذ برب الناس ... » السورة ..

ويروون عن لسان ابن مسعود بصدد المعوذتين قوله : انها ليست من القرآ ، لان الرسول (ص) أمر ان يتعوذ بهما ، وانه قد رأى النبي (ص)

(٢٢) القرآن المجيد ـ محمد عزة دروزة ، مباحث في علوم القرآن ـ الدكتور صبحي الصالح .

(٢٣) هو عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي كان خادم رسول الله (ص) ورفيقه في حله وترحاله وقد هاجر الهجرتين وصلى الى القبلتين توفي سنة ٣٢ هجرية وهي السنة التي توفي فيها العباس عم النبي وعبد الرحمن بن عوف ..

(٢٤) الفهرست ـ ابن النديم ، تاريخ القرآن ـ محمد طاهر الكردي .

يعوّذ بها الحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ مرارا عديدة ..

ويقال هنا ايضا ان عبدالله بن مسعود لم يسجل سورة الفاتحة في مصحفه[٢٥] ، لا لانها من غير القرآن ، وانما بسبب ان القرآن الكريم انما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان ، وكل هذا مأمون في سورة الفاتحة لقصرها ولانه لا يجوز لاحد من المسلمين ترك تعلمها كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظه لحاجتهم الماسة اليها في الصلاة حيث تثنى في كل صلاة وتقرأ في غيرها من الامور والمناسبات الدينية ، فلما أمِنَ عليها العلة التي من اجلها كتب المصحف ترك كتابتها وهو يعلم انها من المصحف بالتأكيد ، حيث لو ان رجلا كتب من القرآن سورا وترك سورا لم يكتبها لم ير عليه في ذلك حرج ابدا ..

اما عن مصير هذا المصحف فنقول انه قد طلب عثمان من عبدالله بن مسعود هذا المصحف ولكن الاخير أبى باصرار ان يبعث بمصحفه الى المدينة وان يسلمه الى عثمان خشية ان يغسله او يحرقه وبذلك تذهب اتعابه في جمعه وثواب ذلك عند الله سدا ..

وقد ساء ابن مسعود هذا الطلب من عثمان لمصحفه فأوعز الى اصحابه في الكوفة ان يتمسكوا بمصاحفهم ويحفظوها من الطلب والاحراق وقال لهم : بأنه من استطاع منكم ان يغل مصحفه فليغلل فانه من غل شيئا جاء بما غل يوم القيامة ثم قال بأنه قد قرأ القرآن من في رسول الله (ص) سبعين سورة أو مرة وزيد لا زال صبيا ، أفأترك ما اخذت من في رسول الله (ص).

ولما وصلت هذه الاخبار الى عثمان أمر الاخير باشخاص ابن مسعود اليه ، ثم امر به ان يجر برجله حتى كسر له ضلعان ، ورغم هذا لم يدفع

(٢٥) القرآن ـ محمد صبيح .

بمصحفه الى عثمان واصر على ذلك حتى لفظ انفاسه الاخيرة ..

وعند وفاةابن مسعود ، طلب عثمان مصحفهمجددا ، وعند وصول هذا المصحف اليه الحقه باخوانه السابقين حرقا او غسلا ..

اما عن مصحف ابي بن كعب فيقال انه قد نقل عن ابي بن كعب من انه كتب في مصحفه سورتين تسميان (الخلع والحفد) وكان يقنت بهما[٢٦] .

والظاهر هنا ان ابياً قد ذهب في دعاء القنوط الى انه من القرآن لانه رأى رسول الله (ص) يدعو بهفي الصلاة دائما ، فتصور انه من القرآن واقام على ظنه ومخالفة الصحابة حيث لم تقم الحجة عليه بانه قرآن منزل ، بل هو لا يتعدى عن ضرب من الدعاء لا غير ،

وإلحاق (الخلع والحفد) بمصحف ابي ان صح القول ربما هو كإلحاق دعاء ختم القرآن بالمصاحف الموجودة بأيدينا ، ولو كان قرآنا لنقل الينا بالتواتر نقل بقية الآيات والسور ولحصل العلم بصحته ..

وسور مصحف ابي كما هو الحال في سور مصحف عبدالله بن مسعود ومصحف الإمام علي (ع) من قبله تختلف في ترتيبها عن المصحف العثماني ومن أحب من القراء الاطلاع على تسلسل سور كل مصحف فعليه بمراجعة كتب المصادر في آخر الكتاب وخصوصا كتاب تاريخ القرآن للزنجاني..

أما عن مصير مصحف ابي بن كعب فان صاحبه (ابي) كان قد توفى في المدينة سنة ٢٠ أو ٢٢ هجرية في اواخر ايام عمر بن الخطاب[٢٧] ، ولم

---

(٢٦) القرآن ـ محمد صبيح ، الاتقان فيعلوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي

(٢٧) يروى انه عندما سمع عمر بن الخطاب بوفاة ابي بن كعب قال « اليوم مات سيد المرسلين » وابي هو صحابي وانصاري كان قبل الاسلام حبرا من احبار اليهود ، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله (ص) ..

تك في تلك الفترة بادرة غسل أو احراق القرآن قد برزت أو شاعت بعد ..

ولكن عندما تولى عثمان الخلافة وبادر بجمع القرآن (الجمع المعروف) وعزم على احراق كل مصحف عدا المصاحف المستنسخة، طلب حينئذ مصحف ابي بن كعب فغسله وقيل احرقه اسوة بغيره وهو الارجح ..

ومهما يكن من شيء فقد عم المصحف الذي جمعه عثمان بين سائر المسلمين وتوحدت بسببه المصاحف وزالت الخلافات ، وكل هذا كان نصرا مؤزرا ومبينا للاسلام وكتابه واثباتا لقوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »[٢٨] وبذلك طاشت اسهم اعداء الاسلام[٢٩] وعادت الى نحورهم

(٢٨) الحجر : ٩

(٢٩) نشير بهذه المناسبة الى انه قد حاولت بعض الجهات المناوئة للاسلام فى العصر الحديث بعد ان ادركت اعجاز القرآن وان لاسبيل لمحاكاته او نقضه حاولت تلك الجماعات المريبة ومنها بعض الزمر الصهيونية ان تتجاوز على القرآن وتتصدى له عن طريق آخر ، هو طريق التبديل والتحريف والتغيير ، متصورين ان هذا العمل والفعل قد يحقق لهم بعض اغراضهم الدنيوية الدنيئة واهدافهم الملتوية ومعتقدين فى نفس الوقت ان هذا التحريف سهل ويسير وليس هناك من يشعر بفعلتهم او يحس باحابيلهم اويفضح تخرصاتهم واعمالهم .

ان محاولات هؤلاء بصدد تحريف القرآن ومثلهم الصادق فى ذلك لايتعدى قول من قال :

كناطح صخرة يوما ليوهنها   وما اضرها واوهى قرنه الوعل

اجل قامت تلك الزمر فى سبيل تحقيق أغراضهم بطبع نسخ محرفة من القرآن وارسلوها الى كافة بلاد العالم التي تظن انها أسواق رائجة لاباطيلها وضلالاتها مثل بلاد غانا وغينيا ومالي والسنغال ونيجريا والمغرب وبعض الدول الافريقية والاسيوية الاخرى ..

وما درى هؤلاء ان للقرآن اسلوبا ونظما الهيا وعجيبا أعجز الاولين

وانهارت كافة آمالهم بشأن التشكيك في القرآن أو الطعن في طريقة جمعه

والآخرين عن ان يأتوا بمثله او يبدلوا او يحرفوا بعض آياته كما سترى تفصيله فى فصل لاحق وهو « اعجاز القرآن » وان محاولاتهم ستلتقي وتؤول مع محاولات السابقين الى الانهيار والفشل الذريع ..

هذا وقد تنبه المسلمون فى حينه لهذه البادرة السيئة فاذاعت جامعة النجف الاشرف وعلى راسها الامام الحكيم ـ حفظه الله ـ ومشيخة الازهر بيانا فى وقته كشفت فيه عن النوايا العدوانية التي تختبيء وراء هذه الاعمال وما يترتب عليها من عواقب وخيمة ومضاعفات خطرة ..

وقد طالبت المسؤولين بضرورة تدارك هذا الامر بحزم وسرعة قبل استفحاله وقدلبى المسؤولون ـ مشكورين ـ فى مشرق العالم الاسلامي ومغربه الطلب فبادروا وسعوا حتى حصلوا على جميع النسخ المحرفة وابعدوها عن ميدان الايدي والانظار ، وهكذا نكرر مرة اخرى قوله تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » * .

هذا وان غالبية الحكومات الاسلامية قد منعت اي شخص او جهة معينة من طبع ونشر القرآن الكريم الا بعد مراجعته وقراءته من قبل لجان دينية وحكومية خاصة ، وحين التاكد لديها من سلامته من اي خطا او تحريف او تغيير يصرح لذلك الشخص او الجهة بنشر نسخ القرآن ووضعها فى التداول .

وفى الجمهورية العربية المتحدة ـ حيث تطبع فى مطابعها غالبية المصاحف فى العالم الاسلامي ـ نجد ان مراحل طبع المصاحف يتطلب الحصول على اذن وزارة الداخلية اولا ثم يحول الطلب الى مشيخة المقاريء العربية والتي تقوم بدورها بمراجعة المصاحف وتبيان ما اذا كان هناك اخطاء مطبعية او التباس او اشتباه ، وفى حالة خلوها من اي شيء يعطى الاذن اللازم بنشر هذه المصاحف

* اليهودية بين المسيحية والاسلام ـ خلف محمد الحسيني .

ونسخه وهذا هو مصير اعداء الله خزي في الدنيا وعذاب في الآخرة وبئس المصير ..

وتداولها ، وهذه الاجراءات القاسية تظهر لنا السبب فى دقة الطبعات للمصاحف التي تطبع فى ارض الكنانة ووادي النيل ..

وكل هذه المراحل والاجراءات المتخذة هنا وهناك هي — فى الحق — من اجل الا ينال القرآن الكريم اي تحريف او تبديل ، وليبقى كما اراده الله له خالدا وثابتا خلود الزمن وثبوت الرواسي ، وكأن الشاعر كان يقصد هذا المعنى حينما قال :

وعلى رغم المعاند والمعادي لواء محمد أبدا يرف

ضبط القرآن

عند فراغ زيد بن ثابت من كتابة المصحف على الوجه الذي مر ذكره راجعه ثلاث مرات ، ويروى — فيما يروى — هنا انه في خلال العرضة الاولى للقرآن افتقد فيه آية طالما كان رسول الله (ص) يرددها وهي قوله تعالى « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »[١] وقد وجدها بعد التحري عنها لدى خزيمة بن ثابت فألحقها بمكانها من القرآن ..

كما انه في خلال العرضة الثانية لم يجد في المصحف آية أخرى سبق ان سجلها في الصحف عند الجمع الثاني للقرآن وهي قوله تعالى « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم »[٢] ففتش عنها بين المهاجرين والانصار حتى وجدها لدى ابي خزيمة الانصاري « ذي الشهادتين » والذي مر ذكره سابقا ، فوضع الآية كذلك بمكانها الصحيح من المصحف[٣] ..

وفي العرضة الثالثة والاخيرة لم يجد شيئا من القرآن لم يدوّن في المصحف ..

بقيَ علينا هنا ان نقف ولو قليلا عند الفقرات المتقدمة لنتساءل عن

(١) الاحزاب : ٢٣ .

(٢) التوبة : ١٢٨ .

(٣) تاريخ القرآن — محمد طاهر الكردي .

السبب الذي لم يدع زيد ليثبت الآيتان المفقودتان والمشار اليهما انفا من تلقاء نفسه من دون الحاجة الى البحث عنهما في صدور المسلمين واوراقهم ، طالما انه متأكد من صحتهما ونزولهما وانه يحفظهما حفظه لبقية آيات القرآن الاخرى فضلا عن انه قد سبق له ان سجلهما في الجمع الثاني للقرآن ..

أقول جوابا على هذا التساؤل بأن السبب الرئيس في عدم تسجيل هاتين الآيتين يعود الى رغبة زيد لتنفيذ التعليمات والوصايا التي سبق له ان تلقاها وهو عدم تسجيل شيء وكتابته بدون شاهدين ، ولما كان ابو خزيمة يمثل شاهدين فقد سجل زيد الآية التي كانت عنده ..

أما كيف أمكن تدوين ما جاء به خزيمة بن ثابت مع انه شاهد واحد ولم يدعمه شاهد آخر ، فالواقع هنا ان زيدا كان واثقا من الآية وثوقه من غيرها وانه سبق أن سجلها عند الجمع الثاني ، ولو لم يجدها — جدلا — لطلب من عثمان في أقوى الاحتمالات تسجيلها أو لا أقل من مفاتحته بشأنها، ولكن حينما وجدها لدى خزيمة كانت شهادة الاخير مضافة الى تسجيل زيد ابن ثابت لها سابقا مع يقينه التام بها بمثابة شهادتين ، لذا سجلت الآية ووضعت في مكانها المقرر من القرآن الكريم ..

قلنا قبل قليل ان زيد بن ثابت في خلال العرضة الثالثة والاخيرة للمصحف العثماني لم يجد فيه شيئا فقدّمه الى عثمان مرفقا اياه بمذكرة قصيرة يخبره فيها بأنه قد انهى ورتب المصحف على النحو الذي طلبه ولم يترك شيئا من آيات الله البينات دون ان يسجلها ، وهذه المذكرة تشبه المذكرات التفسيرية التي تصحب صدور المراسيم والقوانين المشرعة والتي تظهر الاسباب الموجبة لها وشرح موجز لهذه المراسيم والقوانين ومراحل تطورها وتاريخها ..

وقام عثمان بدوره بمراجعة المصحف فألفاه كاملا وتاما فأمر بتوزيعه

على الاقطار الاسلامية على النحو الذي اشرنا اليه في الفصل السابق ..

ان مراجعة عثمان للمصحف هنا ومراجعة زيد له من قبل ما هو إلا حرص منهما على عدم وقوع الاشتباه في المصحف او حدوث زيادة او نقصان فيه ، وبذا خرج المصحف عن اجماع ارتضاه كافة المسلمين في المشرق والمغرب حتى ان السير وليم موير وهو من ألد خصوم الاسلام يعترف بذلك بقوله «والنتيجة التي نستطيع الاطمئنان الى ذكرها هي ان مصحف زيد وعثمان لم يكن دقيقا فحسب ، بل كان كما تدل عليه الوقائع كاملا ، وان جامعيه لم يتعمدوا اغفال أي شيء من الوحي ، ونستطيع كذلك أن نؤيد ــ استنادا على أقوى الادلة ــ ان كل آيــة من القرآن دقيقة في ضبطها كما تلاهــا محمد »[٤] .

لقد نوهنا فيما مضى وبصورة مقتضبة بأن المصحف العثماني كان خاليا من النقط والحركات (الشكل) لان كل هذه لم تك معروفة منذ خلق اللغة ، لان الحاجة اليها حينئذ لم تكن ملحة ولا ضرورية ، نظرا لان العــرب في الامصار كانوا يميزون ويقرأون الاحرف بالسليقة والفطــرة ولا يحتاجــون لقراءتها قراءة صحيحة الى استعمال الحركات ولا الى وضع النقط ..

لذا ظل الناس في مختلف الامصار الاسلامية يقرأون القرآن في مصحف عثمان ولمدة طويلة امتدت الى ما يقرب من الاربعين سنة بدون نقط وبدون حركات ..

ولكن عندما امتدت الفتوحات الاسلامية في المشارق والمغارب ودخلت في الاسلام طوائف وامم غير عربية ، اختلط هؤلاء المسلمين الجدد بأخوانهم العرب ، فأدى هذا الاختلاط الى ان اخذت السليقة والفطرة العربية تفقد

---

(٤) حياة محمد ــ الدكتور محمد حسين هيكل .

شيئا فشيئا مكانتها ومنزلتها في نفوس العرب ، حتى بات الالتباس واللحن على لسان القراء العرب يظهر ويتجلى جليا ومكشوفا وخصوصا في قراءة الاحرف المتشابهة الشكل والتي لا يفرقها عن بعض الا النقط مثل «ننشزها» بالزاء و «ننشرها» بالراء ونحو « لتكون لمن خلفك آية » بالفاء و « لتكون لمن خلقك آية » بالقاف .

وكذلك التفريق بين الحروف المتشابهة الاخرى نحو « ب ت ث » و « ج ح خ » و « ع غ » و « ص ض » و « س ش » ... الخ

هذا واذا ما كان الالتباس واللحن قد ظهر جليا وسافرا على ألسنة العرب في التفريق بين الحروف المتشابهة ، فهو على السنة المسلمين من غير العرب كان أشد وطأة واعظم سبيلا ، حيث كان هؤلاء المسلمين يلاقون صعوبات هائلة وكبيرة في قراءة القرآن مما تطلب الحال السعي لوضع نقط للحروف لتمييزها كما سيأتي بيانه بعد قليل ..

وبهذا الصدد نقول ان عامة المسلمين في الصدر الاول من الاسلام كانت تكره أن يزيد أحد شيئا على ما في مصحف عثمان ولو بقصد الاصلاح والتحسين ، وذلك مبالغة منهم في المحافظة على اداء القرآن كما رسمه المصحف اولا ، وخشية الابتداع والاضافة و التغيير فيه ثانيا ، وكانوا ايضا يوافقون المصحف المذكور في كل ما يكتبون وينسخون من مصاحف ..

إلا ان الضرورة والحاجة بعد ذلك (والضرورة تقدر بقدرها) خففت أو أزالت من غلواء هذه الكراهة وهذه الحرمة وبات أمر وضع النقط والحركات في القرآن شيئا محمودا ومباركا وحتى وصل الحال الى درجة انه خيف أن يؤدي تجرد المصحف من هذه العلامات الى التغيير والتحريف فيه.

لذا فلا يمكن تصور وجود مصحف كتب منذ أكثر من الف سنة حتى

(٥١) يونس : ٩٢ .

هذه الساعة خاليا من النقط والحركات ، والتي أصبح وجودهما وكتابتهما فرضا وواجبا كوجوب الحروف نفسها في المصحف ..

علما بأن الحركات التي وضعت في المصحف قديما كانت أولية وبسيطة وانها تطورت بمرور الزمن حتى اخذت وضعها الحالي الذي عليه الآن ..

وسنشير الى كل هذا في الاسطر التالية بإذن الله :

ان فضل ايجاد الحركات (الشكل) ووضعها وكيفية ذلك يعود الى ابي الأسود الدؤلي بعد واقعة وحادثة طريفة جرت بينه وبين الحجاج بن يوسف أو زياد بن سمية بقول آخر حينما كان الاخير واليا على البصرة ، خلاصتها هو ان الاخير هذا حرّض شخصا من اتباعه على الوقوف في طريق ابي الأسود ليسمعه قوله تعالى « إن الله بريء من المشركين ورسوله »[6] يجر لام رسوله ، فما يكاد يسمع أبو الأسود هذا اللحن الصارخ حتى بفزع ويغضب لذلك ويقول : « عز وجه الله ان يبرأ من رسوله » فآلى على نفسه حينئذ مراجعة الوالي والتهيؤ لوضع طريقة جديدة من أجل تشكيل حروف القرآن ليمكن القضاء على اللحن عند قراءتها ..

وأبو الأسود هذا الذي وضع الشكل (الحركات) في القرآن ــ كما سترى ــ وينسب كذلك الى تلاميذه وضع النقط فيه بعد ذلك ، أقول ان أبا الاسود هذا هو غني عن التعريف والوصف فهو أحد تلاميذ الامام علي بن أبي طالب (ع) وانه وضع بالاضافة الى الحركات مسائل عديدة في العربية بأمر وارشاد من الامام (ع) وهي المسائل المتعلقة بتقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف ووضعها جميعا تحت باب جديد أطلق عليه « النحو » والذي لازال مستعملا حتى هذه الساعة ..

---

(٦) التوبة : ٣ .

وقد سئل أبا الاسود مرة من اين لك هذا العلم « علم النحو » فأجاب بأنه قد لقن حدوده ومبادئه من علي (ع) .

كما وقيل بأنه (أبا الاسود) قد دخل على امير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فوجد في يده رقعة فقال : ما هذا ياامير المؤمنين .. ؟ فقال الامام تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء ـ الاعاجم ـ فأردت ان أضع شيئا يرجعون اليه ويعتمدون عليه ، ثم القى اليه الرقعة وفيها مكتوب الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما انبىء به والحرف ما أفاد معنى . وقال له : انحو هذا النحو وأضف اليه ما وقع اليك ، واعلم ياأبا الاسود ان الاسماء ثلاثة : ظاهر ومضمر واسم لاظاهر ولا مضمر .... الخ .

وكيفية تشكيل ابي الاسود (٧) للقرآن (علما بأن الشكل سبق وضع النقط في القرآن لذا أثرنا تقديمه في البيان) هو انه طلب من أحد كتابه أخذ المصحف المبارك وصبغا يخالف لون المداد ، وأخبره بأنه اذا رآه يفتح شفته بالحرف فلينقط نقطة واحدة فوقه ، واذا كسرها فلينقط واحدة أسفله واذا ضممتها فليجعل النقطة بين يدي الحرف ، واذا تبعت شيئا من هذه الحركات غنة فلينقط نقطتين ..

وهكذا أخذ أبو الاسود يقرأ بتؤدة والكاتب يضع النقط ، وكلما اتم صحيفة القى ابو الاسود عليها نظرة عامة ، واستمر الامر على هذا المنوال حتى أعرب المصحف كله ، كما وترك السكون بلا علامة ولا اشارة ..

وقد أخذ الناس هذه الطريقة عن أبي الاسود وكانوا يسمون هـذه النقط شكلا حتى تفننوا في هيئة وشكل النقط ، فمنهم من وضعها مربعة

---

(٧) توفى ابو الاسود فى البصرة عام ٦٩ هجرية ودفن فيها ..

ومنهم من وضعها مدورة ثم زادوا علامات في الشكل الى أن وصلت الينا بالوضع الذي نستعمله الآن [٨] ..

وتفصيل تطور الشكل هذا منذ عهد أبي الاسود حتى الآن كما يرويها مؤرخ آخر ، هو أن الناس في عهده جروا على طريقته وكانوا اذا رأوا حرفا بعد التنوين من أحرف الحلق وضعوا أحدى النقطتين فوق الاخرى علامة على ان النون مظهرة والا وضعوها بجانب الاخرى علامة على ان النون مدغمة او خفيفة ..

ثم أخترع أهل المدينة للحرف المشدد علامة على شكل قوس طرفاه الى الاعلى هكذا « ب » ثم زاد اتباع وتلاميذ أبي الاسود علامات أخرى في الشكل فوضعوا للسكون جرة افقية فوق الحرف منفصلة عنه سواء كان همزة او غير همزة ، ولألف الوصل جرة في أعلاها منفصلة به أن كان قبلها فتحة وفي أسفلها ان كان قبلها كسرة وفي وسطها ان كان قبلها ضمة هكذا

وهذه العلامات ابتداءً من النقط التي وضعها ابو الاسود حتى هذه الخطوط التي تطورت اليها كل هذه كانت تسمى شكلا حتى تطورت بعد ذلك ووصلت الينا بالصورة والحالة التي نستعملها الآن في القراءة والكتابة [٩] .

أما بشأن النقط « التنقيط » فقد قام بوضعها وخلق فكرتها كل من يحي بن يعمر العدواني المتوفي في خراسان عام ١٢٩ هجرية ونصر بن عاصم الليثي (وهما ممن أخـذ كل ذلك وتتلمذا على يد استاذهم القدير أبي الاسود الدؤلي) .

وكيفية وضع النقط في القرآن هو انهما أحضرا مصحفا ووضعا فيه

---

(٨) تاريخ القرآن ــ محمد طاهر الكردي .

(٩) تاريخ القرآن ــ ابي عبدالله الزنجاني .

النقط أفرادا وأزواجا لتمييز الاحرف المتشابهة كالدال والذال والطاء والظاء ، فأهملت الاولى وعجمت الثانية من فوق بنقطة واحدة وهكذا الحال في بقية الحروف (١٠) ..

وقد جرى الناس عليها حتى الوقت الحاضر بدون تغيير او تبديل فيها يذكر ..

وبصدد علامات الوقف والوصل فانهما (كالنقط والشكل) محدثة وليست أصيلة وقد وضعت في القرآن على اكبر الاحتمالات في خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين من قبل اعلام القراء والنحويين لأجل ضبط قراءة القرآن واتقان اداء جمّلة ومعانيه ..

ان تأخر وضع هذه العلامات (الوقف والوصل) لعدة قرون لايعني ان النبي (ص) والاصحاب والتابعين في عصرهم لم يكونوا ليقفوا في مواقف الوقف أو يوصلوا في مكانات الوصل ، بل كان الرسول (ص) والاصحاب والتابعين يعطون الآيات الكريمة خلال قراءاتهم وتلاواتهم ما تستحقها من وقف ووصل وسكون وكل ذلك أعتمادا على السليقة والفطرة كما هو الحال نفسه في الشكل والنقط قبل وضعهما ..

لذا فقد جاء وضع هذه العلامات « الوقف والوصل » على المصاحف من باب تذكير القارىء للقرآن بدلالاتها التي كانت تعتمد سابقا ــ كما قلنا ــ على السمع والسليقة والفطرة ..

وعلامات الوقف والوصل هذه نجدها مسجلة في نهاية الغالبية العظمى من المصاحف عند الفهرست ليمكن الرجوع اليها عند الحاجة ..

أما بشأن ارقام الآيات والتي وضعت هي الاخرى متأخرة فهي لأجل أن تفصل كل آية عن التي قبلها او بعدها ، وليس هذا الترقيم بضروري

---

(١٠) تاريخ القرآن ــ ابي عبدالله الزنجاني .

أو ذو فائدة كبيرة عدا تسهيل الامر على القاريء للعثور على أية آية مطلوبة او لمعرفة عدد آيات كل سورة لاغير ..

ولما كان الترقيم غير ضروري ولا واجب محتم في القرآن ، نرى بأم اعيننا طبعات عديدة للقرآن وفي متناول أيدينا الآن لاتضم اي ترقيم للآيات وانما تستعيض عنه بنقاط كبيرة ظاهرة لترشد القاريء الى نهاية آية واستئناف آية أخرى ..

والظاهر هنا أن المسلمين في صدر الاسلام وبعده لفترة طويـلة لم يستعملوا لاالترقيم ولا النقط البارزة ، وانما كانوا يكتفون عوضها بنقاط عادية للفصل بين الآيات الكريمة مثلما نجده الآن في بعض الطبعات الخطية والمطبوعة ..

ومن المحدثات الاخرى هو تقسيم القرآن الى ثلاثين جزء وكل جزء الى حزبين والحزب الى اربعة ارباع والربع (الذي هو جزء من مائتين واربعين جزء) الى قسمين يسمى كل قسم « الثمن » والاشارة الى كل ذلك برسوم وعلامات خاصة لأجل تسهيل الحفظ وتيسير العثور على السور والآيات المطلوبة من القرآن من دون تحمل كبير عناء او طويل وقت ..

وسيجد القارىء والقارئة مزيدا من هذه المحسنات التي ادخلت في القرآن بعد جمعه بعدة قرون ، سيجدها في فصل مقبل يحمل اسم «العناية بالقرآن » .

القرآن المكي والقرآن المدني

لاشك وانه لم يقتصر نزول القرآن الكريم على مكان واحد ولا بلد واحد ، فهناك آيات نزلت في مكة المكرمة وأخرى نزلت في المدينة وغيرها هبطت في الجحفة والطائف والحديبية وخم ٠٠٠٠ وغيرها من الاماكن ٠٠

وفي سبيل دراسة وفهم وشرح هذه الآيات للناس وتلمس امكنة نزولها واسبابها وأغراضها وتاريخ الحوادث التي عرض لها القرآن وضعت اوبقول آخر وجدت هناك قواعد وضوابط مختلفة تشبه تلك التي نجدها في اللغة العربية ودعت الى تقسيم الجمل والافعال الى عدة أقسام ، او تلك التي نراها في عالم الكيمياء ودعت لتقسيم المعادن الىفلزات وغير فلزات(لافلزات) والمواد الى صلبة وسائلة وغازية ٠٠٠

وكل هذه التقسيمات الانفة وغيرها انما وجدت من أجل سهولة دراستها وتفهمها وباقل ما يمكن من العناء والجهد ٠٠

وهكذا الحال في آيات القرآن الكريم حذو القذة بالقذة حيث وجدت فيه آيات مكية ومدنية وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ومطلق ومقيدوعام وخاص ٠٠٠٠٠ الخ سنشير الى بعضها في هذا الفصل والفصول التالية ٠٠

فيلزم والحالة هذه على المفسر للقرآن او الشارح له والخائض فيه ان يلم بكل هذه الامور والاحوال بتقسيماتها وتشعباتها وفروعها ويستوعبها عن كثب ويفهم أغراضها ومقاصدها قبل ان يشرع في كتابته عن القرآن او ان يبدأ في تدوين شيء عنه ٠

ان عدم التقيد حرفيا بكل هذا سيؤدي بالمرء لأن ينحرف عن الحقيقة ويخبط في الاحكام خبط عشواء وسيوقعه في التناقضات والبعد عن الحق والصواب • وكمثل بسيط على هذا الانحراف والشطط والبعد عن الحق والواقع وخلط الايات المكية في المدنية (قبل ان نأتي على تفاصيلها) هــو قول من يقول بنسبة هذهالآية وهي قوله تعالى « ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعــد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم » [١] •

أجل نسبة والصاق هذه الآية من سورة التوبة والتي هي سورة مدنية نزلت في السنة الثامنة من الهجرة وتعد من أواخر ما نزل من القرآن ــ كما مر سابقا ــ نسبتها الى أبي طالب ــ عم الرسول (ص) وادعاء انها نزلت حال وفاته واستغفار الرسول نفسه له ••

وسنعرف الآن مدى بعد هذه النسبة وهذا الزعم عن الحقيقة اذا ما علمنا بأن وفاة أبي طالب كانت قبل الهجرة بثلاث سنوات او اكثر وان بين وفاته وبين نزول هذه الآية اكثر من احد عشر سنة ••

هذا بالاضافة الى الدلائل القاطعة التي تشير الى ايمان أبي طالب وانه قد تظاهر بوجه قريش بعدم أسلامه (كمؤمن آل فرعون) وذلك لحكمة بالغة وهي المحافظة على الرسول وعدم السماح للقرشيين بالقضاء عليه وعلى الدعوة الجديدة النامية ••

ومصداق كل ذلك تجلى واضحا بعد وفاته حيث بات موقف الرسول (صلى الله عليه وآله) وأصحابه قلقا وضعيفا ممــا دعاه للتفكير بالهجرة على المدينة بعد ان مات في مكة الناصر له (ص) والمعين الممثل في عمه ابي

---

(١) التوبة : ١١٣ •

طالب ـ رحمه الله ـ .

ولذا ولكل مامر من كلام وبيان حرص اقطاب أهل البيت والصحابة والتابعين والفقهاء على دراسة القرآن دراسة موضوعية وكشف اوجه التمييز والفروق بين المكي من الايات والمدني والناسخ منها والمنسوخ والمحكم من المتشابه ..... الخ فضلا عن تلمس اسباب النزول وخصائص ومميزات كل منها ..

وكل هذا العمل والسعي هو لاجل المام واستيعاب عموم المسلمين للآيات الكريمة وحتى لا يقعوا في الاخطاء والتناقضات كتلك التي وجدناها في قصة ابي طالب اوفي غيرها من الاحكام حيث سنمر مرورا عابرا مرة ثانية على هذا الامر في فصل « تفسير القرآن » ..

قلنا في مطلع هـذا الفصل بأن آيات القرآن لم تنزل كلها في مكة او في المدينة المنورة بل نزلت ايضا في اماكن اخرى ، وان اول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه نزلا في خارج مكة والمدينة في حراء وغدير خم على التوالي ..

واذا كانت كافة الايات الكريمة لم تنزل في مكة او في المدينة فلا يمكن هنا تجاهل الحقيقة والواقع وهو ان الغالبية العظمى منها نزلت فيهما ..

كما ولا يمكن بعد ذلك تناسي او تجاهل وجود حـدث دولي هام ولحظة حاسمة وخطيرة ونقطة تحول هامة يقف فاصلا بين عهدين ووضعين هما وضع حالة وطبيعة عمل الرسول (ص) واصحابه واسلوب الدعوة في مكة المكرمة وفي المدينة المنورة ألا وهي الهجرة النبوية الشريفة [٢] التي هي

---

(٢) اجبنا فى هـذا الموضع الاشارة الى سبب اتخاذ المسلمين للهجرة النبوية دون المولد او المبعث او غير ذلـك تاريخا لهم وابتداوا بها من عنـده ، فيروى انه قد رفع الى عمر بن الخطاب صك كان وقته فى شعبان فقال : اي شعبان المقصود هل هو الذي نحن فيه او الذي هو آت ..

في الواقع والحقيقة اهم يوم في حياة الرسول (ص) وفي تاريخ الاسلام ايضا ..

فقد كان الرسول والمسلمون قبل الهجرة في كنف عدو جبار لا يرحم ولا تلين له قناة يتربص بهم الدوائر ويحصي عليهم انفاسهم ولا يملك المسلمون ازاءه الا المسالمة والاختفاء والترقب وانتظار الفرج ..

كما أن ابا موسى الاشعري كتب الى عمر انه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فكيف نعمل بها فى هذه الحالة ..

لذا جمع عمر اصحاب رسول الله (ص) سنة ١٧ هجرية واستشارهم (كعادته) فيما دهمه من الحيرة والارتباك فى صدد الوقت ، وطلب منهم وضع تأريخ للمسلمين يتعاملون عليه ، فقال بعضهم نكتب على تاريخ الرومان فقيل انه يطول علينا ، وقال الآخرون بل نكتب على تاريخ الفرس فقيل ان الفرس كلما قام منهم ملك طرح التاريخ الذي قبله ، فاختلفوا بصدد التاريخ اشد الاختلاف . .

وفى الاخير اتفق الجميع دونما استثناء على ان اظهر الاوقات وابعدها عن الشبه والاختلاف وقت الهجرة وموافاة الرسول (ص) المدينة ، وكانت فى شهر ربيع الاول ، فعمل عليها وارخ منها ، وترك المولد والمبعث والوفاة وبقية الوقائع والحوادث المهمة فى الاسلام ..

وقيل فى صدد ترك بعض هـذه الوقائع هو ان كلا من المولد والمبعث فيهما خلاف عن وقتهما الصحيح ، وأما وفاته (ص) فانه وان كان معلوما لدى الجميع الا انه لا يستحسن ان يؤرخ التاريخ بموته (ص) لئلا يكون وفاته عيدا وفرحا للمسلمين ..

لذا اتخذت الهجرة النبوية تاريخا للمسلمين لان بعد الهجرة استقام امر الاسلام وأدبر الكفر ونجا الرسول (ص) من ظلم مشركي مكة ، وتوالت له بعدها الفتوح والانتصارات والانتقال من نصر الى نصر حتى فتحت مكة ودخلت الشعوب والقبائل تترى فى الاسلام وخفق بعدها علم الاسلام فى المشرق والمغرب.

ولكن بعد الهجرة المباركة اتسع مجال الدعوة ولاح في الافق الامل والرجاء واصبح المسلمون في المدينة هم اسياد الموقف عن طريق تضاعف انصارهم واشياعهم واخذوا في العمل لبناء الدولة الجديدة وتثبيت اركانها ودعائمها ..

وقد تدرجوا في التقدم والتضامن والقوة حتى اصبحوا في موضع ودرجة لم يجد المكيون بدا أزائه الا الخضوع له وتسليم مفاتيح بلدهم وهم صاغرون ..

لكل هذا كان امرا طبيعيا ان تتجاوب الايات المنزلة على الرسول (ص) وتتفق مع سير هذه الاحداث وتطورها من مكة الى المدينة المنورة ..

فما ينزل في الاولى ـ مكـة ـ وحالة المسلمين يرثى لها والدعوة لا تزال في منطلقها وبدايتها يختلف عن الآيات المنزلة في الثانية حيث تنفس المسلمون فيها الصعداء واخذوا في بناء امة وبعث دولة ستمتد حدودها في بحر سنين معدودة الى كل ما كان معروفا من المعمورة فيرتفع للاسلام علم في اقصى الشرق وعلم في اقصى الغرب ..

ومن خلال كل هذا امكن دراسة كافة الايات المنزلة واغراضها ، فأمكن لذلك تصنيف وترتيب هذه الايات الى نوعين وشكلين ، دعي احدهما المكي بينما سمي الاخر بالمدني ، كما امكن تبيان خصائص كل منهما وميزاته وسيرد ذكرهما بعد قليل وبشيء من الاسهاب ..

هذا وان سبب تسمية الايات بالمكية والمدنية وتحديدها الدقيق لم يتفق عليه بين جموع الفقهاء والمؤرخين بل تشعبت وافترقت الى اتجاهات ثلاثة وان كان الرأي والقول الاول هو المفضل والمعمول به بين غالبية هؤلاء الفقهاء والمؤرخين الساحقة ..

اما هذه الاتجاهات الثلاثة في سبب وعلة تسمية الآيات بالمكية والمدنية فهي ما نشير اليها ادناه وعلى التوالي [٣] .

---

(٣) الاتقان فى علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي .

١ ــ ان المشهور بين الناس والمتعارف ما بينهم هو ان المكي ما نزل قبل الهجرة المباركة سواء نزل في مكة او في خارج مكة وهي المدة التي امتدت الى ١٣ سنة كاملـة او ١٢ سنة و ٥ أشهر و١٣ يوم على وجـه الحصر وتكون الايات المكية ٦٣٪ من القرآن ..

وان المدني من القرآن هو مانزل بعدها (بعد الهجرة) سواء نزل في المدينة ذاتها او مكة او الجحفة او غدير خم وتساوي ٣٧٪ من القرآن وهو مجموع ٢٣ سورة ..

وعلى هذا القول ــ كما نوهنا آنفا ــ تسير الغالبية من المسلمين وبه تأخذ وهو المعول عليه في مطالع السور في كافة المصاحف الموجودة في ايدي المسلمين من انها سورة مكية او مدنية ، فالسورة المكية اذا نزل اولها في مكة قبل الهجرة وان تخللتها آيات مدنية ، والمدنية اذا نزل اولها بعد الهجرة بالمدينة وان تخللتها آيات مكية .

٢ ــ وقيل ان المكي مانزل بمكة وضواحيها ولو بعد الهجرة ،اما المدني من القرآن فهو مانزل بالمدينة واطرافها ، واما مانزل بين المدينتين فينسب الى اقربهما مسافة ..

٣ ــ وقيل اخيرا ان المكي هو ما جاء لاهل مكة بينما المدني ماوقع خطابا لاهل المدينة ، وهذا قول ضعيف لان آيات القرآن غير متخصصة لسكان مدينة خاصة ليصح هذا التمييز ..

هذا وبعد ان عرفنا آنفا سبب وعلة تقسيم الآيات الى مكية ومدنية والمعيار الذي يؤخذ به ويعمل في هذا التقسيم علينا الآن ان ننتقل الى الموضوع الآخر وهو بيان خصائص وميزات كل من هذه الايات واوجـه الفرق بين كل من الايات المكية والمدنية فيما اذا كان هناك فروق تذكر ..

لقد قيل في هذا الصدد ان الفروق والمميزات بين الايات المكية والمدنية

هي ما يلي :

١ – ان الناظر الى الايات المكية يراها بصورة عامة قصار الحجم وذات حرارة في التعبير وتجانس في الصوت بالتزامها بنغمات موسيقية معينة بخلاف الايات المدنية التي تكون عموما طويلة وذات اسلوب تشريعي هادئ ..

ودليل القصر والطول هو ان السور المدنية التي تزيد على ٣٧٪ من القرآن بقليل يبلغ مجموع آياتها ١٤٥٦ آية ، أي اقل من ربع القرآن(٤) وهذه الميزة هي الغالبة في هذه الايات وان كان لها شذوذ واستثناءات قليلة..

٢ – ان خطاب الله سبحانه للجمهور في الايات المدنية يغلب عليه قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا » وهذا وضع طبيعي اذا ماعلمنا بأن غالبية الناس في البيئة الحجازية في العهد المدني قد تحولت الى الاسلام او هي في الطريق اليه ..

اما السور المكية فلا نشاهد فيها قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا » بل تطالعنا عوضها قوله تعالى « يا أيها الناس » وكلما ورد في الايات المدنية من قوله تعالى « يا أيها الناس » لا يتجاوز السبعة مرات فقط ..

وسبب ورود « يا أيها الناس » في الآيات المكية هو ان عدد المسلمين في العهد المكي كان يعد على الاصابع ، ولما كانت الآيات تهبط لتخاطب الاكثرية (وهم الكفار) لتمهد لهم طريق الايمان والاسلام ، كان امرا طبيعيا أن تخاطبهم بلفظ الناس ، وهذا اللفظ يستوعب الكفار كما يستوعب ويسع في نفس الوقت المسلمين في المخاطبة ..

٣ – ليس في معظم الآيات المكية اية تفصيلات للتشريعات والقوانين بل هي تدعوا دوما للتمسك بالاخلاق الكريمة والاستقامة على الخير ونبذ

(٤) تاريخ التشريع الاسلامي – الشيخ محمد الخضري .

عبادة الاوثان ثم الايمان بالبعث بعد الموت والحساب في يـوم الجزاء ، بسبب ان الاسـلام لم يزل حينئذ غضا طريا ، وان الحاجة الملحة كانت تدعوا اولا لتصحيح الاعتقاد عن طريق انتزاع عقيدة الشرك وتثبيت عقيدة التوحيد واقامة مختلف الادلـة والبراهين على اثباتها ، فضلا عن تحذير العصـاة والكافرين بعذاب اليم وعقاب جسيم عند الموت ..

اما التشريع التفصيلي كالمعاملات والقوانين الاجتماعية والدولية والحدود والفرائض وتفاصيها فتحفل بها الايات المدنية ، بسبب ان سلطان الاسلام قد استتب على اطراف البلاد ، كما واخذت انواره واشعته تتجه الى خارج الجزيرة العربية ، وهذا يتطلب بيان الاحكام التفصيلية في تنظيم المجتمع وتسيير دفته الى شاطيء السلامة فضلا عن كشف انواع الروابط التي تنظم العائلة والفرد ..

ومن عبر كل هـذا يمكن ان يقال بان الآيات المكية عالجت شؤون الدعوة بوصفها تعبيرا عن عقيدة بينما الايات المدنية عالجتها بوصفها تعبيرا عن عقيدة مجسدة في دولة ومجتمع ..

هذا وليس كل ما ذكرناه آنفا هي كل الخصائص والمعايير والفوارق القائمة بين المكي من الايات والمدني منها ، بل سعى القراء والمفسرون في البحث عن معايير اخرى في الايات الكريمة يمكن تمييز المكي منها عن المدني..

وقد امكن لهم بعد حين من احصاء واسـتخراج الفروق الاخـرى التالية وهي :

١ — ان كل سورة فيها سجدة هي مكية .

٢ — ان كل سورة فيها لفظ « كلا » هي مكية ايضا وكلها تقع في النصف الاخير من القرآن وليس في النصف الاول منها شيء ، وحكمة ذلك هو ان النصف الاخر نزل اكثره بمكة واكثر اهلها وسـكانها من الطغـاة

والجبابرة فتكررت هذه اللفظة على وجه التهديد والتعنيف لهم والانكار عليهم ..

وبصدد نزولها في مكة ومكانها من القرآن قال الشاعر :

وما نزلت « كلا » بيثرب فاعلمن ولم تأت في القرآن في نصفه الاعلى

٣ ــ ان كل سورة فيها قصة ابي البشر آدم وزوجته حواء وقصة أبليس هي مكية عدا سورة البقرة ..

٤ ــ ان كل سورة تفتتح بالحروف المتقطعة [٥] ك « الم » و « الر » ونحوها هي مكية عدا الزهراوين (البقرة وآل عمران) ..

٥ ــ ان كل سورة فيها اذن ودعوة بالجهاد او ذكر له او بيان لاحكامه فهي سورة مدنية .

٦ ــ ان كل سورة فيها ذكر للمنافقين فهي مدنية عدا سورة العنكبوت ..

٧ ــ ان كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنية . .

٨ ــ ان كل سورة ذكر فيها احوال القرون الماضية وقصص الانبياء والمرسلين فهي سورة مكية ..

٩ ــ اكثر ما جاء القسم فاتحة للسور المكية نحو والصافات . والذاريات والضحى والعصر ... الخ ويأتي القسم لاجل تنبيه اذهان السامعين وتعظيم المقسم به وللتأكيد على وحدانية الله .

---

(٥) سيرد شرح هذه الحروف فى فصل « الحروف المتقطعة فى أوائل السور » بأواخر الكتاب هذا ..

الناسخ والمنسوخ

النسخ في اللغة والقاموس هو بمعنى الازالة والتغيير والتبديل والتحوير وابطال الشيء ورفعه واقامة شيئا مقام شيء ..

وتعريفه هو رفع حكم سابق بنص لاحق مع التراخي والزمان بينها ، أي انه يكون بين الناسخ والمنسوخ زمن يكون المنسوخ ثابتا وملزما بحيث لو لم يك النص الناسخ لاستمر العمل بالسابق وكان حكمه قائما [١]..

وباختصار النسخ هو رفع الحكم الشرعي بخطاب أو هو بيان انتهاء امده ..

وحكم الناسخ والمنسوخ يلزم ان يتقنه ويتعلمه كل من يتصدى لتفسير القرآن او تلمس الاحكام التشريعية والفقهية من المفسرين والمشرعين حتى يمكنهم من الوقوف على الاحكام التي يعمل بها من القرآن من تلك المنسوخة التي لا يعمل بها ..

وبهذه المناسبة نورد كلمة موجزة للامام علي — ع — بصدد الناسخ والمنسوخ وضرورة تعلمه .. فأنه (الامام) قال لقاض من القضاة : اتعرف الناسخ من المنسوخ فأجاب بقوله : لا بل الله أعلم ، فبادره الامام بقوله هلكت واهلكت ....الخ [٢]

---

(١) الشافعي — محمد ابو زهرة .

(٢) الاتقان في علوم القرآن — جلال الدين السيوطي .
البرهان في علوم القرآن — بدر الدين الزركشي .

ومسلم به هنا ان القاضي يلزم ان يكون سباقا فيمعرفة الناسخ والمنسوخ لئلا يطبق حكما كان نسخ فيهلك هو ويهلك ضحيته ..

والنسخ في اصطلاح الفقهاء يطلق على معنيين هما :

١ — ابطال الحكم المستفاد من نص سابق بنص لاحق [٣] ومثال ذلك يتجلى في واضحا في آيـة النجوى بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلكم خير لكم واطهر فأن لم تجدوا فأن الله غفور رحيم » [٤] .

فالآية المتقدمة قـد نسخت بالآية التالية وهي قوله تعالى « ءأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون [٥] .

والاية الاولى المنسوخة لو فتشنا عنها في بطون الكتب وزواياه بقصد معرفة من الذي عمل بها قبل ان ينالها النسخ بالآية التالية ، لألفينا جليا انه لم يعمل بها احد في التاريخ — من حين نزولها حتى نسخها — الا شخص واحد فقط وهو امام الهدى علي بن ابي طالب — ع — حيث ما ان اطلت بشائر هـذه الاية على قلب الرسول (ص) وتداولت بين الاصحاب حتى اسرع الامام — ع — بتفريق دينار كان لديه الى عشرة دراهم كان يدفع منها درهما واحدا الى الفقراء والمساكين عند كل مواجهة يسجلها مع الرسول صلى الله عليه وآله ، بينما تقاعس غيره من ذلك مما حـدا بالله تعالى عطفا بهؤلاء الغير وتخفيفا عنهم الى أن ينزل الاية الثانيةلتنسخ حكمومفعول الاولى

---

(٣) تاريخ التشريع الاسلامي — الشيخ محمد الخضري .

(٤) المجادلة : ١٢ .

(٥) المجادلة : ١٣ .

ولتجعل بذلك مواجهة الرسول (ص) او زيارته مجانا وبدون تحمل عبء مالي يذكر ..

لذا نسمع فيما نسمع من الامام علي (ع) في احدى خطبه الشهيرة والتي يضمها « نهج البلاغة » نسمع تلميحا واشارة الى هذه الواقعة عندما قال : « ان في كتاب الله المجيد آية لم يعمل بها احد سواي » وهذه اشارة الى آية النجوى المشار اليها آنفا ..

ومن هذا النوع ايضا قوله تعالى « والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول »[٦] فهذه الآية يفهم منها ان عدة المتوفى عنها زوجها يمتد الى حول كامل ثم نسخ هذا الحكم بالآية الثانية وهي قوله « والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة أشهر وعشرا »[٧] وهذه الآية تدل على ان عدة المتوفى عنها زوجها هو اربعة اشهر وعشرة ايام فقط ..

٢ — رفع عموم نص او تقييد مطلقه ..[٨]

ومثال الشطر الاول «رفع العموم» هو قوله سبحانه وتعالى «والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء»[٩] وهذا هو نص عام يشمل من دخل بها او من لم يدخل بها ، ولكن نزلت بعد ذلك آية اخرى اعطت غير المدخول بها

---

(٦) البقرة : ٢٤٠ .

(٧) البقرة : ٢٣٤ .

(٨) تاريخ التشريع الاسلامي : الشيخ محمد الخضري .

(٩) البقرة : ٢٢٨ ، والقرء هو الطهر الذي يقع بين الحيضتين وقيل انه الحيضة ، والحيضة هي العادة الشهرية التي تنتاب المرأة لايام معدودة في الشهر ..

فقط حكما خاصا وهو قوله تعالى «يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها »[١٠].

اما مثال الشطر الثاني «تقييد المطلق» فهو قوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير»[١١] فالنص المتعلق بالدم هنا هو نص مطلق للدم المحرم بينما قيدت آية تالية ذلك وجعلته الدم المسفوح فقط وهو قوله تعالى «قل لا اجد فيما اوحي اليّ محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا أو لحم خنزير »[١٢] .

هذا ولم ترد في القرآن الكريم قواعد صريحة وضوابط واضحة في مسائل النسخ أو الاشارة الى الآيات الناسخة والمنسوخة عدا التلميح العابر اليهما في عدة مواضع فيه ودونما أي تفصيل أو شرح وهو قوله تعالى «ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها »[١٣] وقوله سبحانه «وإذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون »[١٤] .

فضلا عن الاشارة اليهما في الاحاديث النبوية المروية والمنقولة عن الرسول (ص) أو الكلمات والاخبار الواردة عن طريق أهل البيت والاصحاب ..

لذا فالأصل العام في آيات القرآن كلها هي الاحكام لا النسخ حتى

---

(١٠) الاحزاب : ٤٩ .

(١١) المائدة : ٣ .

(١٢) الانعام : ١٤٥ .

(١٣) البقرة : ١٠٦ .

(١٤) النحل : ١٠١ .

يقوم الدليل الصريح والقرينة الواضحة على النسخ فيؤخذ به في العمل ..

وذكر في اسباب النسخ الحقيقية وعلته هي انها تعود لمصلحة وحكمة يراها الله سبحانه ولأجل التخفيف عن كاهل الناس والتيسير عنهم تمشيا مع التدرج في التشريع وتغير احكام المعاملات بتغيير الوقت حتى تستقر على الوضع الاخير والحالة النهائية الباتة التي لا يمكن بعدها ان يصلها التعديل ولا ان ينالها التغير مكونة بذلك القاعدة الفقهية المشهورة وهي « لا ينكر تغير الاحكام بتغير الزمان » .

وقد بحث العلماء والفقهاء بعد هذا في مدى وسلطان الآيات الكريمة والسنة النبوية في نسخ احدهما للاخرى أو النسخ فيما بينها ..

لقد اتفقت كلمة اغلبية هؤلاء الفقهاء والعلماء الساحقة واجتمعت آراؤهم ـ بعد طول التتبع واستفراغ الجهد ـ اتفقت التقت في النقاط التالية[١٥] :

١ ـ لا ينسخ القرآن الا بقرآن مثله « والمقصود بالقرآن هنا هو آياته طبعا » وذلك استنادا واشارة لآيات النسخ المنوه عنها قبل قليل ..

٢ ـ ينسخ القرآن بالسنة النبوية ، لان السنة هي ايضا من عند الله تعالى وان كل ما يرويه الرسول (ص) من الاحاديث وما ينشره منها يجب اتباعها والالتزام بها كاتباع آيات القرآن والاذعان لها، ذلك لان الرسول (ص) معصوم من الزلل والخطأ لقوله تعالى « وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى »[١٦] ولان تفسير آيات القرآن وبيان اغراضها ومعانيها

---

(١٥) البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين الزركشي ، النسخ في الشريعة الاسلامية ـ عبد المتعال الجبري ..

(١٦) النجم : ٣ ، ٤ .

هو من اولى مهام الرسول (ص) واعماله ، فطبيعي علينا اذن ان نلتزم بكل هذا وان نعمل به كالتزامنا وعملنا بالآيات الكريمة ..

والسنة هنا يجب ان تكون متواترة وقطعية ، أما خبر الواحد (الآحاد) فلا يصلح ان يكون ناسخا للقرآن باجماع المسلمين ..

هذا ولم نعدم قلائل ومنهم الامام الشافعي يذهبون الى قصر نسخ القرآن على القرآن وان السنة لا يمكن ان تكون ناسخة للقــرآن ، وان السنة انما تنسخ السنة فقط وكل ما وجد من نسخ للقرآن بالسنة فمعهـا قرآن يعضده وحيث وقع نسخ في السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له ..

وأدلة هؤلاء القلة بصدد عدم امكان نسخ القرآن بالسنة وان كانت الأخيرة متواترة وقطعية هي :

١ ــ ان القرآن اصل ولفظه معجزة ، على حين ان السنة فــرع من القرآن وانها ليست بمعجزة مثله ..

٢ ــ معنى قوله تعالى « قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى اليّ اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم »[١٧] هو ان النبي (ص) مأمور بأن لا يبدل احكام القرآن من تلقاء نفسه ..

٣ ــ ان الآية الاخرى وهي « ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها »[١٨] معناها ان نسخ الآية لا يكون الا بآية ..

وكل هذه الحجج وغيرها وان كانت ظاهرة الوجاهة والقبول الا انها لا تقف بوجه ما ذهبنا اليه آنفا من ان اقوال الرسول (ص) واحاديثه هي من عند الله تعالى ولا يمكن ان يشوبها شيء من الهوى او الضلال وانهـا ملزمة لزوم الآيات نفسها ..

---

(١٧) يونس : ١٥ .

(١٨) البقرة : ١٠٦ .

كما ولم تعدم ايضا افرادا قلائل يعدون على الاصابع ان لم يكونوا دونها[١٩] وعلى رأسهم ابي مسلم الاصفهاني صاحب كتاب جامع التأويل في التفسير ينسفون ويبطلون النسخ مهما كان لونه وشكله جملة وتفصيلا ومؤيدين دعاواهم بأدلة لا تقف على قدميها وهي اوهى من بيت العنكبوت. مما لا مجال هنا لايرادها ومناقشتها طالما ان القائلين بها اقل من القليل ..

ان النسخ الذي نتكلم عنه فيما مضى لا يقع الا في الامر الذي يجب اتباعه أو الطلب او النهي ولو بلفظ الخبر ، اما الاخبار التي ليست بمعنى الطلب وكذلك اصول العقائد والاخلاق والتاريخ والوعد والوعيد والقصص والمواعظ وغيره فلا نسخ يقع عليه بالمرة ..

هذا وقد احصيت هنا[٢٠] سور القرآن التي عرف ان فيها ناسخا ومنسوخا فظهر انها ٢٥ سورة منها سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة .. الخ كما وذكر ان ٥ سور من القرآن اخرى فيها آيات ناسخة فقط وليس فيها أي منسوخ منها سورة الفتح والحشر والمنافقون .. الخ

وقيل ايضا ان هناك ٤٠ سورة (من غير ما ذكر) في القرآن فيها احكام منسوخة فقط ..

وما بقي من السور وهي ٤٣ سورة ورد انها خلت من أي ناسخ او منسوخ .

هذا واشير ــ بصدد تحديد موقع الناسخ والمنسوخ في القرآن ــ الى ان القاعدة العامة والاصل العام في النسخ هو ان السور التي لم يحدث في آياتها تعديل او نسخ هي السور المكية ، بينما حدث النسخ في السور

(١٩) النسخ فى الشريعة الاسلامية ــ عبد المتعال الجبري .

(٢٠) البرهان فى علوم القرآن ــ بدر الدين الزركشي .

التي كثرت فيها احكام التشريع وهي السور المدنية ، وان كان هناك بعض الاستثناءات المحدودة ..

وبعد هذا اقول ان النسخ قد اجمع المسلمون كافة على وقوعه في القرآن على معنى رفع الوحي وتبديله الا هؤلاء القلة القليلة ــ التي اشرنا اليها قبل قليل ــ والتي تذهب الى انه لا يجوز النسخ في شريعة واحدة ، وطبيعي ان هذا امر غريب وعجيب ، لان انكار النسخ مع صحة الاسلام أمر غير متصوّر ولا مقبول .. كما وقد قسم البعض المنسوخ من الآيات الى ثلاثة اقسام هي[٢١] :

١ ــ ما نسخ حكمه وبقي خطه .

٢ ــ ما نسخ خطه وبقي حكمه .

٣ ــ ما نسخ خطه وحكمه معا .

وبصدد هذه الاقسام أقول انه لا يمكنني ان أؤمن بكل هذه بل لي نظر في اكثر من واحد منها مما لا مجال لايراده في هذا الموجز رغم ان من يقول بهذه الاقسام يورد آيات او أقوال ويعطي لكل واحد او اكثر منها أحد أحكام واقسام النسخ الثلاثة السالفة الذكر ..

---

(٢١) النسخ فى الشريعة الاسلامية ــ عبد المتعال الجبري ، البرهان ، علوم القرآن ــ بدر الدين الزركشي ، تاريخ القرآن ــ ابراهيم الابياري .

المحكم والمتشابه من الآيات

المحكم معناه الاتقان وعدم تطرق الاختلاف والالتباس اليه ، وبقول آخر ان معناه يدل عليه بوضوح لا خفاء فيه ويشمل النص والظاهر ، فالنص والظاهر يدلان على المعنى البارز المطلوب ومن هذا النوع أصول الدين واصول الاحكام ..

أما المتشابه فيعني ان يشابه بعضه بعضا وهو يفتقر الى الدلالة الراجحة على معناه ويشمل المجمل والمؤول والمشكل ..

وفي كتاب الله العزيز آيات محكمة ومتشابهة اشارت اليها آيات عدة غيرها بكل صراحة ووضوح منها قوله تعالى « هو الذي انزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات ، فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب »[١] .

وهناك من قال بان القرآن كله محكم لقوله تعالى « كتاب احكمت آياته »[٢] وآخرون يرونه كله متشابها لقوله تعالى « الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها »[٣] ..

---

(١) آل عمران : ٧ . (٢) هود : ١ . (٣) الزمر : ٢٣ .

والقول الاول هو المعول عليه وعليه اكثرية الفقهاء والمجتهـدين قديما وحـديثا ..

هذا ولا يمكن ان يتصور بتاتا ان المتشابه من القرآن يحمل نوعا او لونا من الضعف او الخلل أو عدم القدسية أو شيء من هذا القبيل ..

بل الامر على عكس ذلك حيث ان كلا من المحكم والمتشابه متقن وذو نظم جميل لا يتسرب اليه الضعف في اللفظ او المعنى ، وان الاثنين قد نزلا من عند الله تعالى على طريقة واحدة وكيفية متشابهة ولهما نفس القدسية ونفس الدرجة والمكانة ..

ورغم ما بين الاثنين « المحكم والمتشابه » من هذا الالتقاء والاتفاق الا ان هناك مميزات خاصة يحتفظ كل منهـا لنفسه ، وهـذه المميزات والاختلافات هي التي اوحت ودعت الى تقسيم القرآن الى محكم ومتشابه .

وهذه المميزات والفروق يمكن ان تلخص في النقاط التالية :

١ ــ ان المحكم لا يعرف المراد منه الا بالظهور او بالتأويل والمتشابه هو ما احتفظ الله سبحانه بعلمه دون خلقـه كالحروف المتقطعـة في اوائل السور وقيام الساعة واستواء الرحمن على العرش وحمل العرش وخروج عيسى (ع) .

٢ ــ ان المحكم ما ظهر ووضح معناه ومقصده بينما المتشابه هو ما غم وخفيَ معناه وهدفه ، علما بأن المتشابه من الآيات واضحة من ناحية المفهوم وانما جاء الخفاء والغموض في مصداق هذا المفهوم ..

٣ ــ ان المحكم لا يحتمل تأويله الا وجها واحدا فالحكم فيه واضح الدلالة قطعتيها والمتشابه ما احتمل عدة وجوه ..

بعد هذا بقيَ علينا ان نعرف امرين اثنين يتعلقان بالمحكم والمتشابه :

اولهما يخص بمدى قابلية كل منهما للعمل به ، والثاني يتعلق بمدى وقدرة وسلطان الراسخين في العلم المشار اليهم في الآية المنصرمة على كشف وتلمس معنى وغرض الآيات المتشابهة من القرآن ..

فبقدر تعلق الامر بالمطلب الاول اقول ان المحكم من القرآن يلزم علينا ان نؤمن به ونعمل به وندين به ، بينما المتشابه منه علينا هنا ان نؤمن به كالمحكم ولكن لا نعمل به(٤) ..

أما بصدد الامر الآخر فقد اختلف فيه الفقهاء والمجتهدون فقد ذهب قسم منهم الى ان الافراد والاشخاص الذين يتحلون بالخصال والمزايا التي تؤهلهم للوصول الى درجة ومكانة الراسخين في العلم وهي الفقه والتقوى والاستقامة والاخلاق والتتبع .. الخ ، ان كل هؤلاء الافراد يمكنهم — بتوفيق الله وتأييده — وفي وسعهم ادراك كنه كل أو بعض معاني واغراض المتشابه من الآيات البينات ..

بينما نحا القسم الآخر من هؤلاء الفقهاء والمجتهدين الى قول قاطع وحكم بات يخالف ما ذهب اليه القسم الاول ومفاده هو استحالة كل شخص مهما اوتي من ثروة علمية أو نال ملكة الاجتهاد أو وصل الى اية درجة من التقوى ، استحالة كل هؤلاء من معرفة حكم المتشابه وغرضه بدعوى هي ان المتشابه من القرآن اختص الله تعالى فقط بعلم كنهه وهدفه ومعناه من دون الناس كافة .

ورغم هذا الخلاف المستحكم بين الفقهاء بصدد الراسخين في العلم ولياقتهم وصلاحيتهم في كشف معنى المتشابه من الآيات ، رغم هذا امكن جمع كافة اقوالهم واجتهاداتهم بصدد ذلك واستخراج حلول مشتركة منها

(٤) تفسير العياشي — محمد بن مسعود العياشي .

وهي هذه التي نكتبها الان ..

١ — ان هناك نوعا من المتشابه لا سبيل للوقوف عليه بتاتا وبأي حال من الاحوال كقيام الساعة أو معرفة أجل الموت ومحل الموت او ظهور المهدي وكذلك الاوصاف المتعلقة بالعرش وكيفية استواء الرحمن عليه حيث ان الله تعالى وحده هنا دون سواه ينفرد ويحتفظ بعلم كل ذلك ..

٢ — وهناك نوع من المتشابه للفقيه المتعلم الفطن البصير سبيل لمعرفته وتفسيره كالاحكام المعلقة والالفاظ وغيرها ..

٣ — كما وهناك اخيرا لون ثالث من المتشابه يقع بين القسمين السابقين يخفى معناه على بعض الراسخين بينما يدركه البعض الاخر ممن هم اسمى منهم علما وفهما وتقوى وصلاح ..

***

تفسير القرآن

التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان وكشف المغطى والايضاح ، وكلمة تفسير في أصلها ليست خاصة بتفسير القرآن ، ولكنها شاعت واشتهرت في تفسير القرآن الكريم بمعنى الايضاح(١) .

ويراد بتفسير القرآن بيان مراد الله تعالى وقصده من كتابه العزيز بدون الاعتماد على الظنون والرأي والهوى والقياس والاستحسان ولا على أي شيء لم يثبت حجيته عقلا او شرعا للنهي الوارد فيها ..

أما التأويل فأصله من الاول وهو الرجوع أي رجوع الآية لما تحتمله من المعاني والاغراض ، وقيل ايضا انه يراد منه العاقبة وما يؤول اليه الامر لان تأويل القرآن هو ما يرجع اليه الكلام وما هو عاقبته سواء أكان ذلك ظاهرا أم خفيا لا يعرفه الا الراسخون في العلم ..

وقيل كذلك انه جاء من الايالة وهي السياسة لان المؤول يسوس الكلام ويضعه في موضعه .

اما الفرق بين التفسير والتأويل فقد اختلف فيه العلماء حيث ذهب كل واحد الى رأي من الاراء التالية وهي(٢) :

---

(١) احكام من القرآن والسنة ـ عبدالعظيم معاني والدكتور احمد الغندور .

(٢) التفسير والمفسرون ـ محمد حسين الذهبي .

١ — قيل ان التفسير والتأويل هما بمعنى واحد ..

٢ — وقيل ان التفسير أعم من التأويل واكثر ما يستعمل التفسير في الالفاظ والتأويل في المعاني ..

٣ — وقيل التفسير هو القطع على مراد اللفظ ومعناه ، بينما التأويل هو ترجيح احد المحتملات بدون القطع .

٤ — وقيل التفسير هو بيان وضع اللفظ اما حقيقة او مجازا ، والتأويل تفسير باطن اللفظ ..

٥ — وقيل التفسير هو ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراية .

٦ — وقيل التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة ، والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الاشارة ..

٧ — وقيل التفسير هو الكلام في اسباب نزول الآية وشأنها ووقتها ، والتأويل هو صرف الآية الى معنى محتمل يتلاءم مع ما سبقها وتأخر عنها .

وبصدد التفسير ورد عن الامام علي (ع) قوله « انما يعرف القرآن من خوطب به ، وليس شيء ابعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ، ان الآية تنزل او لها في شيء واوسطها في شيء وآخرها في شيء » ..

كما وله — عليه السلام — في هذا المعنى قول آخر نشير اليه وهو « اياك ان تفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء ، فانه رب تنزيل يشبه بكلام البشر كله وهو كلام الله وتأويله لا يشبه بكلام البشر كما ليس شيء من خلقه يشبهه ، كذلك لا يشبه فعله تعالى شيئا من افعال البشر ولا يشبه شيء من كلامه بكلام البشر ،وكلام الله تبارك وتعالى صفته وكلام البشر افعالهم ، فلا يشبه كلام الله بكلام البشر فتهلك وتضل » ..

وله ايضا قوله « من فسر القرآن برأيه ان اصاب لم يؤجر وان اخطأ

ضـل » ..

ويروى عن ابي بكر (رض) بصدد ذلك قوله « أي ارض تقلني وأي سماء تضلني اذا قلت في القرآن ما لا اعلم » ..

كما ويؤثر عن عمر (رض) قوله بهذا الصدد « اقلوا الرواية عن رسول الله (ص) وانا شريككم » ..

ويروى عن سعيد بن المسيب انه كان اذا سئل عن شيء من القرآن قال : « انا لا اقول في القرآن شيئا » .

ويؤثر عن سعيد بن جبير الذي قتل بسيف الحجاج انه قال لرجـل طلب اليه تفسير بعض آيات القرآن « لأن تقع جوانبي خير لك من ذلك » .

وقال ابن سيرين : « سألت عبيدة عن شيء من القرآن فقال : اتق الله وعليك بالسداد فقد ذهب الذين يعلمون فيم انزل القرآن » .

ومن عبر كل هذه الاقوال والحكم والدرر نفهم بأنه يلزم على من يتصدى لتفسير القرآن بان يحيط بالقرآن من كافة أطرافه فيعرف ناسخه من منسوخه ومطلقه من مقيده وعامه من خاصه ومجمله من مبينه فضلا عن الاحاطة والعلم بالروايات والاحاديث والاقوال المتعلقة به وعلى النحو الذي سيمر على القاريء الكريم بعد لحظات ..

اما من يفقد او يفتقر الى شيء من كل هذا فليس هو أهل لتفسير القرآن وشرحه لانه ان لم يعد حينئذ ضال وهالك فهو غير مثاب على شيء ولا مأجور ان اصاب الغرض وبلغ الهدف المطلوب ...

وقبل ان ندخل في تفاصيل التفسير نقول رغم ان القرآن نزل بلغـة العرب وعلى اساليب بلاغاتهم فلم يكن جميعه في متناول الصحابة كلهم من ناحية فهمه وتلمس معناه جملة وتفصيلا ..

فليس كل كتاب مؤلف بلغة قوم يستطيع هؤلاء ان يفهموه ، فكم كتب الفنّ بالانكليزية والالمانية والفارسية والتركية والاردية لا يتمكن الانكليز والالمان والفرس والاتراك والباكستانيون انفسهم ان يفهموه جملة وتفصيلا ، لان فهم كل كتاب لا يتطلب اللغة فقط بل يتطلب درجة عقلية خاصة تتناسب ودرجة الكتاب ومنزلته ..

فالعرب لذلك كانوا يختلفون ويتفاوتون في فهم القرآن ، فهناك من يفهمه كله كالامام علي بن ابي طالب وعبدالله بن عباس وهناك دونهم في الفهم والعلم ..

ان التفسير نشأ مبكرا منذ عهد الرسول (ص) .. فقد كان الرسول نفسه اول شارح وموضح للقرآن ، لان القرآن نزل عليه وهو اعرف بصغيره وكبيره ومحكمه ومتشابهه وخاصه وعامه .. الخ من أي فرد آخر ..

وكان الرسول (ص) بدوره يكشف كل هذه لجموع المسلمين ويخبرهم عن كل شيء يسألونه سواء تعلق باحكام الآيات المنزلة أم بأغراضها ومقاصدها وان الله تعالى كان دائما وابدا وراء الرسول (ص) في شرحه هذا للقرآن وتبيان اهدافه واسراره ومعانيه عملا بقوله تعالى « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم »[٣] ..

لذا فالسنة النبوية ترجع بمدلولاتها التفصيلية واصلها الى القرآن لان القرآن هو الذي الزم العمل بالسنة وجعل العمل بها عملا بالقرآن ولهذا قيل « الكتاب أحوج الى السنة من السنة الى الكتاب » .

وما كان احد من الصحابة في عهد الرسول (ص) من يجرأ على تفسير شيء من القرآن طالما ان الرسول كان بين ظهرانيهم بل كانوا هم بدورهم

---

٣) النحل : ٤٤ .

يفزعون اليه (ص) عند كل مشكل يحيق بهم أو امر يغم عليهم فيشرح لهم الرسول كل ما اشكل عليهم ويوضح لهم كل ما غمض عندهم ، بسبب « انما يعرف القرآن من خوطب به » كما قال الامام علي (ع) في احدى خطبه ..

وبعد انتقال الرسول الاعظم (ص) الى جوار ربه وانقطاع الوحي عن الارض لم يك بد بعد ذلك امام أئمة اهل البيت واقطابهم كالامام علي (ع) وحبر الامة ومعجزة التفسير وبحر العلم وترجمان القرآن عبدالله بن عباس ، وأمام الصحابة ممن وقف على اسرار القرآن وسمع شرحه وتفصيله من فم الرسول (ص) ، لم يك بد أمام كل هؤلاء جميعا من ان ينقلوا كل ذلك الى الناس وان يفسروا لهم ويشرحوا كل ما يغم عليهم من معاني الآيات الكريمة وفق اقوال الرسول (ص) او بتفسير القرآن بالقرآن نفسه لان القرآن ينطق بعضه ببعض كما قال الامام علي (ع) كأن يشرح ما جاء موجزا في القرآن بما جاء في موضع آخر مسهبا وان يحمل المجمل على المبين ليفسر به وحمل المطلق على المقيد والعام على الخاص ، او وفق اجتهاداتهم واستنباطاتهم ان لم يك هناك شيء مما سلف ..

وهذه الاجتهادات والاستنباطات يلزم على من يعمل بها ان يكون ذا معرفة بأوضاع اللغة واساليبها وقوةالفهم وسعة الادراك فضلا عن الاحاطة بعادات العرب وأحوال أهل الكتاب في الجزيرة العربية حين نزول القرآن وغير ذلك ..

والمفسرون من هؤلاء هم علي بن ابي طالب (ع) وعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وابي بن كعب وزيد بن ثابت وابو موسى الاشعري . وقد اتفق كافة المؤرخين والرواة دونما استثناء على ان صدر المفسرين

والمؤيد فيهم واكثر ما روي عنه من الخلفاء واصحاب الرسول (ص) هو الامام علي (ع) بينما الرواية عن الاخرين فنزرة وقليلة بالنسبة اليه ..

والسبب في ذلك يعود الى ان الامام كان ألصق الناس برسول الله (ص) ، وان الرسول لم يك ليخفي عليه شيء مما ينزل عليه لانه موضع سره وحامل اختامهووارث علمه واقرب الخلق اليه واولهم اسلاما واقومهم بدين الله ..

لذا نسمع — فيما نسمع— من الحكم والعبر التي تتساقط من فم أبي الحسن (ع) في هذا الصدد قوله « اني لأعرف ناسخهمن منسوخه ومحكمه من متشابهه وفصله من فصاله وحروفه من معانيه ، والله ما من حرف نزل على محمد (ص) الا اني اعرف فيمن نزل وفي أي يوم وفي أي موضع » .

وقال — عليه السلام — في خطبة اخرى مشيرا الى نفس المعنى «علينا نزل القرآن قبل الناس ولنا فسر قبل ان يفسر في الناس ، فنحن نعلم حلاله من حرامه وناسخه من منسوخه وسفريه وحضريه وفيأي ليلة نزلت وفيمن نزلت » ..

هذا وقد تلقى اقوال الصحابة الموما اليهم نفر من التابعين[٤] في الامصار الاسلامية ، وفي عصرهم نما التفسير نموا مضطردا ، ولكنهم « التابعين » كانوا يقتصرون في تفسير الآية على توضيح المعنى اللغوي الذي فهموه عن الآية باخصر لفظ مثل قولهم « غير متجانف لاثم » اي غير

(٤) لقد اختلف العلماء في تعريف التابعي ، فقال بعضهم انه من لقى الصحابي وان لم يصحبه فمجرد الرؤية على هذا الراي تجعل الشخص تابعيا ، وبعض العلماء لا يكتفي في تعريف التابعي بمجرد الرؤية للصحابي بل لا بد ان يكون قد صحبه وتلقى عنه ..

متعرض لمعصية ، وقولهم «الودق» أي المطر و «لا خلاق » أي لا نصيب و « قاسمهم » أي اقسم لهم و « الموقوذة » أي المضروبة حتى الموت «حين البأس» أي القتال و « الانفال » أي غنائم الحرب .. الخ

فنشأت لذلك في كل بلد اسلامي طبقة من المفسرين مثل مدن مكة والمدينة والكوفة والبصرة يشرحوا للناس معنى الآيات الكريمة واغراضها.

وعن هؤلاء التابعين المنتشرين في البلدان المشار اليها أخذ تابعي التابعين فجمعوا اقوال من تقدمهم واضافوا اليها ..

وهكذا كانت كل طبقة تروي عمن سبقها وتضيف الى ذلك ما تجتهد فيه حتى تكوّن لدى العلماء تفاسير عديدة والتي جمعت ووحدت في مؤلفات ومجلدات خاصة سنشير الى اهمها وبصورة مختصرة في نهاية هذا الفصل.

هذا ويجب هنا ان نفرق بين التفسير والترجمة :

فبصدد الترجمة فقد اتفقت كلمة كافة فقهاء ورجالات المسلمين على حظر وعدم جواز شرعية ترجمة القرآن الكريم والذي هو روح ونور ولا يترجمان ، وكذلك عدم كتابته بغير اللغة العربية خوفا من التغيير والتبديل ولانه يفقد بالترجمة تصويره الفني وجماله واعجازه البلاغي ووقعه في النفوس ..

اما الترجمة التفسيرية للمعنى فليس هناك ادنى ضرر او حرمة او مانع منها ولا سيما ما نجده اليوم في المصاحف التي تطبع في طهران بايران او في كراجي بالباكستان أو في بمباي بالهند ، حيث نجد الترجمة التفسيرية باللغة الاوردية تتخلل سطور المصاحف المطبوعة في كراجي وبمباي بينما نجد الترجمة التفسيرية باللغة الفارسية تتخلل سطور القرآن في المصاحف الاولى .

ولديّ الان وامامي عدة نسخ مختلفة من هذه المصاحف كنت قد حصلت عليها في طهران وكراجي وبمباي في خلال سفراتي العديدة الى هذه

المدن حيث نجد أسفل كل سطر من الآية سطرا يوازيه من الاسفل بغير العربية هو تفسير للسطر الاول ..

هذا وفي حالة وقوع الترجمة في القرآن — مثلا — سواء كانت حرفية أم لا ، فهذه الترجمة لا تسمى قرآنا بالمرة ، بل تدعى تفسيرا له حكم التفسير واثره ، وتتبع فيه المصلحة الشرعية المقدرة بقدرها ..

وبصدد مفردات الفاظ القرآن وبيان معناها في العربية ، فقد فسر قسم كبير منها على النحو المتقدم ذكره عدا البقية الباقية منها والذي لم يتناوله الاقدمون بالشرح والتبيان وذلك بسبب ان القرآن الكريم كان قد نزل على أفصح لغات العرب واكثرها تداولا فلم تك تخفي معظم معاني مفرداته على العرب الا نادرا ، لذا لم يحاول الاصحاب او التابعين تفسيرها لانها واضحة وجلية لهم ولغيرهم من جهة ولعدم مراجعة احد من المسلمين لهم بصدد شرح معناها من جهة اخرى ..

ولكن لما دخلت الاسلام أمم غير عربية واختلط هؤلاء مع العرب وتزاوجوا معهم ، تطورت لذلك اللغة العربية بسبب هذا الاختلاط الجديد اولا ولمرور الزمان ثانيا ، مما ادى الى ان تصبح هذه الالفاظ والتي كانت متداولة ومفهومة في عصر النزول تصبح غامضة وغريبة لا فقط لدى غير العرب من المسلمين بل عند قسم كبير من العرب انفسهم ..

وهكذا اخذ مرور الزمن يفعل فعله في الالفاظ والكلمات حتى ان الصفوة من العرب باتت تلاقي منها ما يلاقيه السواد منهم ..

وكل هذه الاسباب والحالات الزمت ودعت جماعة من رجالات الادب واللغة الى التفرغ لدراسة اللغة والادب القديم والحديث بما يضم من نثر وشعر جاهلي واسلامي لان غريب اللغة يلتمس في الشعر ولا سيما الجاهلي

منه حيث ان الشعر هو ديوان العرب(٥) وكل ذلك هو من أجل استخراج معاني الكلمات الفصحى وكشف مفرداتها ومشتقاتها ليتاح لهم بذلك بيان وشرح الالفاظ والجمل الغامضة في القرآن ، وكان هذا الامر يتم بمنتهى العناية وبتدبر الالفاظ كي لا يغم الحال ولا يقع في الخطأ .

وهذه الدراسات الادبية واللغوية التقت مع اخواتها من الدراسات الفقهية وما روي عن الرسول (ص) وأهل بيته واصحابه على الشكل الذي اشرنا اليه آنفا ، التقت كل هذه لتكون التفاسير التي نجدها الان في ايدي المسلمين ..

وسنشير في الاسطر التالية الى أهم هذه التفاسير ، تاركين بقيتها في سطور وبطون الكتب والدراسات والتي يجد القاريء بعض اسمائها في نهاية هذا الكتاب ، وطبيعي ان اشارتنا هذه — كما قلنا — ستكون خاطفة وسريعة تمشيا مع خطتنا في هذا الكتاب ..

ان أهم التفاسير المتداولة الان هي :

١ — كتاب « مجمع البيان في تفسير القرآن » لابي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطوسي الطبرسي المولود عام ٤٦٢ هجرية والمتوفى في طوس عام ٥٤٨ هـ ويقع قبره — الذي شيد حديثا على احدث طراز — عند

(٥) يؤثر هنا عن عمر او عن غيره قوله عليكم باشعار الجاهلية ، فان فيها تفسير كتابكم .

وقال الجاحظ بهذا الصدد « ان من يجهل امور الجاهلية لا يستطيع ان يفهم الكتاب والسنة » ..

وينقل عن الطبري بهذا الشأن قوله «اذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فان الشعر عربي ..

مدخل شارع الطبرسي من الجهة اليسرى بمدينة مشهد بايران ..

٢ ـ كتاب « مفاتيح الغيب » والمشتهر بالتفسير الكبير لفخر الدين الرازي لابي عبدالله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الطبرستاني الرازي ويقع في ٨ اجزاء ويقال ان فخر الدين الرازي مات قبل ان يتم الكتاب هذا ، فأكمله من بعده تلميذه شمس الدين احمد بن خليل الحويي قاضي قضاة دمشق والمتوفي في عام ٦٣٧ هجرية ..

وقد ولد الفخر الرازي في عام ٥٤٣ هجرية وتوفى في يوم عيد الفطر من عام ٦٠٦ هجرية بمدينة هرات في افغانستان ..

وقد زرت قبره الذي يقع في قلب مقبرة البلد ، والمقبرة هذه تقع عند مدخل البلدة ـ هرات ـ من جهة خراسان ، وقد شيد بجوار قبره نصب تذكاري على شكل ايوان هلالي من الجص والآجر ، وقد دوّن على واجهة الايوان تاريخ وآثار المتوفى وكلها مسجلة باللغة الفارسية لانها لغة الغالبية من اهالي الافغان ..

٣ ـ كتاب التفسير الكبير المسمى « جامع البيان في تفسير القرآن » لابي جعفر محمد بن جرير الطبري ويقع في ثلاثين جزء .

والطبري هذا هو صاحب التاريخ المشهور نفسه ، وقد ولد في مدينة آمل بطبرستان (شمال ايران) في عام ٢٢٤ هجرية وتوفي[٦] في بغداد عام ٣٠٣ او ٣١٠ هجرية ..

---

(٦) دفن الطبري بعد وفاته في داره ليلا ، بسبب ان انصار احمد بن حنبل قد اجتمعت امام داره ومنعت دفنه نهارا لأجل ان الطبري جمع كتابا ذكر فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه احمد بن حنبل فسئل عن ذلك فقال: لم يك احمد بن حنبل فقيها وانما كان محدثا ..

٤ ـ كتاب « التبيان في تفسير القرآن » للشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المولود عام ٣٨٥ هـ والمتوفى سنة ٤٦٠ هـ ، وقبره الان الذي شيد حديثا يقع عند مدخل شارع الطوسي من الجهة اليسرى في مدينة النجف الاشرف ..

٥ ـ كتاب «تفسير الكشاف» لابي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري ويقع في اربعة أجزاء ، ولد عام ٤٦٧ هجرية وتوفي عام ٥٣٨ هـ في خوارزم من اعمال خراسان ..

وهناك بالاضافة الى ذلك تفاسير عديدة منها :

٦ ـ تفسير القمي للحافظ علي بن ابراهيم القمي من علماء القرن الرابع الهجري .

٧ ـ تفسير العياشي لمحمد بن مسعود من علماء القرن الرابع الهجري ايضا .

٨ ـ تفسير الصافي لمحمد حسن بن المرتضى المحسن الفيض الكاشاني المتوفى سنة ١٠٩١ هـ عن عمر ٨٤ سنة .

٩ ـ تفسير القرطبي لابي عبدالله محمد بن احمد الانصاري الخزرجي الاندلسي توفي بمدينة المينا بصعيد مصر في ٩ شوال ٦٧١ هـ

١٠ ـ تفسير ابن كثير للحافظ عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي المولود عام ٧٠٠ هجرية والمتوفى عام ٧٧٤ هـ .

١١ ـ تفسير الخازن لعلاء الدين ابي الحسن علي بن ابراهيم البغدادي الخازن ولد في بغداد عام ٦٧٨ هـ وتوفي بمدينة حلب عام ٧٤١ هـ .

١٢ ـ تفسير البيضاوي للقاضي ناصر الدين ابي الخير عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الاذربيجاني البيضاوي توفي في مدينة تبريز عام ٦٩١ هـ .

١٣ ـ تفسير ابي السعود لمحمد بن محمد بن مصطفى العمادي وقد

ولد سنة ٨٩٣ هـ وتوفي بمدينة اسطنبول عام ٩٨٢ هـ ..

١٤ ــ تفسير الطنطاوي للاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري .

١٥ ــ تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني .

١٦ ــ تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي .

١٧ ــ تفسير في ظلال القرآن للكاتب الاسلامي المجاهد والعبقري الفذ سيد قطب وهو صاحب الدراسات الاسلامية العديدة كالعدالة الاجتماعية في الاسلام ومعالم في الطريق والسلام العالمي والاسلام ومعركة الاسلام والرأسمالية التي ملأت فراغا كبيرا في المكتبة الاسلامية ..

١٨ ــ تفسير شبّر للعلامة المحقق الجليل السيد عبدالله شبر المولود في النجف الاشرف عام ١١٨٨ هـ والمتوفى في الكاظمية عام ١٢٤٢ هـ وقبره في رواق الكاظمين ــ عليهم السلام ــ .

***

اعجاز القرآن

الاعجاز هو حدث خارق لقوانين الطبيعة مقرون بالتحدي وسالم من المعارضة وشاهد على صدق دعواه ..

والمعجزة إما ان تكون محدودة وحسية تشاهد بالعين والبصر ، يراها من حضرها فقط ولا يمكن لغيرهم مشاهدتها كما وتزول بزوال وقتها مثل معجزة النبي موسى او النبي عيسى (عليهما السلام) ..

واما ان تكون هذه المعجزة عقلية تدرك وتشاهد بالبصيرة ويستمر مفعولها وتحديها الى النهاية كما هي الحال في معجزة الرسول محمد (ص) وهي القرآن الكريم ..

والمعجزة متى ما كانت محدودة قصيرة الامد ولم يراها البعيد قد تنقطع اخبارها المتواترة ، فلا يمكن لهذا البعيد لا سيما بعد مرور فترة طويلة ان تحصل له القناعة الكافية بصدقها وصحتها ..

فاذا كلفه الله تعالى بالايمان بها كان ذلك من نوع التكليف بالممتنع وهو مستحيل على الله سبحانه ..

فلا بد اذن للنبوة والرسالة الدائمة المستمرة من معجزة تتجاوب معها في الديمومة والاستمرار والبقاء ..

لذا نخلص مما تقدم ان الشرائع التي سبقت الاسلام قد باتت منتهية المفعول ومنقطعة الاثر ، بسبب انتهاء امد دليلها ومعجزتها ، وبقول آخر

لزوال ومضي زمان المعجزة التي شهدت على صحة تلك الشرائع والرسالات. بينما نرى الشريعة الاسلامية هنا تتفوق وتسبق ما عداها بسبب ان معجزتها وهي (القرآن) باقية وخالدة الى آخر الزمان ، وكون التحدي والاعجاز فيها ظاهر ومستمر بوجه كل جيل وفي كل وقت وزمان ..

أجل ان معجزة القرآن هي أبدية وهي بين ايدينا كما كانت في عهد اجدادنا وستظل امام أحفادنا تطاول الخلود ولن تكون اسطورة في يوم ما ولن تصبح موضع الشك ابدا وسيتحطم على صخرتها ويتناثر كل قلم يحاول التصدي لها او يتحداها ..

وبصدد بيان وجه اعجاز القرآن وهو موضوع هذا الفصل فقد تكلم فيه فطاحل المجتهدين والمفسرين وجهابذة العلماء والبلغاء واسهبوا فيه واطنبوا مسوّدين بذلك آلاف الصفحات والكتب والمؤلفات ومشيرين فيها الى شتى الوان الاعجاز واشكاله سواء ما كان منه في البلاغة والخطابة والفصاحة او الامثال والقصص والعلوم والفنون والتشريع والتصوير الفني او غيرها ، وبذلك يمكن ان يقال هنا عنهم انهم لم يدعوا زيادة لمستزيد ..

وبشأن سبب الاعجاز في القرآن الكريم ومصدره وما اذا كان قد جاء عن صرف الله سبحانه الناس عن الاتيان بمثله وفل عزائمهم وتشتيت أرادتهم حين الشروع والاستعداد لمحاولة التحدي من قبل هؤلاء الناس ..

أم ان الاعجاز قائم على خلاف ذلك أي اننا نجده ساطعا ونلمسه جليا في نفس القرآن في بلاغته وتشاريعه وعلومه وقصصه واحكامه وصحة معانيه وسلامته من جميع العيوب .. الخ وان الله تعالى هنا لا يصرف ولا يعيق احد ممن يقبل التحدي او يسعى له ..

لقد ذهب الى الرأي الاول والمسمى« الصرفة »[١] نفر قليل من الادباء والفقهاء منهم النظام[٢] وهم في عالم الارقام والحساب لا يتجاوزون عدد اصابع اليد الواحدة ، وقد كتب هؤلاء في سبيل الانتصار والدفاع عن آرائهم ومعتقداتهم في الصرفة كتبوا ما يلي :

« انهم لا يرون ان القرآن معجز لبلاغته او فصاحته او أي شيء آخر فيه حيث ان العرب وغيرهم قد كانوا قادرين ولا زالوا على ان يأتوا بمثله، ولكن الله تعالى صرفهم وسيصرفهم عن كل ذلك تصديقا منه لنبيه المرسل محمد (ص) فليس القرآن عندهم هو المعجز ، وانما المعجز عندهم هو صرف الله الناس عن الاتيان بمثله أو محاكاته »[٣] .

كما ان الله تعالى ما ازل القرآن ليكون حجة على النبوة ، بل هو مثل بقية الكتب المنزلة من قبل ، ازل لبيان الاحكام والتعاليم من الحلال والحرام والعرب انما لم يعارضوه لان الله تعالى صرفهم عن ذلك ..

وفي الحقيقة ان هذه الحجة وهذه الدعوى لديّ هزيلة وضعيفة لا تقف على قدميها ولا تصمد امام الحقيقة والواقع وليس لها وزن يقام كما سترى بعد قليل ..

هذا بينما ذهب الكثرة الكاثرة من العلماء والادباء الى الرأي الاخر ، وهو ان الاعجاز قائم في القرآن نفسه وان التحدي مفتوح امام الجميع

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي .

(٢) النظام هو حجة المعتزلة وهو ابراهيم بن سيار بن هانيء وقد مات شابا في سنة ٢٢١ هـ عن عمر ٣٦ سنه ..

(٣) تجديد ذكرى ابي العلاء ـ الدكتور طه حسين .

ولكن دون متصدي له(٤) ..

قلنا قبل قليل ان « الصرفة » ليست هي سبب الاعجاز ، وان الاعجاز هو قائم في نفس الكتاب في فصاحته وبلاغته وفنونه وعلومه بأدلة واضحة منها هو ان الله تعالى لا يليق به ان يصرف الناس عن الاتيان بمثل هذا القرآن وهو الذي يخاطبهم ويتحداهم فيه وبكل صدق بقوله « قل فأتوا بسورة مثله »(٥) فلا يمكن هنا والحالة هذه التوفيق والملائمة بين تحدي الله الناس بالاتيان بمثل هذا القرآن او سورة من مثله وبين صرفهم عنه وهو ماتقوله الفئة الاولى ، لان هذا الفعل يوقع في التناقض والتصادم ومحال على الله تعالى ذلك ..

ومنها ايضا انه لو لم يك القرآن معجزا لما فيهمن الوان البلاغة وفنون الادبوالبيان لكان نزوله عنمرتبة البلاغة ودرجة الفصاحة ابلغ في الاعجوبة والاعجاز والتحدي بالاتيان بشيء من مثله ..

ومنها ما قرأناه في خضم صفحات التاريخ وكما ستراه بعد لحظات ،من ان هناك كثيرين منذ فجر الاسلام حتى العصور المتأخرة حاولوا تقليد القرآن والاتيان بشيء من مثله ، الا ان حصيلة اعمالهم وثمرة مجهوداتهم هذه لم تتعد ان تكون كلمات وجمل هزيلة وجافة وغير منسجمة ولا منسقة ولا تقف ابدا بجانب اقل مستويات الادب والثقافة والمعرفة ..

علما بان الله سبحانه هنا لم يصرف هؤلاء عن عملهم هذا الذي تمخض عن تلك العبارات والالفاظ المتداعية والضعيفة والتي سنرى شيئا منها بعد قليل ، بل فتح امامهم كل ابواب العمل وسبل السعي ، وهو لا زال مفتوحا

٤) الاتقان فى علوم القرآن ــ جلال‌الدين السيوطي .

(٥) يونس : ٣٨ .

ايضا بوجه كل من يحاول ان يكتب مقالة او كتابا يحاكي به القرآن في كثير أو قليل .. ولكن اين الذين يقبلون هذا التحدي ..

ومنها كذلك انه لو كان عجز العرب عن المعارضة بالصرفة لما استعظموا بلاغة القرآن وتعجبوا من بيانه وبلاغته كما سترى قريبا نبذا من اقوالهم على لسان الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وغيرهم ..

ولسنا الان بحاجة كما وان المقام لا يسع لايراد كل ما كتب بصدد اعجاز القرآن ولو على وجه الايجاز والاختصار ، لان الاشارة الى لون واحد منه بشكل معتدل او باختصار سيكلف القاريء الكريم من الوقت والقراءة بأكثر مما سيكلفه قراءة هذا الكتاب من الفه الى يائه ، فما قولك اذن بالالوان والمواضيع الاخرى ..

هذا فضلا عن ان موضوع اعجاز القرآن قد اصبح امرا وشيئا منتهيا ومقطوعا فيه ولا خلاف فيه ولا نقاش ، بعد ان فلت اسلحة المتحدين وتحطمت مساعيهم وجهودهم وتفرقت آمالهم شذر مذر ..

بل نضيف هنا الى كل ما قلناه آنفا فنقول مع القائلين وبكل اصرار وقوة ان نفس موسى وعيسى (عليهما السلام) وسائر الانبياء ، لو جاءوا الان لما وسعهم الا الايمان القاطع بهذه المعجزة والاعتراف بصحتها وبقاءها[٦] ..

ولكن رغم كل هذا فليس منطقيا او من المعقول في شيء ان نمر على موضوع اعجاز القرآن الذي هو في الحق من اهم مواضيع هذا الكتاب دون ان نشير ولو بايجاز الى بعض وجوهه واشكاله ، على ان نراعي في ذلك تعداد بعض الاوجه المهمة في الاعجاز ثم توضيح وتأكيد وجه واحد

---

(٦) القرآن والعلم الحديث — عبدالرزاق نوفل .

أو وجهين منها والتي لهما علاقة وثقى وارتباط شديد بروح هـذا العصر وبالتقدم العلمي الحديث ، على ان نسبقهما بمقدمة قصـيرة تخص بموقف اعداء القرآن منه وكيف امكن للقرآن ان يأسر الشباب وقلوب هؤلاء أو قسم منهم فيجذبهم الى صفوف المسلمين بعد ان كانوا ألدّ اعدائهم ، او يدعهم في غمرة وبحر الاعجاب به فأقول :

لقد نزل القرآن في بلد عربي وبين اقوام عربية كانت تعاني وتشكو التأخر والانحطاط والتخلف في غالبية الاشياء عدا الفصاحة والبلاغة والبيان والتدوين ، لذا نرى ان القرآن قد جاء هؤلاء القوم من الباب التي سلكوها ومن الطريق الذي مشوا فيه ..

ورغم المعارضة المستميتة التي وجهها القرشيون للحط من اشـرافة النبوة وطمس معالم الرسالة ، ورغم التهم والافتراءات والدعاوى الباطـلة التي نثروها هؤلاء بسخاء في طريق سير الرسول (ص) وانطلاقة دعوته ، رغم هذه وتلك لم نسمع قط بمحاولة جدية او تصميم صادق من قبلهـم للاتيان بمثل هذا القرآن او بشيء يسير منه كمقدار سورة صغيرة ..

واذا ما كانت هناك وبعد وفاة الرسول (ص) وانتقاله الى جوار ربه اذا كانت هناك محاولات مشبوهة من قبل ادعياء النبوة كمسيلمة الكذاب او طليحة أو سجاح أو الاسود العنسي لمحاكات القرآن أو الاتيان بمثله ، فان ما اوردوه هؤلاء لا يتعدى عن ان يكون هذيان وسـقطات واقـوال مضطربة وغير مرتبطة بالقواعد النحوية والبلاغية ..

وباختصار فأنها لا تصل الى الفباء الادب واللغة فضلا عن مسـتوى ارفع منه بقليل ، لذا آثرنا هنا ألا ننقل منها الا شيئا قليلا في هذه الدراسة لانها لا تستحق مجرد النظرة فضلا عن قرائتها ودراستها ..

قال مسيلمة الكذاب في احدى ما كان يسميه قرآنا « الباذرات زرعا، والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزا ، والثاردات ثردا، واللاقمات لقما ، اهالة وسمنا لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فأمنعوه ،والمعتر فآووه ، والباغي فناوئوه ... الخ .

هذا وان الآيات الكريمة لم تشل ايدي وقلوب السنة العرب والقرشيين وتتحداهم في ان يأتوا بمثلها فقط وانما اسرت بعض هذه القلوب واخذت بألبابهم وأجرت على افواه البعض والسنتها الحق والصدق عندما ادركوا ما فيها من البلاغة والتصوير والموسيقى والفنون والحكم ..

فهذا الوليد بن المغيرة رغم حملاته الشعواء التي شنها على الاسلام والمسلمين ورغم مساعيه المتواصلة وجهوده المستمرة لتقويض رسالة السماء ودكها لم يك ليكذب الحقيقة او ينطق بخلاف الوجدان والانصاف عندما طافت على مسامعه ومرت عليه بعض الآيات الكريمة ، فاذا به يجيب قومه بعد ان سألوه عن واقع ما سمع من محمد (ص) ورسالته الجديدة يجيبهم بقوله « انه قد سمع من محمد آنفا كلاما لا يشبه شيئا من كلامنا ، انه ليس من كلام الأنس او الجن ، ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وان اصله لعَذْق وان فرعه لجناة وانه ليحطم ما تحته وانه ليعلوا ولا يعلى عليه » .

وذاك هو عتبة بن ربيعه الذي ترسله قريش ليفاوض النبي (ص) في ترك دعوته لا يكاد يعود من عنده بعد ان يسمع كلامه حتى يقول لقريش وهم يسألونه عما وراءه « ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش اطيعوني

واجعلوها بي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم » ..

واليك مثل ثالث هو عمر بن الخطاب قبل ان يشهر اسلامه وينضم الى صفوف المسلمين كيف تأسره آيات الله البينات وتأخذ بمجامع قلبه وتكون سببا رئيسا لاسلامه كما كانت سببا ودافعا في اسلام جموع المسلمين من قبله ومن بعده ..

فهذا هو عمر تطرق اسماعه اخبار مقلقة وسيئة مفادها ان شقيقته قد اشهرت اسلامها (أو صبأت بمفهوم القرشيين حينئذ) فيذهب لتوه الى دارها وهو يتميز من الغيظ مصمما على الاجهاز عليها وقطع الذي فيه عينيها (فيما لو ثبت لديه اسلامها)ليجعل منها عبرة لمن يعتبر ودرسا قاسيا لمن يفكر في تبديل دين آبائه واجداده والانصياع للرسالة الجديدة رسالة الاسلام ونبوة الرسول محمد (ص) ..

فما ان يصل الى قلب دارها ويشرع في التدقيق والتحقيق عما سمع عنها تمهيدا لتنفيذ التصميم والامر الذي جاء من أجله واذا به يجد في يدها التي اخذت تهتز امامه ومن خشيته كالسعفة في مهب الريح يجد صحيفة خاصة ، فيخطفها منها بقصد معرفة كنهها وسرها ، وليمزقها كل ممزق اذا ما كانت من الآيات او شيئا من اقوال الرسول (ص) او شيئا مما يتعارض وعقائد القرشيين ومقدساتهم ..

ولكن ما ان يمرر بصره عبرها ويقرأ شيئا مما في الصحيفة حتى يستعيد ما قرأه مرة ومرة ومرات واذا بضميره يستيقظ ليخبره ويهديه ويعلمه بأن ما يقرأه ليس من صنع بني قومه ولا من نظمهم وانه يختلف كل الاختلاف عن كل ما سبق له ان قرأه قبل ذلك او سمعه من كلام العرب

واشعارهم فيقول حينئذ قولته المشهورة «ما احسن هذا الكلام واكرمه».

لذا اخذته سورة من التفكير العميق والتأمل الدقيق يخرج منهما بعد ذلك بايمانه واعتقاده بأن ما قرأه في هذه الصحيفة هي من عند الله تعالى جملة وتفصيلا ، وان كل ما جاء به الرسول هوالحق المبين الذي لا يشوبه الباطل والذي لا يناله او يصله الكذب من بعيد او قريب .

لذا يسأل عن الدار التي يختبيء بها الرسول (ص) فيتجه اليها فورا وفيها يشهر اسلامه امام الرسول والمسلمين ، فيرتفع التكبير في اطراف الدار حتى خيف ان يصل الصوت الى اسماع القرشيين الذين لا تبعد مساكنهم عن هذه الدار الا بمسافة قصيرة ، ولكن الفرح الذي غمرهم والامل والرجاء الذي لفهم كان عندهم اقوى من الخوف ومن بطش القرشيين بعد ان جاءهم نصير جديد له في قلوب المكيين رهبة وخشية عظيمين ..

وهذه الاسطر القليلة التي فعلت هذه الفعلة في نفس عمر واتت بالمعجزة والمستحيل هي آيات معدودة من مطلع سورة طه ..

وهكذا تمضي السنون وتتلاحق الايام فتتظافر تبعا لها الجهود المريبة وتلتقي الامال المشبوهة للنيل من القرآن او محاكاته، ولكن كل ذلك ينتهي الى الفشل الذريع والخسران المبين ، ولا اقل هنا من ايراد لون آخر من هذه المساعي المشبوهة لنرى كيف بائت آمال ابطالها وفرسانها بالخسران وكيف اعترف هؤلاء بعد ذلك بعجزهم عن محاكاة القرآن او التصدي له ؛ وهذا اللون من هذه الجهود المريبة تلخص في الواقعة التالية التي نرويها بتصرف[٧] .

---

٧) المعجزة الخالدة — السيد هبة الدين الشهرستاني .

يروى فيما يروى انه التقى في بيت الله الحرام عند مطلع الخلافة العباسية اربعة من اقطاب الادب وفرسان الزندقة وابطال الالحاد وهم عبدالكيم بن ابي العوجاء وابو شاكر ميمون بن ديصان وعبدالله بن المقفع وعبدالملك البصري ، فخاضوا في احاديث الحج ومناسكه ودعوة رسول الاسلام وسيرته فضلا عما يذوقونه من صنوف التنكيل والمقاومة من المسلمين وعلمائهم وحكامهم ، ثم استقرت آراؤهم والتقت اهواؤهم على السعي الجدي لمعارضة القرآن وكشف اخطائه وعوراته ومثالبه (معاذ الله) ، آملين من ذلك انه اذا ما تحقق لهم هذا العمل الجهنمي وتكللت جهودهم المريبة بالنجاح لتمكنوا من اسقاط واحباط كافة احكام الشريعة والعقيدة بأصولها وفروعها ، لان كل هذه تعتمد وترتكز على القرآن ، فلو سقط عندهم القرآن (والعياذ بالله) سقطت هذه كلها تلقائيا ..

كما واتفق الاربعة المتآمرون على ان يقوم كل واحد منهم باعباء وتكاليف نقض ربع من القرآن الى نهاية السنة القادمة ، وبجمع الارباع الاربعة الى بعضها سيكون كل القرآن قد انتهى أمره ونقضه وبذلك يريحوا انفسهم والمسلمين (برأيهم) من تكاليف الاسلام واعباءه وتتحقق بذلك مبادؤهم واهدافهم الالحادية المتهرئة ..

فتفرقوا وانطلقوا كل الى داره ومصره على ان يجتمعوا في نفس هذا المكان من السنة القادمة ، وهو الموعد الاخير الذي وضع فيما بينهم لانهاء كل منهم نقض القسم الذي خصص له من القرآن الكريم ..

ولما حان الوقت المعلوم لم يتخلف احد من المتآمرين ، وبعد ان اخذ كل واحد منهم مكانه ، اخذوا يتداولون فيما بينهم عما فعلوه بصدد تصميمهم واتفاقهم السابق ..

وقد كان ابن ابي العوجاء اول المتكلمين فقال : انه ليقدم اعتذاره عما كلف به لانه عندما راجع بعض الآيات المكلف بنقضها ادهشته وسلبت افكاره واصمت سمعه وبصره هذه الآية « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون »[٨] فانقطع عن الخوض في غيرها ..

اما الثاني وهو ميمون بن ديصان فاعتذر هو بدوره وقال انه افزعته واذهلته وملكت شعوره هذه الآية « يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب »[٩] فشغل بها عن القيام بعمله ..

وعندما جاء دور الثالث وهو عبدالله بن المقفع فانه قال معتذرا انه هو الآخر لاقى وشعر بمثل ما شعر به هؤلاء الزملاء عندما مرت امام طرفه آية نوح وهي « وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين »[١٠] فاشغلته هذه عن المضي في الامر المتفق عليه من قبل ..

اما آخرهم وهو عبدالملك البصري فكانت آية يوسف وهي « فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين »[١١] وهي التي سلبت مشاعره

---

(٨) الانبياء : ٢٢ .

(٩) الحج : ٧٣ .

(١٠) هود : ٤٤ .

(١١) يوسف : ٨٠ .

وصرفته عن البدء والشروع في العمل المتفق عليه من قبل ..

وهكذا نرى بأم اعيننا ان مؤامرة هؤلاء قد احبطت وجهودهم قد دكت وان سهامهم قد ردت في نحورهم ، وهذه هي نفس النتيجة والعاقبة التي سيلقاها كل من يتطاول على آيات الله أو يتصدى لنقض او تحدي شيء منها في كل وقت وفي كل بلد ومهما كانت الدرجة او الشهادة التي يتحلى بها لان هذه هي ارادة الله وهذه هي رغبته قديما وحديثا ومستقبلا ..

وبعد ذلك دار الزمن دورته وسار الفلك ليقرب منا دور وعهد المشككين والمبشرين واعداء الدين ، هؤلاء الذين نراهم عن كثب يتعبون انفسهم وينفقون الاموال الطائلة في الحط من كرامة الاسلام وتقصي عورات المسلمين والنيل من مكانة الرسول العظيم (ص) والقرآن المجيد ، فلو كان في مكنة هؤلاء ان يعارضوا او يجابهوا القرآن ولو بقدر سورة واحدة لما تخلفوا! أو تأخروا لحظة واحدة ، ولكان هذا اعظم الحجج بيدهم لتقويض دعائم الاسلام واقرب الطرق لنسف وتحطيم حقائقه ومعالمه ، ولما كلفوا انفسهم عناء انفاق وصرف الاموال والاتعاب والجهود بدون طائل او بدون نتيجة مثمرة ومضمونة[١٢] ..

وبالرغم من كل ذلك نجد هناك جماعات كثيرة من غير المسلمين سواء أكانوا من المستشرقين او من غيرهم ممن حكموا ضمائرهم وحركوا وجدانهم واستيقظت قلوبهم فأعطوا لذلك آراءاً صريحة واحكاما عادلة ومشرقة في القرآن واعجازه ومنزلته وابداعه حيث سنشير الى البعض منها في الفصل الخاص بها وهو فصل « القرآن في نظر غير المسلمين » .

بعد هذه المقدمة الخاطفة نعود الان الى صلب الموضوع ، فقد قلنا

---

(١٢) البيان فى تفسير القرآن — السيد ابو القاسم الخوئي .

فيما سبق ان الاعجاز لم يقتصر على لون واحد أو ميدان واحد وانما يقوم على نواحي عديدة سنشير الى بعضها الان ، ومن احب التوسعة فيها فعليه بمراجعة المصادر والكتب التي تبحث في هذا الموضوع .

أما عن بعض وجوه الاعجاز هذا واغراضه في القرآن الكريم فها نحن اولاء نوردها ادناه كما هي عليه عند سائر الفقهاء والمجتهدين وهي[١٣] :

١ ـ فصاحة الالفاظ والجمل وبلاغتها وسمو معناها وبيانها وجزالة منطقها وعذوبتها مايجعل وقعها على النفوس كبيرا وتأثيرها في القلوب عظيما ، كما ولا يوجد في العربية اثر يجاريها في بلاغتها بحيث يحفظ جمال الاسلوب مع هذا المقدار من الطول والاشتمال على الموضوعات المختلفة من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد والقصص وغيرها ..

٢ ـ القوانين الحكيمة والتشريعات المفصلة والانظمة الكاملة والاحكام العادلة الرحيمة لكل ناحية من نواحي الحياة ولكل العلاقات القائمة بين الافراد ..

٣ ـ الاسرار العلمية والفلكية التي لم تكشف وقائعها ولم تفتح ابوابها الا في هذه الازمان وبعد اختراع المراصد والمجاهر الكبيرة .

٤ ـ انباؤه الغيبية واعلانه عن حوادث الزمان المستقبلة وخفايا الوقائع اللاحقة وقد ظهر بعد ذلك صدقها وتحققها مائة في المائة ..

٥ ـ سلامته من أي نوع او لون من التعارض والتناقض والاختلاف والاغلاط والسهو والاشتباه ..

٦ ـ ابتعاده عن الخرافات والاساطير التي من شأنها ان تنهار أمام العلم وتنحني بوجه تيار المعرفة والثقافة وحملته الشعواء على هذه الاساطير

(١٣) المعجزة الخالدة ـ السيد هبة الدين الشهرستاني .

وهذه الخرافات .

٧ ـ قصصه البديعة وحوادثه التاريخية عن الايام الماضية والعصور البائدة التي عفا عليها الزمان واصبحت نسيا منسيا ..

٨ ـ امثاله الشيقة والجميلة التي تقلب الغائب الى حاضر والمعقول محسوسا والخيال واقعا والخفي ظاهرا ..

٩ ـ طراوته في كل زمان ومكان وكونه غضبا طريا كلما تلي واينما قرىء من دون ان يجلب للمقرىء أو المستمع الملل والنفور ..

١٠ ـ مباحثه الالهية كأحسن واكمل دراسة وبحث في علم اللاهوت وفي كشف وبيان اسرار السماوات وفلسفة المبدأ والمعاد وقيام الساعة ووصف الجنة والنار والصراط والميزان ..

هذا وسوف لانطيل المقام على القارىء الكريم في تفصيل كل مامرّ ذكره وانما سنكتفي هنا بالبحث والاشارة الى فقرتين اثنين منها وهما الفقرة الثالثة والرابعة المتعلقات بالابحاث العلمية والغيبية لارتباطهما بروح العصر ارتباطا قد يفوق ما عداهما ، تاركين البقية في مظانها ومصانها ومصادرها ..

وبقدر تعلق الامر بالميدان العلمي فنقول ان القرآن الكريم يشير في اماكن عديدة منه الى ظواهر علمية وفلكية لم يتفهمها الناس حق فهمها الا في العصور المتأخرة وبعد ان تطورت الاختراعات والابحاث العلمية ووصلت الى درجة سامية من الرقي والازدهار ..

فمثلا تأمل قوله تعالى « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون »(١٤) ففي هذه الآية يعدد القرآن وسائط النقل المعروفة منذ السنوات الغابرة الى وقت قريب ، فلو وقفت الآية عند ذكر الخيل

---

(١٤) النحل : ٨ .

والبغال والحمير لاصدمت لا محالة مع الوسائط النقلية التي نجدها الان، وبعد ان اوشكت الوسائط القديمةعلى الانقراض ، ولكن الله تعالى اعقبها بقوله « ويخلق ما لا تعلمون » فجعلت الآية تنفق وكافة وسائط النقل الجديدة من طائرات وقطارات وسيارات وبواخر وغيرها[١٥] .

وانظر الى قوله تعالى « فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون »[١٦] فان القدامى عند ملاحظتهم للشطر الاخير من الآية « ما لا تبصرون » لم يتجاوز مدى تفسيرهم وتأويلهم لها عن معنى الجن والارواح والاشباح ، الا انها الآن تستوعب كافة الاشياء التي اثبت العلم وجودها دون التمكن من رؤيتها بالعين المجردة كالالكترونات والپروتونات والجراثيم والذرة[١٧] .

ولاحظ ايضا قوله تعالى «خلق الانسان من علق»[١٨] الا يتفق مفهوم الآية وروح العصر الحديث (بعد اختراع المجاهر) والذي اثبت ان الماء الذي ينتقل من الذكر الى الانثى عند الاتصال الجنسي ما هو الا عدة ملايين (٣٠٠ — ٤٠٠) مليون من الحيويمنات المنوية التي تشبه العلق في شكلها وهيئتها بأن لها رأس ورقبة وذيل ، وعند التقاء احد الحويمنات وهو الذي يفوز بقصب السبق بالبويضة الجاهزة عند المرأة تنقسم البويضة الملقحة على نفسها عدة انقسامات لتكوّن بعد ذلك الجنين الذي سيستقر في قعر الرحم بينما تموت الملايين العديدة من تلك الحويمنات المنوية ..

---

١٥) فى الايمان والاسلام — احمد حسين .

(١٦) الحاقه : ٣٨ .

(١٧) فى الايمان والاسلام — احمد حسين .

(١٨) العلق : ٢ .

وتأمل قوله تعالى « وارسلنا الرياح لواقح »[١٩] ألم تسبق هذه الآية الزمن بوقت طويل ، حيث ان العالم الى ما قبل وقت قصير لم يك ليعرف ان النبات كبقية الكائنات له عضو مذكر وآخر مؤنث وانه يتلاقح كما يتلاقح الانسان وان الرياح هي الواسطة في كثير منها ..

وانظر الآن الى الآية الاخرى « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء »[٢٠] ألا تشير هذه الاية بكل صراحة ووضوح الى ان الجبال تتحرك رغم ان رؤيتنا لها تدل على انها جامدة وثابتة في محلها ، واذا ما تحركت هذه الجبال فهل يعقل ان تبقى الارض تحتها ثابتة أم انها تأخذ نفس حركتها ودورانها ..

اذن الا توحي لنا هذه الآية وتشير بجلاء الى حركة الارض وهي الحركة التي لم يدركها علماء الغرب الا في العصور المتأخرة[٢١] .

وبعد هذا تدبر هذه الآية « الذي جعل لكم الارض مهدا »[٢٢] الا يشير الوصف هنا الى المهد الذي يصنع للطفل الرضيع ليهتز تحته لينام عليه بكل سكينة وهدوء ، وان الارض هذه ذات الطول والعرض هي كالمهد في حركتها الوضعية والانتقالية[٢٣] ..

ولاحظ ايضا قوله تعالى « يكوّر الليل على النهار ويكور النهار على الليل »[٢٤] ألا ترى ان مفهوم ووصف الآية الى الليل والنهار المحيطين

(١٩) الحجر : ٢٢ .　　(٢٠) النمل : ٨٨ .

(٢١) الاسلام روح المدنية ــ مصطفى الغلاييني .

(٢٢) طه : ٥٣ .

(٢٣) البيان فى تفسير القرآن ــ السيد ابو القاسم الخوئي .

(٢٤) الزمر : ٥ .

بالارض من كل الاطراف والجهـات احاطة السـوار بالمعصم هو وصف التكوّر ، وهل تكورهما هذا جاء الا من شكل الارض التي تحيط بهما من الداخل ، كما هو عليه الامر في السوائل التي تأخذ شكل وهيئة قعر واطراف الاناء الذي تسكب فيه ..

والآن هل للتكوّر معنى غير التحدب وهل التحدب الا الكروية ، وهل هذه الآية الا دليل ناطق على كروية الارض وعدم تسطحها على عكس ما تصوره الاقدمون والى وقت قريب من ان الارض مسطحة ومستوية ..

وتأمل بعد الآن قوله سبحانه « او لم ير الذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقافقتناهما »[٢٥] ألا تنطبق هذه الآية على النظرية العلمية الحديثةلخلق المجموعات الشمسية واصل الكون ، هذه النظرية التي تذهب الى ان كافة النجوم والكواكب والمجرات كانت كلها منذ ملايين السنين كتلة واحدة تدعى « السديم اللولبي » وبطريقة غير معلومة وغير واضحة جرت عليه عدة انقسامات متتالية مكونة من ذلـك المجموعات الشمسية ومنهـا (مجموعتنا الشمسية) والنجوم والكواكب التي تملأ سماء الدنيا ..

وتدبر بعد هذا قوله تعالى « ايحسب الانسان ألن نجمع عظامه ، بلى قادرين على ان نسويّ بنانه »[٢٦] وهل البنان هنا الا نهاية الاصابع وهي البصمات التي يستعملها الناس في التواقيع ، ان هذه البصمات لا يمكن ان تتشابه بين شخصين اثنين رغم التشابه النسبي الملاحظ على بعض الاعضاء كالاعين والانوف والآذان وغيرها ، لذا اشار الله تعالى الى ان قدرته وسلطته

---

(٢٥) الأنبياء : ٣ .

(٢٦) القيامة : ٣ .

تتمكن من اعادة وانشاء ادق شيء في الانسان وهي البصمات وهذه البصمات التي لم يدرك الانسان كنهها وحقيقتها الا منذ مدة قريبة وفي سنة ١٨٨٤ م على وجه التحديد عندما استعملت بريطانية بصمات الاصابع لمعرفة هويات الناس وللتمييز ما بينهم ..

وانظر بعد هذا الى قوله تعالى « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم »[٢٧] ألا تتفق هذه الآية مع ما اثبته العلم الحديث اذ كشف عن ان الشمس تتحرك مع مجموعتها بسرعة ١٩ كم في الثانية في اتجاه نقطة معينة ..

واخيرا — وليس آخرا — تعال معي لنرى سويا هذه الآية وهي قوله تعالى « فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعّد في السماء »[٢٨] ألا تدل هذه الآية على ان الصعود الى الاعلى في السماء يسبب ضيقا في الصدر وهو نتيجة طبيعية لنقص كمية الاوكسجين وانخفاض الضغط في طبقات الجو العليا ، وكل هذه الامور لم تعرف الا من مدة قريبة[٢٩] ، لذا نرى رواد الفضاء يرتدون ملابسا خاصة تجعل كمية الاوكسجين والضغط دائما وابدا في داخلها في الوضع الطبيعي وكما هو على سطح الارض ، والا فالموت المحقق في انتظارهم لا محالة ..

اما فيما يتعلق الامر بالفقرة الاخرى وهو الميدان الغيبي فنجد في القرآن الكريم تنبؤات عديدة تشير الى حتمية وقوع حوادث في المستقبل

---

(٢٧) يس : ٣٨ .

(٢٨) الانعام : ١٢٥ .

(٢٩) الاسلام روح المدنية — مصطفى الغلاييني .

القريب أو البعيد ثم يدور الزمن دورته لنرى بعدها صدق وتحقق هـذه التنبؤات والحوادث مائة في المائة .

وأول هذه التنبؤات تلك التي يشير اليها المؤرخون دوما في كتبهم وأخبارهم وهي الواقعة الحربية التي جرت بين الفرس والرومان (الروم) والتي انتصر فيها الفرس سلفا وكانت في سنة ٦١٨ م ، كما وكانت قيادة جيوش الفرس بيد ملكهم خسرو الثاني ، وهذا الانتصار الذي تم للفرس اولا ادى - حين وصل خبره الى مكة - ادى الى فرح وغبطة وتشمت القرشيين بالمسلمين ، لان الرومان وهم اصحاب دين سماوي قد هزموا واندحروا أمام الفرس الذين لا يؤمنون بدين سماوي ، وكذلك الامر والقياس سيكون في مكة حيث سينتصر القرشيون وهم غير مرتبطين بدين سماوي على المسلمين الذين يدّعون (بزعم القرشيين) انهم اهل دين سماوي كالرومان ..

ولكن الوحي لم يك ليترك الرسول والمسلمين ضحيـة هذه الشماتة وهذا الفرح الغامر والسرور الذي عاشه الكفار من قريش ، بل جاء ليخبرهم امر الله وحكمه الذي لا مرد له وهو ان الرومان سـيعيدون الكرة على الفرس وينتزعوا منهم النصر في غضون وبحر عدة سنين[٣٠] ، فما هي الا سنوات معدودات واذا بالرومان بقيادة امبراطورهم هرقل ينزلون بساحـة جيوش الفرس بقيادة كسرى پرويز[٣١] الهزيمة والخسران في الواقعة المعروفة

(٣٠) يروى هنا ان ابا بكر قد راهن مشركي قريش على تحقق هـذا التنبؤ فكسب الرهان بطبيعة الحال وانفقه جميعه في الصدقة ..

(٣١) كسرى پرويز هو نفسه الذي ارسل اليه الرسول (ص) كتابا يطلب فيه اشهار اسلامه ولكنه عوض ان يلبي نداء الاسلام مزق الكتاب وطلب من عامله على اليمن ايفاد من يجلب الرسول (ص) اليه ، وحين علم النبي (ص) بذلك قال « مزق الله ملكه » فكان كما قال النبي ..

باسم الزاب او (نينوى) في عام ٦٢٧ م ..

والآية أو الآيات التي نزلت فيهذا الصدد واشارت الى انتكاس الروم وهزيمتهم سلفا ثم انتصارهم بعد ذلك في فترة بضع سنوات هو قوله تعالى « الم ، غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين »[٣٢] .

ومن هذه الغيبيات ايضا ما جاء في سورة اللهب وهي « تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، في جيدها حبل من مسد » .

فهذه السورة مكية نزلت في بدء الدعوة الاسلامية وهي تعبّر بوضوح عن السخط واللعنة الدائمية التي تصب على رأس هذا القرشي وزوجته فضلا عن الاشارة الى ان مصيرهما في الآخرة هو حتما سيكون الى العذاب والنـار ..

هذا وقد شاهدنا في خلال احداث التاريخ الاسلامي ان كثيرين من ألد اعداء الاسلام قد تحولوا فيما بعد الى أشد مدافع وذائد عنه بعد اسلامهم وانضمامهم لصفوف المسلمين ..

فيا ترى ما هي الحال والوضع الذي سينجم فيما اذا كان ابو لهب او زوجته كأحد هؤلاء الذين اشهروا اسلامهم فيما بعد وانضموا الى جماعة المسلمين ..

ان الله تعالى علم بأن هذا الشخص وزوجته سوف يبقيا الى الابد على كفرهما ولن يتشرفا مطلقا بالدخول الى الاسلام ، وان اللعنـة ستلحقهما حتى حتفهما وبعده ..

---

(٣٢) الروم : ١ ، ٢ .

وهكذا تحقق صدق الآية حيث لم يزل ابو لهب يتقلب على امواج الكفر ويظهر عدائه وخلافه للاسلام حتى هلك بعد واقعة بدر الكبرى عام ٢ للهجرة والتي لم يشهدها بنفسه ، فذهب مع زوجته يشيعهما العار والشنار الى العذاب والعقاب الجسيم ..

ومن الغيبيات ايضا قوله تعالى « ان علينا جمعه وقرآنه »[٣٣] وقوله « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »[٣٤] فقد اشارت هاتين الآيتين الى ان القرآن الكريم في حرز حريز ومحفوظ من التحريف والضياع والتبديل ، وان كل يد مهما علت وسمت لا يمكنها انتتلاعب فيه ، وهكذا تحقق فيما بعد صدق الآيتين عن عدم ضياع أو فقدان اية آية من كتاب الله ، والذي تم جمعه فيما بعد في المصحف الذي بين ايدي المسلمين الآن وعلى الترتيب والطريقة التي اشرنا اليه من قبل ..

ومن المغيبات كذلك قوله تعالى « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون »[٣٥] ، فهذا الذي وعد به القرآن قد تحقق فعلا فيما بعد ودخل المسلمون مكة المكرمة معتمرين وحاجين اولا ثم دخلوها فاتحين ومنتصرين ، وتمت بذلك ارادة الله وصدق كلامه ووعده الذي لا مبدل له[٣٦] ..

ومنها ايضا قوله تعالى على لسان كفار قريش في يوم بدر « أم يقولون نحن جميع منتصر ، سيهزم الجمع ويولون الدبر »[٣٧] .

---

(٣٣) القيامة : ١٧ .

(٣٤) الحجر : ٩ .

(٣٥) الفتح : ٢٧ .

(٣٦) فى الايمان والاسلام ـ احمد حسين .

(٣٧) القمر : ٤٤ .

وكان هذا عندما تقدم قائد قوات جيش الكفر في بدر « ابو جهل » نحو الصفوف الاولى من جيشه مناديا وصارخا بكل غرور وخيلاء وعلى مسمع من الرسول (ص) واصحابه مناديا بأنه سينتصر اليوم لا محالة على محمد واصحابه ، فانزل الله سبحانه الآيات المذكورة ليطمئن قلوب المسلمين والتي أوشكت بعضها ان تضطرب وتهلع عند سماع تهديدات ابي جهل الآنفة الذكر ووعيده وتباهيه بتزاحم عدد جيشه وكثرته ..

فلم تمض على هذه التهديدات والانذارات الا ساعات معدودة واذا بتلك الجموع الهائلة المحتشدة لقتال المسلمين تنكص على اعقابها وتتراكض مسرعة الى الوراء لا تلوى على شيء طلبا للنجاة والسلامة ، وتاركة على ارض المعركة عددا كبيرا من القتلى منهم بعض قادتها وزهرات شبابها وفي طليعتهم صاحب الوعد والوعيد « ابي جهل » نفسه الذي قتل في المعركة وذهبت روحه مشيعة بالهوان الى السعير واشد العقاب والعذاب ..

***

العناية بالقرآن

ان العناية بالقرآن كانت ولا تزال واجبا طبيعيا وفرضا ادبيا على كل مسلم ومسلمة لانه كتاب الله العظيم ومعجزة نبيه الكريم (ص) والاساس الذي يقوم عليه ركن الاسلام وانه يضمن صلاح البشر وسعادتهم واسعادهم فضلا عما يضم من علوم اجتماعية واقتصادية وسياسية وقانونية .

لذا فقد احله ووضعه المسلمون في المكانة العالية والدرجة الرفيعة والمنزلة السامية من نفوسهم ومشاعرهم ، كما واسبغوا عليه كل ما يستحقه من التكريم والتعظيم والحفظ والكتابة والطبع والتحسين .. وغيرها .

وها نحن اولاء سنشير الى بعض هذه النقاط فيما يلي من سطور بالتتابع :

فبصدد الحفظ فقد كان المسلمون لا يألون جهدا في حفظ واستظهار عن ظهر قلب قديما ـ كما سلف ذكره ـ او حديثا شيئا من القرآن او القرآن كله طلبا للثواب والعظة والتماسا للعبرة والتبرك وتقويما للغة واللسان[1] ، وكان المسلمون يتنافسون فيما بينهم في عدد المرات التي انهوا

(١) دوّن بعض الناس في كتبهم اسماء كافة السور القرآنية ووضعوا امام كل سورة مقدار الثواب والجزاء الذي يناله الفرد عند اتمام قراءتها مثل مائة حجة مقبولة أو صيام مائة شهر او قيام الف ليلة ... الخ .

والحقيقة ان كل هذا هو مبالغة قبل ان يكون واقعا ، فلكل سورة اجر وثواب عظيمين ولكن ليس كما هو مدوّن عند هؤلاء الناس ..

والظاهر هنا انها وضعت من قبل هؤلاء الناس أو من غيرهم لاجل حث وترغيب الافراد على قراءة كل سور القرآن ..

(ختموا) بها قراءة القرآن كله ، كما وكانت تقام في المكاتب والمدارس والى عهد قريب حفلات خاصة تنتهي بموكب طويل يسير في طرقات البلد ويشترك فيه كافة الطلبة وذلك على شرف الطالب الذي فرغ من ختم القرآن، فضلا عن الهدايا والخلع التي يتلقاها هذا الطالب من أهله ومعلميه واصدقائه بهذه المناسبة ..

وقد اصطلح الناس الآن على ان يسمّوا من يقرأ القرآن عن ظهر قلب ووفق قواعد التجويد بـ — الحافظ — ولمن يقرأ في المصحف وفق تلك القواعد بـ — القاريء — ، علما بأن القراءة في المصحف تعتبر اكثر اجرا وأجزل ثوابا من القراءة عن ظهر قلب لأن الاولى تجمع بالاضافة الى القراءة النظر الى القرآن ، بينما الثانية تقتصر على القراءة فقط[٢] وطبيعي ان النظر الى القرآن ليس فقط هو سبب الثواب والاجر وانما هو وسيلة وطريقة لايجاد المصحف والاعتناء به وتهيئته للقراءة .

وقد تطورت طريقة القراءة للقرآن بمرور الزمن واتجهت نحو التحسين والكمال ، وقد أمكن بذلك جمع القواعد والضوابط والمحسنات لهذه القراءة الكاملة في باب خاص دُعي بـ « علم التجويد » ..

وهذا العلم وان كان غير واجب الالمام بكافة تفاصيله وفروعه وشعبه لمن يقرأ في القرآن او يؤدي الصلوات الخمس ، الا ان معرفة ودراسة وتعلم مواضيعه وابحاثه المهمة وقواعده العامة واجب وضروري على كل هؤلاء ، بل لقد ذهب البعض الى انه يجب الامتناع عن قراءة القرآن دون العلم المسبق بالفباء وقواعد التجويد العامة ، لان الالمام بهذا العلم سيجنب القاريء الكريم الاخطاء والمزالق في خلال قراءته ، لانه سيقف في محلات

(٢) البرهان في علوم القرآن — بدر الدين الزركشي .

الوقف ويعطي كل حرف ما يستحقه من اظهار او اخفاء اضافة الى الادغام في حروف يرملون وغير ذلك .

وها نحن اولاء نورد بعض الامثال فيما تعم البلوى لشرح بعض الجمل والعبارات الآنفة الذكر فأقول :

على القاريء ان يقف عند قوله « يدخل من يشاء في رحمته » [٣] ولا يجوز هنا ان يوصله بقوله بعد ذلك « والظالمون ... » وقس على هـذا نظـائره ..

وعليه ايضا ان يوصل في قوله تعالى « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة »[٤] حيث لا يجوز الوقوف عند لفظة طيبين أو عند لفظة عليكم .. وهكذا في غيرها .

وعلى القاريء الكريم عند القراءة في المصحف او الصلاة ان يسكّن الحرف الذي يقع في نهاية كل لفظ أو جملة يقف عنده ، كما وعليه ايضا اذا التقى لديه حرفان اثنان من حروف (يرملون) ان يدغم الحرف الاول فلا يقرأه يدغمه في الحرف الثاني الذي يلزم ان يقرأه ويظهر لفظه (على ان يراعى الحرف الاول والاخر من كل لفظ بنظر الاعتبار لا الحروف الاخرى التي تقع داخل اللفظ) ..

وكمثل بسيط على تطبيق قاعدة حروف يرملون هذه اقول :

ان القاريء عند شروعه في الصلاة ووصوله الى نهاية سورة التوحيد عند هذه الآية « ولم يكن له كفوا احد » عليه هنا في هذه الحالة وفيما يشابهها ان يدغم النون في اللام فلا يظهر للاولى صوتا وتكون قرائته لهذه

---

(٣) الشورى : ٦ .

(٤) النحل : ٣٢ .

الآية هكذا « ولم يكل له كفوا احد » وعلى هـذه قس ما سـواها من الحالات ..

وطبيعي بعد هذا ان خير قراءة للقرآن تلك التي تكون بحضور قلب وبتدبر لمعاني الكلمات والاغراض فضلا عن ان كيفية القراءة هذه وسبيلها يلزم ان يكون كما قال الشاعر الباكستاني المسلم الدكتور محمد اقبال(٥) اذ قال : عليك ان تقرأ القرآن كأنه نزل عليك وكأنك انت المخاطب الرئيس فيه والمعني به ..

أما بصدد كتابة وطبع المصاحف فقد تدرجت وتطورت هذه منذ القدم (حينما كان الكاتب يحتاج الى مدة طويلة لكتابة مصحف واحد) الى الوقت الحاضر (والذي يمكن فيه طبع آلاف النسخ كل يوم) وهذا التطـور والتدرج قد تم على الوجه التالي :

لقد كانت المصاحف في صدر الاسلام لا تباع بالمرة ، وانما يأتي الرجل بورقة بيضاء عند المنبر في المسجد فيقوم المحتسب فيكتب له من اول سورة البقرة حتى يأتي غيره لاكمال ما ابتدأه الاول وهـكذا حتى يتم تـدوين المصحف(٦) ..

---

(٥) ولد الدكتور محمد اقبال فى مدينة سيالكوت عند حـدود كشمير الجنوبية والى الشمال الغربي من لاهور ، وهو من الدعاة الاوائـل لقيـام الباكستان ، توفى ـ رحمه الله ـ سنة ١٩٣٨ ، وقبره بديع وحديث يقـع عند مدخل مسجد بادشاهي من الجهة اليسرى بلاهور ! والمسجد هـذا هو اكبر مسجد فى العالم) وسيرد ذكره فى كتابنا المقبل والمعلن عنـه فى نهايـة هذا الكتاب ..

(٦) تاريخ القرآن ـ محمد طاهر الكردي .

وعلى هذه الطريقة سار الامر لفترة قصيرة حتى تطلب الوضع الجديد وجود كثيرين من المؤمنين والصالحين يتفرغون لكتابة المصاحف نظرا لعدم اختراع المطابع بعد ، وقد كان البعض من هؤلاء يكتب مصحفا واحدا او عشرة في العمر ، كما وتمكن قلائل من كتابة مائة مصحف في حياتهم ، حيث يحتفظ كل واحد منهم بنسخة من هذه المصاحف ويهدي البقية الى المساجد والتكايا ودور العلم ومعاهد التدريس طلبا للأجر والتماسا للثواب من عند الله تعالى وعلى النحو الذي نجده الآن عند البعض من اهـداء المصـاحف المطبوعة الى المساجد والحسينيات وغيرها ..

وطبيعي ان هذا العمل ــ الكتابة ــ يحتاج الى صبر طويل ومجهود شاق فضلا عن الثروة والامكانية المالية المطلوبة لتلافي نفقات الصرف طيلة سنوات الكتابة والتدوين ..

ولولا ان قلوب هؤلاء الكتاب الصالحين كانت عامرة بالتقوى والامل برضاء الله تعالى ورضوانه لما كان في مكنة الواحد منهم خط او كتابة هذا القدر من المصاحف الكريمة ومراجعتها بعد ذلك لتصحيح ما قد يقع فيها من اغلاط كتابية واشتباهات ..

كما واسهم الخطاطون المسلمون بدورهم في تجويد القرآن وتحسين خطه وكتابته ، فقد ظهر جملة من هؤلاء الخطاطين ممن اشتهر بجمال الخط وبديع الرسم وبراعة التصوير مما اكسب الخط القرآني جمالا وروعة..

ولا يخفى هنا ان الخط من الصنائع المدنية والتقدمية وهو يتطـور بتطور المجتمع وعمرانه وثقافته وفنونه ، لذا تطور الخط والكتابة بتطور المجتمع العربي والاسلامي وواكب مسيره وتقدمه ..

وقد ظل هؤلاء الخطاطين يكتبون المصاحف بالخط الكوفي حتى مطلع

القرن الخامس الهجري ثم صاروا يكتبونها بخط الثلث حتى القرن الثامن او التاسع الهجريين على الاكثر ..

ولما ظهر خط النسخ الذي هو من اجمل الخطوط وهو اساس الخط العربي الى اليوم صاروا يكتبونها به الى عصرنا الراهن .

وكان القرآن يضم حينئذ كافةالنقط والحركات التي لا نزال نستعملها حتى الان في كتاباتنا دونما زيادة أو نقصان(٧) ..

علما بان العرب كانوا قبيل الاسلام يكتبون بالخط الحيري — نسبة الى الحيرة — ثم سمي هذا الخط بعد الاسلام بالخط الكوفي(٨) ، وقد تطور الاخير على النحو المشار اليه آنفا ..

هذا وقد كان الملوك والسلاطين — سابقا — وان ندر الآن ينفقون المبالغ بسخاء وكرم في سبيل اقتناء المصاحف الخطية القيمة التي كتبها عظماء الخطاطين ومشهوريهم كما وكانوا يوعزون اليهم بتذهيب المسافات والمساحات التي تفصل ما بين السطور او التي تقع ما بين الكتابة واطراف الورقة ..

كما وحرص هؤلاء وغيرهم من المسلمين على تجليد هذه المصاحف تجليدا فنيا ودقيقا محافظة على الاوراق داخله من ان تسقط او تتمزق فضلا عن اعطاء القرآن منظرا جميلا وجذابا ، وكانوا ينفقون على هذا التجليد ولا سيما في رسم اللوحات والتصاميم والخطوط الهندسية والفنية على ظهور المصاحف هذه والتي لا تقل روعة وجمالا عن تلك التي نجدها الان على واجهة السجاد الكاشاني الايراني كانوا ينفقون على كل هذا مبالغ جسيمة من المال ..

---

(٧) تاريخ القرآن — ابي عبدالله الزنجاني .

(٨) الفهرست — ابن النديم .

وكان هؤلاء الملوك والسلاطين والحكام ، في ذلك الوقت وحين كانت المصاحف خطية ولم تطبع بعد كان هؤلاء يحرصون على مراجعة مصاحفهم بأنفسهم او عن طريق الآخرين من أجل تصحيح او التثبت من عدم وجود أية غلطة نحوية قد ترد فيه نتيجة لاشتباه او سهو او غفلة قد يقع فيه الكاتب عند املاءه وكتابته لهذه المصاحف ..

ونذكر هنا بهذه المناسبة ان احد هؤلاء الحكام السالفين كان قد وضع جائزة ثمينة ومغرية كهدية تدفع على الفور لكل شخص يعثر على غلطة كتبت في مصحفه الخطي اشتباها ، وكان لهذا قد وضع هذا المصحف في متناول كل شخص يطلبه لقراءته وملاحظته للفوز بالجائزة الموعودة .

وقد تعب جمع كبير من الناس في تصفحه وقرائته دونما طائل ، حتى تمكن احد المحظوظين من العثور — بعد جهد جهيد — على التباس بسيط جرى عند كتابة الآية التالية من قبل الكاتب ، والآية كاملة هي « ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب »[٩] والالتباس هنا قد جاء عن طريق تقديم الجيم على العين في لفظ النعجة الثانية فكانت « نجعة » فنال بسببها صاحب الحظ السعيد هذا على الجائزة كاملة مع التقدير ..

وقد دفعه طموحه بعد ذلك لاعادة الكرة والقيام بمحاولة ثانية الا انها باءت بالفشل والخسران مثلما باءت محاولات غيره من قبله ومن بعده..

وقد كان هؤلاء الامراء والحكام يحتفظون بمثل هذه المصاحف الثمينة لتبقى اثرا خالدا وذكرا حميدا ، وقليل منهم من كان يبغي من ذلك القربة المطلقة الى الله تعالى بينما الغالبية كانت تفعل ذلك لمجرد المباهاة والرياء

(٩) ص : ٢٣ .

والمحافظة على تأييد سواد الناس والجند لها ..

علما بأن اختراع المطابع — كما سنرى — وضبط طباعة المصاحف فيها قد اراحت الحكام والمسلمين الآن عن الاحتفاظ بالمصاحف الخطية الا ما ندر فضلا عن مراجعتها ..

وبصدد لمس القرآن وحروفه فنقول انه لا يجوز لغير المتطهر (غير المتوضيء) ان يلمس كتابة القرآن ولو كانت هذه الكتابة حرفا واحدا فقط ، ولا ضير عليه هنا من مس جلد القرآن واطراف صفحاته دون حروفه كما وله القراءة فيه او عن ظهر قلب وان كان يستحسن له ويفضّل ان يكون على طهارة ..

وبصدد المجنب سواء كانت جنابته قد جاءته من الحلال او الحرام فلا يجوز له القراءة في القرآن مطلقا حتى يتطهر بالغسل ، كما ولا يجوز له قراءة اكثر من سبعة آيات عن ظهر قلب ، وكلما زاد في القراءة على ذلك تضاعفت الكراهة ، عدا آيات السجدة حيث لا يجوز للمجنب قراءة أي شيء منها بتاتا ، وعند قرائتها (آيات السجدة) من قبل غير المجنب فعلى الاخير ان يسجد على الارض كما وعلى من يسمع هذه الآيات تتلى ان يقوم بدوره بالسجود ، فحكم القاريء والسامع لها في السجود سواء[١٠] ..

وقيل ان حكم آيات السجدة تسرى حتى على اولئك الذين يسمعون تلاوتها من المذياع أو ما اشبه ..

واننا عندما تطرقنا لكل ما تقدم فلأجل ان نظهر مدى احترام وتقديس المسلمين لكتابهم الجليل ومنزلته المحترمة في نفوسهم وقلوبهم ..

أما بشأن طباعة المصحف فان اختراع المطابع كان في المانية عام

---

(١٠) هناك دعاء خاص يقرأ فى خلال السجدة استحبابا لا مجال

١٤٣١ م[١١] وكانت حينئذ بصورتها البدائية والاولية وقد مضى عليها فترة طويلة حتى تطورت وتحسنت وبعدها دخلت الى ايطالية وفرنسة وبريطانية وبعد ذلك بفترة طويلة انتشرت في سائر انحاء العالم ..

وأول ما طبع القرآن الكريم كان في مدينة البندقية «ڤينيسيا» بايطالية عام ١٥٣٠ م ولكن الكنيسة — التي كانت تتمتع حينئذ بسلطات مطلقة — اصدرت حكما قاسيا وشديدا يقضي باعدامه واتلافه وهو في المهد ، لذا لم تتسرب منه أية نسخة الى أي بقعة من اطراف العالم[١٢] ..

وبعد ذلك بحوالي قرن ونصف أي في سنة ١٦٩٤ الموافق لسنة ١١١٣ هجرية تمكنت احدى مطابع هامبورغ بالمانية من طبع المصحف الشريف ..

ويقال بصدد نسخ المصحف هذا انه لم يعد لها ذكر ولا وجود في كافة انحاء العالم الاسلامي وغير الاسلامي عدا نسخة واحدة منه قيل انها موجودة الان في دواليب دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ولا نعلم يقينا كيف تسربت هذه النسخة اليها ولم تصل الى اية مكتبة اخرى في العالم ..

والظاهر مما تقدم هنا ان الطبعات الاولى للقرآن كانت في اوربا وفي نطاق محدود بسبب عدم وصول المطابع وانتشارها في العالم الاسلامي ولان طبعه هناك لم يك لهدف او غرض روحي أو مثالي ، وانما كانت تطبع هناك لايراده هنا ..

(١١) كان فن الطباعة معروفا فى شرق آسيا قبل مدة طويلة من اختراع المطبعة خلال القرن الخامس عشر فى اوربا ، وقد كان اهل الصين فى القرن الحادي عشر يستخدمون مطبعة متنقلة مصنوعة من الصين ، كما انهم طبعوا كتابا للصلاة فى سنة ٨٩٨ م ..

(١٢) تاريخ القرآن — محمد طاهر الكردي .

نسخ محدودة بقصد الاحتفاظ بقسم منها كأثر تاريخي ثمين ، او تقديم عدد منها الى احد سلاطين وملوك المسلمين في ذلك الوقت بقصد ضمان حقوق وامتيازات خاصة في اراضيهم أو أمل الحصول على مبالغ طائلة من المال .

لذا نرى انقراض او ندرة هذه الطبعات من القرآن الكريم من المكتبات ..

أما عن طباعة المصاحف في العالم الاسلامي او بقول آخر عن الطباعة التي تولاها المسلمون ، فقد كانت اول طبعة اسلامية خالصة للقرآن قد قام بها مولاي عثمان في مدينة لينتغراد في روسيا القيصرية عام ١٧٨٧ م ، وظهرت اثرها طبعة تماثلها في مدينة قازان بجنوب روسيا ، ثم طبع القرآن الكريم بعد ذلك طبعة حجرية في طهران سنة ١٨٢٨ م تلتها طبعة اخرى في مدينة تبريز بشمال غرب ايران عام ١٨٣٣ م ، ثم ظهرت أثر ذلك طبعات عديدة في مدينة حيدر آباد وغيرها من مدن شبه القارة الهندية (قبل تقسيمها) ، وبعد ذلك طبع المصحف في أسطنبول حاضرة الخلافة العثمانية عام ١٨٧٧ م[١٣] ، وبعدها انتشرت طباعة المصاحف في مصر (الجمهورية العربية المتحدة) وبقية اطراف العالم الاسلامي وبشكل موسع ومتقن ..

كما وقد قام قسم من المسلمين بجهود آخر وذلك عن طريق استخراج احصائيات طريفة ودقيقة من القرآن ..

---

(١٣) دخلت المطابع الى تركية فى عهد السلطان احمد الثالث ، وقد منع الاخير طبع المصاحف بالمطبعة لاسباب لا نعرف حقيقتها على الرغم من افتاء مشيخة الاسلام بجواز استعمال المطابع للطبع عدا طبع المصاحف وفى عهد خلفه السلطان عبدالحميد الاول اجيز طبع المصاحف بالمطبعة ، وفى عهد خلفه محمود الاول زاد الاهتمام والعناية بطبعها ..

وهذه الاحصائيات تشبه الى حد كبير تلك التي نجدها في عالم الاقتصاد والزراعة والتجارة والثروة القومية وغيرها والتي تسهل الوقوف والاطلاع على تزايد أو نقصان الصادرات او الواردات أو الثروة الوطنية او الوقوف على اعداد كل نوع من الحيوانات و بعض الاشجار الخاصة كأشجار النخيل عندنا مثلا ، وكل هذه تساعد على تنمية التجارة والثروة القومية ومعالجة ما قد يطرأ عليها من تدهور او ضعف ..

وقبل ان نتكلم عن هذه الاحصائيات في القرآن نشير الى احصاء اسلامي قديم قدم التاريخ الاسلامي كان قد جرى في السنوات الاولى للهجرة ، ولعله اول احصاء في الاسلام ، ذلك انه حدث ان اراد الرسول (ص) احصاء عدد المسلمين فقال (ص) اكتبوا الى كل من تلفظ بالاسلام فكتبوا فكان الف وخمسمائة رجل وهو عدد كافة الرجال من المسلمين . وكان اذا نودي للزحف يعرف من تخلف عنه (ص) بعد احصاء الحاضرين ، فيلومه اذا كان بدون سبب مبرر أو بدون عذر شرعي او شبه عذر ..

ان الاحصائيات عن القرآن وان كانت لا تضر من يجهلها ولا تنفع من علمها نفعا يذكر ، الا انها تسجل مدى تتبع المسلمين لآيات الكتاب المجيد والاحاطة بها ومدى الصبر والجلد والانتباه الذي تحلوا به في استخراج مثل هذه الاحصائيات الدقيقة من القرآن الكريم ..

ان هذه الاحصائيات تتعلق بنواحي عديدة ومختلفة من القرآن مثل عدد سوره وآياته وكلماته وعدد المرات التي ذكرت فيه فريضة الصلاة او الصيام او المرات التي ذكر فيه كل نبي من الانبياء .. الخ .

الا اننا اختصرناها في هذا المكان ـ وهذا هو دأبنا في غير هذا المكان ايضا ـ وآثرنا ايراد بعضها وهو ما يتعلق بالطريف واللذيذ منها وهي هذه:

ان عدد آيات القرآن الكريم هي ٦٫٢٣٦ آية

ان عدد الآيات المكية هي ٤٫٦١٣ آية وقيل ٤٫٧٨٠ آية .

ان عدد الآيات المدنية هي ١٫٦٢٣ آية وقيل ١٫٤٥٦ آية .

ان عدد كلمات القرآن الكريم هي ٧٧٫٩٣٤ كلمة .

ان عدد حروف القرآن الكريم هي ٣٢٣٫٦٧٠ حرف

ان عدد نقط القرآن الكريم هي ١٫٠٢٥٫٠٣٠ نقطة

هذا وقد تمكن البعض من احصاء اسماء الانبياء والرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم لمرة واحدة أو اكثر وعلى وجه الصراحة (لا الاشارة) وادخل هذه الاسماء في رجز بديع ليمكن حفظه واستظهاره بسرعه وهذا الرجز هو :

الرسل الذين في القرآن — خمس وعشرون فخذ بياني

هم آدم ادريس نوح هود — يونس الياس اليسع داود

ثم شعيب صالح ايوب — هارون ثم يوسف يعقوب

اسحاق ابراهيم لوط موسى — ذو الكفل يحيى زكريا عيسى

ثم سليمان واسماعيل — خاتمهم محمد جليل

وهناك من درس الآيات القرآنية الكريمة وقارن ما بينها لمعرفة الآية التي هي أشد ما تكون وطأة على الكافرين وتلك التي هي ارحم آية في القرآن للناس فضلا عن الآية التي تجمع خصال الخير والنهي عن الشر .. وغير ذلك .

فوجد ان أشد آية في القرآن قوله تعالى « فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا »(١٤) بينما ارحم آية فيه هي قوله تعالى « قل يا عبادي الذين

(١٤) النبا : ٣٠ .

اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم »[١٥] اما اجمع آية في القرآن فهي قوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذيالقربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون »[١٦] .

هذا وهناك الكثير من الادباء والكتاب من يدخل الآيات البينات او مقاطع منها في ثنايا أو صفوف كتاباتهم او ان يصدروا بها مؤلفاتهم ، مما تكسبها طابعا جميلا وتصويرا بديعا فضلا عن وقعها الحسن على الاسماع والنفوس ..

وهناك ايضا من يقوم بتضمين القرآن في الشعر وهذا يعد من انواع البديع مثل قوله القائل :

انلني بالذي استقرضت خطا   واشهد معشرا قد شاهدوه
فان الله خلاّق البرايا   عنت لجلال هيبته الوجوه
يقول « اذا تداينتم بدين   الى اجل مسمى فأكتبوه »[١٧]

كما ونشاهد من يسجلالآيات الخاصة كتلك التي تأمر بالعدل والدعوة للجهاد[١٨] والعمل الصالح أو تجري مجرى الحكمة والامثال أو القول الحسن أو الانفاق في سبيل الله او تجنب الظلموالبغي او الحكم بالقسطاس او امهال المعسر .. الخ .

نشاهد منيسجل كلها أو بعضها على لوحات فنية وبخط بارز وجميل

---

(١٥) الزمر : ٥٣ .
(١٦) النحل : ٩٠ .
(١٧) : البقرة ٢٨٢ .
(١٨) ومن هذا النوع ما شاهدته فى قاهرة المعز قرب ساحة التحرير

من أجل ان تعلق على

لتبقى معاني كل هذه

المرء دائما وابدا ..

وهناك أيضا في

من القرآن الكريم لا

العادي فيؤدي لذلك

وهذا ان دل

للقرآن وسرعة ايراده

التي تتجاوز الستة آلا

ولا ضير هنا

صحتها ووثاقتها قا

الشبهات حول

ارتبط القرآن

الى النساء ، بل

لهن مع العالم ال

ونحن اذ نشي

ان ندخل في صلب ال

والكتاب الا ان الا

حيث رفع قوس كبي

فوقه صورة كبيرة تم

الصورة سجلت هذه

ذلك يوم الخروج » ..

في شيء فهم متساوون

..

ك الذي يتعلق بطبيعة

نظرة طبيعية لان المرأة

لجهاز الانساني والجناح

لسمو ، رغم محاولات

قصى اليسار ، رغم

الامر في سوق البورصة

لانسانية .

لتزامات ما لم تعطها

كريمة واسبغ عليها

الوضعية المعاصرة

نعة للرجل وليست

ان ليأتي لو لم تكن

فكانت تعمل كمعينة

في المدينة المنورة

وهويات اشخاصها

منها مثلا وقدوة في

والقصة ندونها ادناه بتصرف وهي[١٩] :

قال بعضهم : انقطعت عن طريق القافلة بمسافة قصيرة فوجدت امرأة هناك فقلت لها من انت : فأجابت « وقل سلام فسوف تعلمون » فسلمت عليها وقلت ما تصنعين في هذا المكان فقالت « من يهدي الله فلامضل له » فقلت لها أمن الجن انت أم من الانس فأجابت «يا بني آدم خذوا زينتكم» فقلت لها من أين اقبلت فأجابت « ينادون من مكان بعيد » فقلت لها الى اين تقصدين فقالت « ولله على النـاس حج البيت » فقلت متى انقطعت عن القافلة فقالت « ولقد خلقنا السماوات والارض في ستة ايام » فقلت لهـا أترغبين في الطعام فأجابت «وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام» فأطعمتها مما معي من الطعام ثم قلت لها اسرعي واستعجلي للرحيل فقالت « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » فقلت هل أحملك معي فقالت « لو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا » فنزلت من ناقتي واركبتها فقالت عند الركوب « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » .

ولما أدركنا القافلة قلت لها هل لك احد فيها فأجابت « يا داود انـا جعلناك خليفة في الارض ، وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، يا موسى اني انا الله » فناديت بهذه الاسماء الاربعة وهي « داود ، محمد ، يحيى ، موسى » فاذا بأربعة شباب برزوا من قلب القافلة وتوجهوا نحوها مسرعين فقلت لها ما علاقة هـؤلاء بك فقالت « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » فلما وصلوا جوارها قالت لهم « يا أبتاه استأجره ان خير من استأجرت القوي المكين » فكافؤني بحاجات

---

١٩) زينب الكبرى ـ الشيخ جعفر النقدي .

واشياء عديدة ثم قالت لهم « والله يضاعف لمن يشاء » فزادوا على ما اعطوني ثم سألتهم عنها وعلاقتها بهم فقالوا هي والدتنا .. ما تكلمت معنا ومع غيرنا منذ عشرين سنة الا بالقرآن الكريم وكما سمعت بأذنيك منها ..

هذا وهناك قصص وخطب أخرى على غرار القصة الانفة الذكر أحجمنا عن ايرادها في هـذه الدراسة خشية الاطناب والتطويل ومغبة ان تتنكب سبيلنا في كتابة هذه الفصول وهو سبيل الايجاز والاختصار ما أمكن ..

***

القرآن في نظر غير المسلمين

قلنا فيما مضى ان العالم لم يعدم اناس منصفين وعادلين من غير المسلمين سواء كانوا من المستشرقين او من غيرهم ممن كتب الحقيقة وسجل الواقع عن القرآن والاسلام ، بل ما اكثر هؤلاء في العصر الحاضر ، هذا العصر الذي غلبت وطغت عليه الابحاث العلمية الدقيقة والحقائق التاريخية الواقعة غلبت وطغت كل هذه على الاهواء والاكاذيب والمفتريات التي ليس لها ظل من الحقيقة ولا سندا من الواقع وغير المعتمدة على المصادر والمراجع الصحيحة ، والتي تزدهر وتنتعش وتعشعش في عهود التخلف والجهل وفقد الوازع الديني ، وهي العهود التي سبقت هذا العصر بقليل وان كانت بعض ذيولها ورواسبها تعمل عملها ولم تمت بعد الا انها سائرة في طريق الانقراض والفناء لا محالة ..

ولا نستطيع هنا — ونحن نحاول دوما ان نختصر المواضيع ونوجز الابحاث — لا نستطيع ان نورد اسماء وهويات كل هؤلاء المنصفين والغربيين من غير المسلمين او ندون كافة وسائر ما سجلوه بحق الاسلام والرسول (ص) ، وما حرروه بصدد القرآن واحكامه وعلومه وكيف انه يضم القانون الجزائي والمدني والنظام الاجتماعي العالمي لجموع المسلمين من كل جنس ولون وقومية[١] واننا نجد فيه الانظمة التي تحدد تفاصيل

---

(١) نشير بهذه المناسبة الى ان الكاتب الفرنسي الشهير فكتور هيجو قال بعد ان تجلى له ما يضم القرآن من علوم وفنون وآداب وتشريع ..الخ قال « ان القرآن شبيه بالسوق التي يمكن ان تزودك بكل شيء » .

الحياة اليومية للفرد وعلاقته مع الآخرين .. وغير ذلك ..

أجل لا نستطيع ان نورد او ندون كل ذلك لانه سيأخذ من وقت القاريء كثيرا وربما قد يبعث في نفسه السأم والملل ..

وتمشيا مع كل هذا ومع خطتنا في كتابة ابحاث هذا الكتاب واستنادا الى القاعدة الفقهية المعروفة وهي « ان ما لا يدرك جله لا يترك كله » لكل هذا آثرنا هنا ان نختار ونقدم للقراء الكرام شذرات وعبقات من بعض اقوال هؤلاء الاجانب وما سجلوه بصدد القرآن وفنونه ملتمسين من وراء ذلك ان يعرف الجميع دونما استثناء الى ان صدى دعوة القرآن ونداء الاسلام قد هزت حتى اولئك الذين لا يزالون حتى الان في خارج حوزة الاسلام ونطاق المسلمين وان قلوب هؤلاء ومشاعرهم لتهفوا وتعطف على الاسلام ورسول الاسلام وكتابه المجيد بأكثر مما تعطف نفوس بعض المسلمين انفسهم عليه ..

ولهؤلاء البعض من المسلمين اقول بصراحة بأنه لو اكملوا دراسة الاسلام دراسة موضوعية بأحكامه وتشريعاته وانظمته قبل ان يولوا وجوههم شطر المبادىء والانظمة الوضعية المهلهلة ، لكانت لهم نظرة في هذه المبادىء والانظمة ، ولاعترفوا بعدها بأن في مكنة الاسلام ودستوره الخالد ان يسعهم كما وسع غيرهم قديما وحديثا ولأقروا بان الاسلام الذي هو في الحق دعوة صريحة للرجوع للدين الحق الذي جاء به جميع المرسلين وتطهيره عما اعتوره من اوهام واختلافات اثارت البغضاء بين البشرية هو قبل وفوق كل شيء ..

أما بصدد هؤلاء الاجانب حملة المشاعر والعواطف النبيلة نحو القرآن والاسلام فها نحن اولاء نورد لبعضهم ادناه بعض ما قالوه وسجلوه في

مختلف المناسبات والاماكن بحق القرآن ، ليقف عليها ضعاف القلوب من المسلمين ممن استهوتهم الاصباغ الزاهية التي طليت بها واجهة الافكار والقوانين الوضعية فبدت امام اعينهم جذابة ومغرية ، علّ كل هذه الاقوال أو بعضها تكون سببا لاعادتهم الى الصف الاسلامي المستقيم وطريق الايمان المعبد بعد ان تنتشلهم من الطرق الفرعية الملتوية التي يسيرون فيها والسبل المظلمة التي طالما تهتز وتضطرب من تحت اقدامهم ..

أما بعض هذه الاقوال والتصريحات والاحاديث فهي[٢] :

١ — قال الاستاذ سنايس « ان القرآن هو القانون العام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو صالح لكل زمان ومكان ، فلو تمسك به المسلمون حقا وعملوا بموجب تعاليمه واحكامه لاصبحوا سادة الامم كما كانوا أو بالاقل لصار حالهم حال الاقوام المتمدنة » .

٢ — وقال المستر بورسوث سميث « من حسن الحظ الوحيد في التاريخ ان محمدا اتى بكتاب هو آية في البلاغة ودستور للشرائع وللصلاة والدين في آن واحد ..

٣ — وقال المستشرق الالماني الدكتور سومبس « يقول بعض الناس ان القرآن كلام محمد — وهو خطأ محض — فالقرآن كلام الله تعالى الموحى على لسان محمد ، فليس في استطاعة محمد ذلك الرجل الامي في تلك العصور الغابرة ان يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء ويهدي من

---

(٢) محمد والقرآن — الشيخ كاظم آل نوح

المعجزة الخالدة — السيد هبة الدين الشهرستاني

لماذا اخترنا الدين الاسلامي — السيد محمد الرضي الرضوي

قالوا فى الاسلام — حسين الشيخ خضر الظالمي

الظلمات الى النور ، وربما تعجبون من اعتراف رجل اوربي بهذه الحقيقة .

أني درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية والانظمة المحكمة وتلك البلاغة التي لم اجد مثلها قط في حياتي ، جملة واحدة منه تغني عن مؤلفات ، هذا ولا شك اكبر معجزة اتى بها محمد عن ربه » ..

٤ — وقال المستشرق ماكس منني « ان مرشـد المسلمين هو القرآن وحده والقرآن ليس بكتاب ديني فقط بل هو ايضا كتاب الآداب وتجد فيه الحياة السياسية والاجتماعية ، بل هو يرشد الانسان الى وظائفه اليومية والاحكام الاسلامية التي لا توجد بالقرآن ولا في السنة توجد في الفقه الواسع الذي هو علم الحقوق الاسلامي » ..

٥ — وقال الدكتور غوستاف لوبون الفرنسـي الجنسـية « التعاليم الاخلاقية التي جاء بها القرآن هي صفوة الآداب العالية وخلاصة المبادىء الخلقية الكريمة وهي اسمى بكثير من آداب الانجيل » ..

٦ — وقال ادوار ارلوهارت « اشرق القرآن بصقعهم نورا يا له من نور وهو نور حكمـة القرآن الذي أنزله على صدر نبيه المبعوث لا محالة لارشاد البشر ، وابقى لهم دستورا لن يضلوا ابدا وهو القرآن الجامـع لمصالح دنياهم ولخير اخراهم » ..

٧ — وقال الكونت هنري دگاستري «لو لم يك في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك ان يستولي على الافكار ويأخذ بمجامع القلوب» .

٨ — وقال رينورت « يجب ان نعترف بأن العلوم الطبيعية والفلـك والفلسفة والرياضيات التي انتعشت في اوربا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن بل ان اوربا مدينة للاسلام » .

٩ — اما جويت فقد قال « القرآن يجذب القاريء بمحاسنه ويولـع

فيه ولعا زائدا لكثرة فصاحته وبلاغته » ••

١٠ ــ وقال الدكتور موريس الفرنسي « ان القرآن افضل كتاب اخرجته الصناعة الازلية للبشر » ••

١١ ــ وقال كوزان دي بيرسوفال « اما مسألة الوحي بالقرآن فهي اكثر اشكالا واكبر تعقيدا لان الباحثين لم يهتدوا الى حلها حلا مرضيا ، والعقل حار كيف يتأتى ان تصدر تلك الآيات من رجل امي وقد اعترف الشرق قاطبة انها آيات يعجز فكر بني البشر عن الاتيان بمثلها لفظا أو معنى ••

آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة (المقصود هو عتبة بن ربيعة او الوليد ابن المغيرة كما مر ذكره) حار في جمالها ، وكفى رفيع عباراتها لاقناع عمر بن الخطاب فآمن برب قائلها ، وفاضت اعين النجاشي ملك الحبشة لما تلا جعفر بن ابي طالب سورة زكريا (المقصود هي سورة مريم) وما جاء في ولادة يحيى صاح القس ان هذا الكلام وارد في موارد كلام عيسى عليه السلام » ••

١٢ ــ وقال شبلي شميل « ان في القرآن اصولا اجتماعية عامة وفيها من المرونة ما يجعلها صالحة للاخذ بها في كل زمان ومكان ، ان القرآن يحمل بين طياته عوامل النجاح فنراه يصف العلمويحث عليه ويصف الجهل ويحذر منه ويتحدث عن الصلاح ويأمر به ، لم يترك فضيلة الا اوجبها وحث عليها » ••

١٣ ــ اما بولا تيتلر فقد قال « من الصعب ان يظن الانسان في امره ان قوة الفصاحة الانسانية تؤثر ذلك التأثير القرآني خصوصا وانها تصدر عالية بغير ضعف أبدا وتتجدد رفيعة اذ تقصر دون تمثيلها رجال الارض

وملائكة السماء » ..

١٤ — وقال المستر جان تود ثون كرو الفرنسي « وقذف في نفس محمد (ص) مجموع كتاب مملوء بالاسرار الالهية واوحى اليه حقائق تجتاز مسافة عقله الطبيعي لذلك علّم الله الانسان بالقلم علّمه ما لم يعلم ، هذا هو سر الوحي وهو سر الكلمةالمكتوبة وكانت الكلمة المكتوبة وحيا الهيا ».

١٥ — وقال الاستاذ دي متته من سكنة سويسرا في كتابه محمد والقرآن « لقد منع القرآن الذبائح البشرية ووأد البنات والخمر والميسر وكان لهذه الاصلاحات تأثير غير متناه في الخلق بحيث ينبغي ان يعد محمد (ص) في صف اعاظم المحسنين للبشرية » ..

وقال في مكان آخرايضا « ان الانقياد لارادة الله يتجلى في القرآن بقوة لا تعرفها النصرانية » .

١٦ — وقال الاستاذ جونسون بصدد القرآن «هو صيحة نبوية تسمو الى شغاف القلب له من المعاني ما يناسب الجميع ويصلح لكل زمان حتى أنست اليه وتعالت به جميع الاصوات في مختلف العصور راضية او مكرهة وكان له صداه في القلوب المختارة فدفعها الى الغلبة والنصر في الدنيا وتكوين قوة جديدة استطاعت ان تدفع شعاع الحضارات الاغريقية والاسيوية عبر الظلام المخيم فوق اوربا المسيحية عندما كانت المسيحية في ذلك الوقت ملكة الظلام » ..

١٧ — وقال المستشرق الامريكي ر. ف. بودلي في كتابه الرسول حياة محمد الذي طبع في العربية لأكثر من مرة « بين ايدينا كتاب معاصر فريد في اصالته وفي سلامته لم يشك في صحته كما ازل أي شك جدي ، وهذا الكتاب هو القرآن وهو اليوم كما كان يوم كتب لاول مرة تحت اشراف

محمد ، وعلى الرغم من ان الافكار قد دوّنت في الرقاع وسعف النخيل والعظام في لحظات غريبة فالسور والآيات الاصلية قد حفظت ..

وهذا الكتاب ليس مجموعة احاديث او تقارير يفترض فيها ان محمداً قد قالها فهي نفس الآيات التي املاها بنفسه يوماً بعد يوم وشهر بعد شهر خلال حياته ، وان الحسنة الوحيدة في طريقة زيد انها كانت امينة فوق الشبهات ،فلم يفعل شيئاً ليضيف فقرات او يضع جمل ربط او يحذف أو ينسخ تفاصيل تشين الاسلام ، لقد عمل باخلاص لا يمكن تصوره حتى انه لما انتهى من نشر القرآن كان الكتاب من عمل مؤلفه (الله) ومؤلفه فقط ، والمهم ان القرآن هو العمل الوحيد الذي عاش اكثر من اثنى عشر قرناً دون ان يبدل فيه ، ولا يوجد شيء يمكن ان يقارن بهذا ادنى مقارنة لا في الديانة اليهودية ولا في الديانة المسيحية » ..

١٨ ـ قال المؤرخ الشهير دوانبورت « ان القرآن اعني القانون الاسلامي العمومي حافل بالقوانين مدنية وتجارية وحربية وقضائية وجنائية وجزائية وانه يبحث عن الامور الدينية وشؤون البشر في الحياةمن الحقوق الشخصية والاجتماعية والامور الصحية ويبحث عن الفضيلة والامانة والعصيان والقصاص عن الجناية في هذه الحياة والحياة الآخرة ..

هذا ولا حاجة هناك لايراد اقوال وكلمات كتاب شرقيين غير مسلمين مثل جورج جرداق وبولس سلامة وفيليب حتي وجرجي زيدان وغيرهم بصدد القرآن وعلومه وفنونه وذلك لان كتبهم في متناول الجميع وان شهرتهم واخبارهم ملئت الخافقين ..

كما واشير هنا الى اولئك الذين درسوا الاسلام والقرآن عن كثب فتجلى لهم بعد ذلك حقيقتهما فأشهروا اسلامهم مثل الدكتور محمد اسد

والذي نجد افكاره وآراؤه معكوسة في كتبه العديدة ككتاب الاسلام على مفترق الطرق وكتاب في الطريق الى مكة ، ومثل الدكتور احمد سوسة الذي اشهر اسلامه وكتب سبب وعلة ذلك في كتابه في طريقي الى الاسلام ومثل الكاتب الكبير الاستاذ علي بن ربن الطبري الذي اعلن اسلامه وقال بعد ذلك بالحرف الواحد « حينما كنت مسيحيا كنت اقول كما يقول عم لي متعلم بليغ بان اسلوب القرآن ليس معجزا وليس من علامات النبوة لانه في استطاعة الناس كلهم ، ولكن عندما حاولت تقليده واطلعت على مدلول كلماته علمت ان اتباع القرآن على حق فيما يدعون له لأني لم اطلع على كتاب يأمر بالخير وينهى عن الشر كالقرآن ، فعندما يحمل لنا شخص كتابا يحمل نفس المميزات ويوحي الينا بهذه الطلاوة وتلك الروعة في القلوب ويحوز مثل هذا النجاح ويكون في نفس الوقت اميا لم يتعلم ابدا فني الكتابة والبلاغة فهذا الكتاب يكون بلا شك من علامات النبوة » ..

ومثل الدكتور جرينه المسلم الفرنسي الشهير الذي كان عضوا في البرلمان قال حينما سئل عن سبب دخوله في الاسلام « لقد تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبيعية والصحية والطبية فوجدتها منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة فأسلمت لاني تيقنت ان محمدا اتى بالحق الصراح من قبل الف سنة من غير ان يكون له مدرس من البشر ، ولو ان صاحب كل فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما يعلمه حسيا كما قارنت انا لأسلم دون ريب ان كان خاليا من الاغراض » .

ومثل المستر سليم ر. دي گري المسيحي الانكليزي الذي اشهر اسلامه وكان قد سئل عن علة اسلامه فأجاب « اني قد نشأت على الديانة المسيحية

واجريت عليَّ جميع آدابه ورسومه ولكن عندما ظهرت لي هذه الحقيقة الواقعيةوهي تطابق ما ساقتني اليه نظرياتي الشخصية وجميع ما قرأته حول الدين الاسلامي وما أجده في أقوال النبي محمد وتعاليمه من الاجوبة الكافية على جميع مسائلي العويصة عند ذلك غمرتني حالة بهجة وسرور أترك تصويرها الى فكرة القاريء ، وكلما قرأت سورة من القرآن كانت الحقائق الواقعية تتجلى لي واحدة اثر اخرى فأحمد الله تعالى حيث تقبل بلطفه وكرمه استسلامي للديانة الاسلامية ..

ومثل اللورد هيدلي رئيس الجمعية الاسلامية حيث نرى انه بعيد اشهار اسلامه الف كتابا يحمل اسم « ايقاظ العرب للاسلام » وما ورد فيه بحق القرآن كثير ننقل منه هذه الاسطر « اذا قارنا الطرق المتخذة عند المسلمين عند ابداء آرائهم بالطرق المتبعة بين ناشري الدين المسيحي دهشنا من الفرق البين بينهما اذ الاول يتنسم عن روح الحب والتسامح بينما الآخر يظهر كثيرا من الاكراه واللعنة ، فالتعليمات التي وردت في القرآن سهلة المأخذ جدا وقد بينت باسهل لغة ، واضاف انه ليس هناك أي ابهام او غموض في الآيات القرآنية ، فما اعظم الفرق بين الطريقة التي ينشر بها المسلمون الذين يتبعون تعاليم القرآن دينهم ، وتلك الطريقة المغيضة التي اتخذها هؤلاء الذين يسعون في ان يوزعوا جذوات نار وسيوفا شتى من الدين المسيحي » .

الحروف المتقطعة فى أوائل السور

ان الذي يقرأ كل القرآن ستمر عليه لا محالة وفي مطلع ٢٩ سورة من سوره البالغة ١١٤ سورة ، ستمر عليه حروف متقطعة لا يتمكن غالبية الناس من معرفة مغزاها وكنهها ، والغالبية من هؤلاء الغالبيةعندما تطالعهم هذه الحروف لا يكلفون انفسهم مؤونة الوقوف عندها لأجل تدبرها ودراستها بل يمرون عليها مر الكرام ، وعندما تلفت هذه الحروف تساءل البعض القليل من هؤلاء فلا يسعى هذا البعض لكشفحقائق هذه الحروف وطبيعتها ، ومن يسعى منهم في ذلك فلا يجد او لا يتلقى الا جوابا مهيئا وجاهزا لا يضيف الى معلوماته شيئا وهيالعبارة التي مفادها « ان الله سبحانه هو اعلم بمراده منها » او نحو ذلك ..

والحقيقة في هذا الصدد ان هذا الجواب المختصر هو الذي تلتقي عنده كافةاقوال الفقهاء والمجتهدين بشأن طبيعة هذه الحروف ، وهو جواب مرن ومتحرك يستوعب ويسع كافة معاني هذه الحروف ومقاصدها مهما كانت هذه المعاني بعيدة او قصية ..

ولكن رغم كل هذا فان قسما من هؤلاء الفقهاء والمجتهدين لم يقفوا عند هذا الحد من الجواب أو يكتفوا بهذا القدر من المعنى لهذه الحروف — وهذا دأبهم دائما — بل انطلقوا وذهبوا مسرعين للبحث والاستقصاء في بطون الكتبووراءالروايات والاخبار من أجل العثور على خيط او بصيص من نور قد يوصلهم للعثور على المزيد من المعاني والاغراض لهذه الحروف

والتي لا يمكن ان تنزل على الرسول (ص) عبثا أو بدون ان تكون مثقلة وحبلى بالاغراض والمعاني المختلفة والمتنوعة ولأنهم انكروا ان يكون في كتاب الله تعالى ما ليس مفهوما ، وان هذا يتنافى مع ما وصف به القرآن الكريم من انه نزل بلسان عربي مبين[1] •

وكل هذا البحث والاستقصاء من قبل هذا القسم من الفقهاء والمجتهدين هو لأجل الوقوف على اغراض الله تعالى في هذه الحروف ــ كما تقدم ــ فضلا عن تسجيلها وتثبيتها على صفحات تفاسيرهم وكتبهم كمعاني اخرى للحروف المتقطعة غير تلك التي سبق ان اتفق عليها الجميع ••

ان الحروف المتقطعة هذه مثل « الم ، المص ، ق ، ص ، كهيعص ، حم » في الحق هي من الآيات المتشابهة التي لا سبيل للوقوف على معناها ، وان الله تعالى ورسوله والراسخين في العلم هم وحدهم الذين ينفردون بمعرفة دقائقها واسرارها على النحو الذي ذهبنا اليه في فصل « المحكم والمتشابه من الآيات » •

ولكن هؤلاء القسم من الفقهاء حاولوا عند وصولهم الى هذه الحروف التخفيف من حدة وغلواء تشابهها ومن ثم بات الطريق امامهم ممهدا للاستمرار والسير في سبيل تقصي معاني هذه الآيات ــ كما سلف ــ وفي نهاية الطريق وجد كل واحد من هؤلاء الفقهاء ان جعبته قد امتلئت بمعنى آخر او اكثر لهذه الحروف المتقطعة ••

وها نحن اولاء نورد ادناه كلما توصل اليه هؤلاء الفقهاء في رحلتهم لتقصي معاني هذه الحروف واغراضها الحقيقية وعلى الترتيب التالي :

١ ــ ذهب البعض منهم الى انها تدل على اسماء السور ، حيث تعرف

---

(١) مجلة الوعي الاسلامي ــ العدد ٢٣ •

كل سورة بما افتتحت به منها ، فلو قال القائل قرأت سورة « كهيعص » او سورة «ص» عرف الناس ما قرأ هذا ..

وحين تتكرر هذه الحروف في اكثر من سورة فحينئذ تضاف هذه الحروف الى اسم السورة الثاني فيقال « حم السجدة » و « الم البقرة » وهكذا ، وذلك على النحو الذي نجده عند الناس حين تتشابه اسماؤهم ، فتتميز هذه الاسماء في هذه الحالة باضافة لفظ الاب او اللقب اليها فيرتفع التشابه ما بينها ..

٢ ــ وقيل انه اريد بها للقسم، وكأن الله سبحانه قد اقسم بالحروف المتقطعة كلها واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها ..

وهذا يشبه قول القائل عندما يقول تعلمت « أ ب ت ث » حيث ان معنى هذا القول هو انه تعلم كافة الحروف الثمانية والعشرين لا الحروف الاربعة فقط ..

٣ ــ ويجعلها بعضهم حروفا مأخوذة من صفات الله تعالى ، حيث يجتمع بها في المفتتح صفات كثيرة ، ويكون هذا فنا من فنون الاختصار عند العرب ، وهذا الاختصار نجده عند العرب بكثرة ، فقد قال الوليد ابن عقبة في رجزه :

قلت لها قفي   قالت قاف

أي انها قالت وقفت وقد اقتصرها على القاف فقط .

كما وقال زهير :

بالخير خيرات وان شرا فا   ولا اريد الشر الا ان تا

أي وان شرا فشر والا ان تشاء

وقوله (ص) « كفى بالسيف شا » أي شافيا .

وعلى هذا يجعل هذا البعض كل حرف من هذه الحروف اشارة خاصة لصفة من صفات الله تعالى .

٤ ـ وقيل انها وردت في صدر السور لتكون اول ما يقرع الاسماع وتثير الاذهان للاصغاء والانصات كحروف التنبيه والافتتاح ، وانه سبحانه لم يستعمل الكلمات المتداولة والمشهورة في التنبيه والافتتاح مثل ألا وأما لأنها تستعمل بكثرة في كلام الناس ومتعارفة بينهم ، والقرآن لا يشبه كلام الناس ، لذا جيئت بالفاظ تنبيه وافتتاح لم تعهد من قبل لتكون ابلغ في قرع الاسماع واشد اثارة لاستماعها وتقبلها ..

٥ ـ وقيل ان الحروف التي جاءت في فواتح السور انما هي رموز لحركة السورة الموسيقية والنغم الصوتي .

٦ ـ وقيل ايضا انه لو جمعت هذه الحروف كلها في مكان واحد وحذف ما تكرر منها لوجد ان الحروف المتبقية هي ١٤ حرف نوراني يجمعها قولك « صراط علي حق نمسكه » وهو المعنى الذي تذهب اليه بعض الاقوال ..

٧ ـ وقيل اخيرا ـ وليس آخرا ـ انها تشمل على اشارات ومعاني لا يفهمها الا الرسول الاعظم (ص) والغرض منها هو اعلام الناس بأن القرآن المعجز مركب من هذه الحروف والتي يتألف منها كلامهم فعجزهم رغم ذلك عن تحديه دليل على انه من عند الله تعالى ..

ونحن هنا وبعد استعراض كافة التعليلات ومعاني هذه الحروف لا نستطيع ان نضع اصابعنا على أي من هذه الفقرات السبعة لنقول انها هي الصحيحة وان ما عداها ليس بصحيح ،فقد تكون كلها صحيحة وقد يكون آخرها هو القول الفصل وقد يكون غير هذا وذاك .

وكل ما نستطيع ان تقوله الان هو ان نذهب ونتوجه كرة اخرى الى مطلع هذا الفصل من أجل ان نضم صوتنا مع اصوات الاكثرية الساحقة التي تذهب الى ان الله سبحانه هو الذي يعلم سر هذه الحروف ومغزاها الحقيقي الذي لا شائبة فيه ..

وفي ختام هذا الفصل نورد اتماما للفائدة جدولا توضيحيا للسور القرآنية المفتتحة بالحروف المتقطعة ليسهل على القاريء معرفة كل سورة منها والحروف المبتدأة بها ..

***

جدول احصائي للسور القرآنية المبتدأة بالحروف المتقطعة وعـددها ٢٩ سورة

الحروف	اسماء السوَر التي وردت فيها	عددالسور
الم	البقرة ، آل‌عمران، العنكبوت، الروم ، لقمان، السجدة	٦
المص	الاعراف	١
الر	يونس ، هود ، يوسف ، ابراهيم ، الحجر	٥
المر	الرعد	١
كهيعص	مريم	١
طه	طـه	١
طسم	الشعراء ، القصص	٢
طس	النمل	١
يس	يس	١
ص	صاد (ص)	١
حم	غافر ، فصلت ، الزخرف، الدخان ، الجاثية ، الاحقاف	٦
حمعسق	الشورى	١
ق	قـاف (ق)	١
ن	القلم	١
	المجموع	٢٩

خلق القرآن وقدمه

قصة خلق القرآن وقدمه قصة محزنةومؤلمة ومشوبة بمزيد من الدموع والآلام والدماء ، فأنها وان كانت لا تتعلق بأي اصل من اصول الدين او فروعه الا انها أقامت العالم الاسلامي واقعدته لفترة طويلة واحدثت بين ابنائه من الفرقة والخلاف رغم اشتراكهم واتحادهم في الشهادتين والكتاب والكعبة والمعاد والفرائض الاخرى ، احدثت من الفرقة بينهم ما لم يتمكن اعداء المسلمين في بحر مئات من السنين وبانفاق عدة ملايين من الدنانير من احداث شطر منه ..

اقول هنا ان هذا الخلاف الذي استعر والتحم بين المسلمين حول هذه القضيةلم يك ليرتضيه الاسلام فيشيء كما ولم يك ليشجعه او يباركه نفس القرآن ، بل انه جاء عن طريق النظرة الضيقة والفكرة السطحية والمعلومات الضحلة التي كانت تغمر وتطغى على عقول واحلام هؤلاء الذين اشعلوا هذه الفتنة واثاروا هذه العاصفة ..

ولو أدرك هؤلاء مليا وجهة التعاليم الاسلامية السمحة او تفهموا أحكام الشريعة السهلةالبسيطة لما كان الذي حدث ولما تلطخ التاريخ بالدماء والدموع والمآسي التي اسالتها الاختلافات والتعصبات الدينية في فرع جانبي من فروع الدين ان لم يك دونه .

ونقول هنا وبكل قوة وايمان تعقيبا على هذه الاحداث المؤسفة وعلى كل ما قد ينتظر ان يحدث نظيرها في المجتمع في الوقت الحاضر أو في

العصور القادمة تقول : ان عدم التدين خير من التدين مع الخلاف والنزاع والخصام فليرضى من يرضى وليسخط من يسخط ..

هذا وقد بلغت فتنة خلق القرآن وقدمه ذروتها القصوى في اواخر القرن الثاني الهجري عند تولي المأمون الحكم وفسحه المجال للكتب اليونانية والفلسفية ان تترجم الى العربية ولتصبح من بعد ذلك وطبيعيا في ايدي وقبضة جميع المسلمين ، فضلا عن ترحيب المومى اليه وتشجيعه للمناظرات والمناقشات التي تتعلق وتخص بمواضيع الطبيعة وما وراء الطبيعة ومسائل العدم والوجود وغيرها ..

ولو ان كل ذلك قد وقف عند حدود مطالعات أفراد المسلمين ومناقشاتهم في مسائل ما وراء الطبيعة او المواضيع الفلسفية لهان الامر نسبيا ولمر مرورا عابرا مر دون ان يشار اليه او يحس به أحد ..

ولكن تدخل الحكام السافر وحشر انوفهم ودسها في خضمها والانتصار لهذه الفكرة تارة ولتلك تارة اخرى ، كل هذه زادت في الطين بلة ووسعت من حجم الخرق الذي فتح بين افراد المسلمين وأخرج هذه المناقشات والمطالعات من مجرد بحث وجدل منطقي ونقاش فكري الى حرب مستعرة الأوار احرقت بلهيبها ولظاها افرادا عديدين وتركتهم يذوقون الوان العذاب والآلام ..

وبصدد خلق القرآن أو قدمه نقول قبل ان ننتقل الى رأي كل فئة ان المسلمين جميعا اتفقوا سلفا على ان الله تعالى يتصف بالكلام وانه متكلم واتفقوا ايضا على ان القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه ولكنهم اختلفوا بعد ذلك في معنى كلامه ..

ففئة من المسلمين تنحوا الى ان القرآن قديم بدليل هو ان الله

تعالى يتكلم بكلام نفسي ازلي قديم زائد عن ذاته وغير منفك عنها ، وان القرآن معنى قائم بذات الله وقديم بقدمه[١] ..

بينما الفئة الثانية من المسلمين تذهب الى فكرة خلق القرآن وحدوثه بدليل قاطع هو ان الله تعالى متكلم بذاته بدون كلام زائد عنها وانه يخلق الحروف والاصوات في الاعراض فتقرأ وتسمع ، وان القرآن باعتبار انه متصف بما هو صفات المخلوق وسمات الحدوث من تأليف وتنظيم وانزال وكتابة وسماع وحفظ وناسخ ومنسوخ هو مخلوق ولا يصح ان يكون قديما وازليا[٢] .

ان ما جاء في السطور المتقدمة قد يخفى معناه على كثير من القراء كما خفيء معناه على كاتبها من قبل ، لذا فيمكن هنا ترجمتها الى اسلوب سهل وبسيط ليمكن فهمها وهضمها ، وهذه الترجمة ستكون على النحو التالي:

ان الفئة الاولى تذهب الى ان الله تعالى قديم (وهذا امر مسلم به عند الطرفين) ولهذا يجب ان يكون كلامه مثله قديم ..

بينما ذهبت الفئة الاخرى الى ان كلام الله تعالى مخلوق كخلقه تعالى لبقية الاشياء والحاجات متى اراد وحين يشاء ، وكلام الله المراد به هنا هو القرآن الكريم طبعا ..

والحقيقة بعد المرور على حجج الطرفين واستعراض آراؤهم نخلص ونجد ان دلائل وتعليلات الفئة الثانية بصدد خلق القرآن تتفق مع المنطق والعقل وتتلاءم مع العلم والفكر ، وانها لذلك اقوى حجة واثباتا لديَّ من الاولى مما لا مجال للتفصيل او الايضاح بأكثر من هذه الاشارة ..

وسواء ضم القاريء الكريم صوته الى صوتي في تأييد خلق القرآن

(١) ، (٢) القرآن المجيد ــ محمد عزة دروزة

أو الانتصار لقدم القرآن ، فليس لصوتي او صوته كبير أهميــة او عظيم أثر بعد ان اصبحت القضية في ذمة التاريخ وباتت نسيا منسيا ..

كما ولم يك ليخطر على بالي قط ان اشير الى هذا الموضوع في هذه الدراسة لولا الرغبة والحرص مني على تسجيل لون من الوان التفـكير الاسلامي اشغل صفحات طويلة وعريضة من التــاريخ في العصر العباسي الاول وسبب في تعذيب وسجن بل وازهاق ارواح كثــيرة من الناس كان المفروض فيهم ان يتموا بقية حياتهم بسعادة وسلام وان يخدموا ويقدمــوا لهذه الامة المنافع والخدمات الجليلة لو لم تثر هذه الازمة وتوقظ هــذه الفتنة التي لا تتعلق بكثير أو قليل بأصل من اصول الدين او فرع منه ..



آيات الاسراء والمعراج

في القرآن الكريم وعلى وجه التحديد في سورتي الاسـراء والنجـم اشارات واضحة وظاهرة الى اسراء ومعراج الرسول (ص) احببنا ونحن على ابواب توديع هذا الكتاب ان نلقي عليهما بعض الضوء والنور لنرى مدى مطابقتهما وارتباطهما بروح هذا العصر ـ عصر الذرة والصواريخ والاقمار الاصطناعية كما يسمونه ـ .

نقول سلفا ان المقصود من الاسراء هو سير وسفر الرسول (ص) ليلا من مكة المكرمة شطر المسجد الاقصى في القدس ، والمسجد الاقصى كما هو المعروف كان القبلة الاولى للمسلمين قبل ان يغيرها الله تعالى شطر المسجد الحرام في مكة المكرمة وبعد الهجرة النبوية ..

كما ان المراد من المعراج هو صعود وارتقاء الرسول (ص) من المكان الاخير (قبة الصخرة في القدس) تلقاء السماء السابعة ..

اما وقت الاسراء والمعراج وتاريخ وقوعهما فقـد اختلف المؤرخـون بشأنهما الا ان القولين المرجحين والمفضلين بصددهما هو انهما قد تما في مكة المكرمة بالتأكيد وذلك قبل الهجرة وفي السنة الثانية عشر او العاشـرة من بعثة سيد المرسلين (ص) ..

وقد كانت حادثة الاسراء محك لايمان بعض المسلمين، كما وكانت تحدي صارخ ومجابهة مكشوفة للقرشيين ممن لا زال يعبد الاصنام والاوثان من دون الله تعالى ..

فالقليل من المسلمين ممن لم يتجاوز الاسلام ما وراء السنتهم وممن كانوا يعبدون الله على حرف ، قد ارتدوا الى ظلمات عقيدتهم السابقة حين سمعوا بخبر الرسول (ص) وقصته في الاسراء والمعراج ، حيث تصوّر هؤلاء القلة المرتدين ان كل شيء يرى بالعين المجردة يحكم بصحته ووجوده، وان ما دون ذلك لا يعدوا ان يكون خيالا أو اوهاما او حديث خرافة ، ولم يصل لفكرهم بعد او يحاطوا علما بأن هناك اشياءا وامورا لا تحصى ولا تعد ثم لا يمكن ان ترى بالعين المجردة رغم انها موجودة وثابتة امامنا وجود نفس الانسان ..

أما بقدر تعلق الامر بالقرشيين ممن لا زال على دين آبائه واجداده فقد اتخذ هؤلاء واقعة الاسراء والمعراج نقطة ضعف وذريعة لشن مزيد من التضليل والافتراء بوجه الدعوة الاسلامية ، معلنين ومشيرين الى ان القافلة والفرد من الناس يحتاج الى شهر كامل ليصل الى مشارف الشام وشهراآخر! للعودة من هناك ، فكيف يتمكن محمد بن عبدالله (ص) من الوصول الى هناك والارتقاء الى السماء والعودة الى داره في بحر ليلة واحدة بل في جزء منها فهذا — برأيهم — هو الباطل بعينه والضلال المبين .

ولكل من هؤلاء واولئك جاءهم الرسول (ص) بآيات واثباتات قاطعة تشير الى صدق أسرائه منها انه قد شاهد في طريقه فيما شاهد وفي اماكن ومناطق خاصة حددها لهم ، شاهد قوافل متعددة للقرشيين وأخبرهم بعدد جمال كل قافلة . . . وغير ذلك . .

ولكنهم بعد تحريهم عن واقع هذه الاثباتات عند وصول القوافل اليهم تجلى لهم وظهر صدق أقوال الرسول (ص) بشأن كل ذلك ،الا انهم ازاء هذه الحقيقة الدامغة والوقائع الصادقة (حيث المفروض فيهم ان تكون كل هذه

سببا لانضمامهم تحت لواء الدين الجديد) لم يزدادوا الا تصلبا في عنادهم وانغماسا في غيهم فضلا عن الادعاء بان كل هذه الاقوال التى سمعوها من محمد (ص) انهى الا السحر المبين بعينه والباطل الذى لاحق وراءه .

وليس هذا العمل من هؤلاء بغريب او عجيب علينا اذا علمنا بأن هذا هو طريق اعداء الحقيقة وخصوم الدين في كل زمان ومكان ، فهؤلاء الاعداء والخصوم في هذا العصر مثلا هم مثل كفار قريش وطواغيتها وعلى وفق ونمط اكاذيبهم وافتراءاتهم حذو القذة بالقذة ، فحين تنجلى لهؤلاء الخصوم الشمس او حين تصارحهم الحقائق الثابتة بان يقال لهم مثلا بان الاسلام نظام كامل لايحتاج الى اضافة اومزج بعض القوانين والاحكام الوضعية اليه ليقف على قدميه ، بل ان القوانين الوضعية هى التى تحتاج الى كل الاسلام ، ويقال لهم أيضا بأن الاسلام باحكامه العادلة وتشاريعه السمحة الرحيمة في مقدوره حل مشاكل المجتمع وتنظيم شؤونه واقتصاده ، ويقال لهم كذلك بان الاسلام دين ودولة ومصحف وسيف ومسجد وقيادة ، ويقال لهم غير ذلك ، نراهم يغلقون اعينهم ويضعون ايديهم في آذانهم ثم يتبجحون بعد ذلك بقولهم ان كل هذه ليست في الواقع والحقيقة الا مجرد نظريات وفرضيات غير عملية ولاواقعية . . . ألا ساء مايقولون

اما كيفية اسراء الرسول (ص) وهل كان بالجسد والروح والملابس ام كان بالروح فقط (وهو ما يشبه الرؤيا في المنام) .

فقد ذهب القسم الاكبر من المسلمين الى ان الاسراء كان بجسد الرسول وروحه وملابسه بل وبخفه بدليل ثابت وقاطع هو أنه لاشيء يحول دون اسرائه (ص) بهذه الكيفية طالما ان رغبة الله وقدرته آثرت ذلك .

وان هذه الرغبة والقدرة حين أرادت سابقا ان تكون بلقيس مع عرشها والذي

يقع في اليمن وعلى بعد آلاف الكيلومترات ، حين ارادت ان يكونا سويا بين يدى سليمان في القدس لم يقف اى شيء حائلا دون حدوثه اووصوله .

اضف الى ذلك ان الاسراء لوكان بالروح (وهو كالرؤيا في المنام) كما يذهب اليه القسم القليل من المسلمين لماقامت قيامة قريش ضدالنبى اولماارتد من ارتد من المسلمين حين سماع الواقعة ، لان الرؤيا في المنام ليست بحدث هام او معجزة خارقة اوشيء له حساب بل هي تمر بالفعل على كثيرين من الناس (الرؤيا) ومن دون ارادة منهم او طلب .

لذا فأن استنكار ومعارضة كل هؤلاء الواقعة الاسراء انما جاء لانهم علموا وسمعوا بأنها تمت بجسد الرسول (ص) وروحه وملابسه وعلى خلاف ماتقضى به السنن الطبيعية المتعارفة [1]

ان هذا الرأى والقول — بصدد حالة الاسراء — والمشار اليه آنفا هو المقبول والمرجح لدينا ، ولن نتطرق الى حجج وأقوال من ذهب الى انه تم بالروح فقط دون الجسد وهم القلة من المؤرخين والفقهاء ، لأن حججهم هذه لاتقف بجانب أو امام أدلة واثباتات الاولى لذا لم ترجحها الغالبية من المسلمين .

بقيَ شيء اخير نود ان نقوله وهو بيت القصيد في هذا البحث وهو ان الاسراء كان في الحقيقة على خلاف السنن والقوانين الطبيعية ، الا انه قد أريد به ان يكون معجزة أخرى للرسول (ص) تدعم معجزته الاولى وهو القرآن الكريم ، وقد ذكر الاسراء اولا وقبل المعراج وذلك ليكون دليلا على صحة قوله (ص) بصعوده الى السماوات وملاقاته للانبياء السابقين ومشاهدته لنعيم الجنة ونيران الجحيم وذلك تدرجا في وقع الخبر على نفوس الناس وهو ما يسمى « التدرج في المعجزة » ..

- المعجزة بطبيعتها تسير على خلاف القوانين والسنن الطبيعية كما هو

(١) الاسلام ظهوره وانتشاره في العالم — حامد عبد القادر .

معلوم طبعا والا لم تك معجزة ولم تك تحديا ، وانما تكون مجرد حادث بسيط او واقعة عابرة في مقدور الغير الاتيان بمثلها أو خيرا منها ..

ونحن حين نؤمن بالغيب ومقدرته على الاتيان بالخوارق والمستحيلات لاثبات ودعم دعوة خاصة او حادث معين خطير ، لانملك الا الايمان — ايمان العجائز — والاعتقاد بآية الاسراء وهي قوله تعالى « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير »[١] ..

والا الاذعان والايمان ايضا بآيات المعراج وهي قوله تعالى « ...وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى ، فأوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى ... ولقد رأى من آيات ربه الكبرى »[٢] ايمانا يستوعب كافة النتائج المترتبة عليها ويسع كل ما فيهـا من معـاني وحوادث ومن دون ان يداخله قليل شك او ذرة من ريبة[٣] ..

(١) الاسراء : ١ . (٢) النجم : ١١ وما بعدها .

(٣) نشير هنا وبهذه المناسبة الى ان دانتي فى « الكوميديا الالهيـة » قد تأثر بالاسلام وبمعراج النبي (ص) على الخصوص تأثرا هائلا واسع المدى يتغلغل حتى فى تفاصيل تصويره للجحيم والجنة ..

فمن يقرأ الكوميديا الالهية يرى بأم عينيه ان ثمة مشابهات وثيقة وتامة بين ما جاء فى بعض الكتب الاسلامية عن معراج النبي (ص) وما فى « رسالة الغفران » لابي العلاء المعري وبعض كتابات محي‌الدين بن العربي من ناحيـة وبين ما فى الكوميديا الالهية ..

وهذه المشابهات الدقيقة والكاملة لم تك امرا عارضا او توارد خواطـر بل هي تأثر مباشر بالتصويرات الاسلامية للآخرة بما فيها تفاصيل ووقائـع المعراج الذي قام به الرسول (ص) كما مر بيانه ..

حروف القرآن

يروى فيما يروى بان القرآن الكريم قد نزل على سبعة حروف ، ومن يقول ذلك يسند الأدلة والاثباتات الى وقائع وحـوادث تتعلق بوجـود الاحرف السبعة في القرآن حدثت في عهد الرسول (ص) فأيدها بنفسه ولم يعارضها او ينفيها ..

كما ويسند هؤلاء الى الرسول (ص) ايضا احاديث واقـوال توحي وتشير الى وجود هذه الاحرف في القرآن ومنها قوله (ص) « انزل القرآن عليَّ على سبعة أحرف فمن قرأ على حرف منها فلا يتحول الى غيره رغبـة عنه » ، وقوله (ص) ايضا « انزل القرآن على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه » ، وقوله (ص) كذلك « انزل القرآن على سبعة احرف كل كاف شاف ما لم تختم آية عذاب بآية رحمة أو آية رحمة بآية عذاب » ..

وقبل ان ننتقل الى ما يقوله الآخرون في الرد على من يقول بوجود الحروف السبعة في القرآن نحب ان نوضح ما هو المقصـود من احـرف القرآن السبعة عند من يقول بوجودها .

ان المراد من أحرف القرآن هو أحد الامور التالية[1] :

١ ـ قيل انه يراد منها سبعة اوجه من المعاني المتقاربة بالفاظ متقاربة مثل عجل واسرع واسع ومثل اقبل وتعال وهلم ..

(١) فضائل القرآن ـ اسماعيل بن كثير القرشي

الاتقان فى علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي .

٢ — وقيل ان الاحرف السبعة هي القراءات السبعة والتي كانت موجودة وباقية في القرآن الى عهد عثمان فحصرها الاخير في حرف واحد [١] واحرق بقيتها أي (الحروف الستة الاخرى) أو وزع قسما منها على المصاحف أي وضع في كل مصحف من المصاحف التي استنسخها قراءة خاصة على الترتيب الذي اشرنا اليه من قبل في فصلي الجمع الثاني والثالث للقرآن ..

٣ — وذهب البعض الى ان معناها هي الابواب السبعة التي نزل منها القرآن وهي الرجز والامر والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والامثال .

٤ — وقيل ان المراد منها هي الاساليب والاغراض السبعة الموجودة في القرآن وهي الامر والزجر والترغيب والترهيب والجدل والقصص والمثل .

٥ — وقيل كذلك انها تشير الى اللغات الفصيحة من لغات العرب والمتوزعة في القرآن فالبعض بلغة قريش والبعض بلغات هذيل وهوازن واليمن وكنانة وتميم وثقيف ..

٦ — وقيل ان الاحرف معناها لغات جاءت في القرآن كالفارسية والهندية والعبرية والرومية واليونانية والحبشية والقبطية ..

٧ — وقيل كذلك ان الاحرف تشير الى ان القرآن له معنى ظاهر وسبعة معاني باطنة ..

٨ — وقيل هي لغة الكعبين وهما كعب بن عمرو وكعب بن لؤي ولهما سبع لغات ..

٩ — وقيل اخيرا — وليس آخرا — هي سبعة لهجات أو لغات من

---

(١) قيل ان عثمان كان يتحاشى ان يكتب اكثر من رسم واحد فى مصحف واحد خشية ان يتوهم ان اللفظ نزل مكررا او ان يكتب احد الالفاظ فى الاصل والبقية فى الحاشية لئلا يتوهم ان الثاني تصحيح للاول او انه ترجيح فى حين انه بلا مرجح .

لغات مضر ، وكانت لغة مضر تنتظم لغات سبع لقبائل سبع هي هذيل وكنانة وقيس وضبة وتميم وأسد وقريش ..

والرأي الاخير هو الذي يحضى بغالبية الاصوات عند من يقول بوجود الاحرف السبعة في القرآن ..

ولعل هذه الحروف الموجودة في المصاحف فضلا عن عدم وجود الحركات والنقط في القرآن في اوائل وصدر الاسلام هي التي سببت الخلافات والمنازعات في المدينة المنورة ذاتها او في الامصار ما بين فئات المسلمين ،حيث تمسكت كل فئة بسلامة وصحة قرائتها وعدم شرعية القراءات الاخرى ، والتي تطورت ـ الخلافات ـ الى عراك مسلح ما بينهم مما دفع عثمان الى حصر الحروف في حرف واحد فقط في المصاحف وتوزيع هذه المصاحف على الامصار فضلا عن احراق ما عداها على التفصيل الذي سبق ذكره من قبل ..

هذا وهناك فئة ثانية من المسلمين تذهب الى خلاف ما تقوله الفئة الاولى بصدد حقيقة هذه الحروف ووجودها في القرآن الكريم ..

وتنحو الفئة الثانية هذه الى انكار هذه الحروف جملة وتفصيلا بقولها ان القرآن لم ينزل على سبعة حروف وانما نزل على حرف واحد ، فالقرآن لديهم وعندهم واحد وقد نزل من عند واحد وهو الله تعالى ، وكل ما يشاهد من الاختلاف في القراءات والحروف انما جاء عن طريق الرواة فقط وليس عن طريق آخر[1] ..

أما ادلة هذه الفئة وحججها الدامغة فيما تذهب اليه من نفي وجود الاحرف السبعة في القرآن فهي كثيرة منها وجود هذا التناقض والخلاف ما بين الروايات المنقولة عند من يقول بالقراءات السبعة فمن تناقض احد

---

(١) الكافي ـ محمد بن يعقوب الكليني ، آلاء الرحمن في تفسير القرآن ـ محمد جواد البلاغي .

تلك الروايات هو ان الوحي (جبرائيل) كان قد أقرأ النبي (ص) على حرف واحد فأستزاده النبي فزاده حتى انتهى الى سبعة أحرف وهذه الرواية تدل على ان الزيادة كانت على التدريج ..

اما في بعض الروايات الاخرى عندهم فتشير الى ان هذه الزيادة كانت في المرة الثالثة وفي بعضها ان الله تعالى امر الرسول (ص) في المرة الثالثة ان يقرأ القرآن على ثلاثة احرف ، كما وكان الامر بقراءة السبع في المرة الرابعة .. وهكذا في بقية الروايات ..

ومن ادلتها ايضا هو ذلك الاختلاف الكبير الواضح في معنى وحقيقة هذه الحروف السبعة وماتقصده وتهدف اليه على وجه الدقة والتحديد وتفرق الفقهاء والعلماء ما بينهم في معانيها على النحو الذي أشرنا اليه قبل قليل ..

فكل هذه الاسباب والحجج وغيرها تنفي الفئة الثانية من المسلمين وجود الاحرف السبعة في القرآن وانما يقتصر القرآن الكريم عندهم على حرف واحد وواحد فقط .

ومن عبر أقوال وحجج كلا الطرفين نخلص ونجد ان وجود الحروف السبعة في القرآن شيء ثابت ومسلم به عندهم ، الا ان قسما منهم يذهب الى انها في اصل التنزيل ، بينما ينحو القسم الثاني الى أن هذه الحروف لم تك في اصل التنزيل وانما استحدثت ووضعت ووجدت بعد ذلك وعلى يد الرواة والمؤرخين ..

أما ما تراه الغالبية من المسلمين بهذا الصدد فهو تأييد ودعم موقف من يقول بوجود هذه الحروف في القرآن سواء كانت سبعة حروف أم كانت أقل من ذلك وانها في أصل التنزيل ولم تك عارضة على القرآن أو من صنع الرواة والمؤرخين لاسباب عدة منها :

ان هذه الحروف تراها من وجوه الاعجاب بالقرآن واعجازه وذلك لأن القرآن لم يأت لفئة دون أخرى او لقوم دون آخر ، بل جاء لكل قوم ولكل شعب فحري به (القرآن) والحالة هذه ان يسع هذه القبائل والشعوب وان يستوعب لغاتها ولهجاتها ..

لذا نرى القرآن الكريم يجمع لغات العرب فضلا عن بعض الكلمات الغريبة التي ترجع في أصلها الى لغات مختلفة كاللغة الفارسية والعبرية والاغريقية والهندية والحبشية والقبطية والنبطية ..

ومن هذه الكلمات الغريبةالتي يجمعها القرآن نشير الى كلمة السجل والاستبرق والدينار والتنور والكافور والياقوت المأخوذات من الفارسية والقسطاس والرقيم من الرومية والسندس من الهندية وهدنا وطه ومرقوم من العبرانية والسري من اليونانية والمشكاة والقسورة والطاغوت من الحبشية واليم وبطائنها من القبطية ..

وكل هذه الكلمات المختلفة تزيد في روعة القرآن وتبعث الاعجاب والايمان به .. ومن هذه الاسباب ايضا ما ورد في الاخبار والروايات المختلفة من جواز قراءة القرآن — في الصلاة وغيرها — بأي حرف مقرر ومعتبر من حروفه .

ففي سورة الفاتحة يجوز قراءة هذه الآية « مالك يوم الدين » قرائتها « ملك يوم الدين » ، وكذلك قراءة « بسم الله مجراها ومرساها » قرائتها « بسم الله مجريها ومرسيها » وقراءة « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » قرائتها « ويبقه وجه ربك ذو الجلال والاكرام » .

ومنها كذلك انه في حالة تعدد القراءات في القرآن فكأنه سبحانه يشير الى عدة كتب منزلة لا كتاب واحد وخصوصا اذا كان في كثير من هذه

القراءات ان لم يك اكثرها ثروة جديدة في التشريع او الحكمة أو نحـو ذلك ، وهذه ناحية من نواحي الاعجاز الذي اختص به القرآن ..

ومنها ايضا انوجود الاحرف هو لأجل التخفيف على هذه الامة وارادة اليسر بها بأن يقريء كل امة بلغتها وما جرت به عاداتها .

أما أئمة القراءات ممن تجرد للقراءة واعتنى بضبطها وتنقيتها اتم عناية فهم عشرة وها نحن اولاء نورد اسماؤهم ادناه وهم :

١ ـ ابو عمرو بن العلاء المتوفى عام ١٥٤ هـ

٢ ـ عبدالله بن كثير المتوفى عام ١٢٠ هـ

٣ ـ نافع بن نعيم المتوفى عام ١٦٩ هـ

٤ ـ عبدالله بن عامر المتوفى عام ١١٨ هـ

٥ ـ عاصم بن بهدلة الاسدي المتوفى عام ١٢٨

٦ ـ حمزة بن حبيب الزيات العجلي المتوفى عام ١٥٦ هـ

٧ ـ علي بن حمزة الكسائي (امام النحاة) المتوفى عام ١٨٩ هـ

٨ ـ ابو جعفر بن يزيد القعقاع المدني المتوفى عام ١٣٢ هـ

٩ ـ يعقوب بن اسحاق الحضرمي المتوفى عام ١٨٥ هـ وقيل ٢٠٥ هـ

١٠ ـ خلف بن هشام بن طالب .

خاتمـــة

عندما يطل القاريء الحبيب على مشارف هذا الفصل يكون قد ودع هذا الكتاب بفصوله وابحاثه الوداع الاخير ..

وطبيعي ان كل من يفرغ من مراسيم هذا التوديع من القراء الكرام يكون قد كوّن في ذهنه رأيا خاصا او فكرة معينة عن الكتاب والكاتب .

واذا حق لي هنا ان التمس من اولئك القـراء الذين واكبوا رحـلة القراءة من بدايتها شيئا فلا اكثر من ان يتفضلوا مشكورين فيوافوني ولو بشطر او نزر يسير مما يغمر اذهانهم من آراء وافكار عن الكتاب والكاتب ليمكن الاستعانة بهما فيما اذا حاول هذا القلم القاصر ان يتحرك من جديد او لو قدر لهذا الكتاب ان يرى النور للمرة الثانية ..

ولو قدر ان التقى كافة القراء على صعيد تلبية هذه الدعوة والاستجابة لهذا الالتماس — وما اظنهم الا فاعلين — لراهنت حينئذ وقبل ان اقف على طبيعة الاجوبة ولجزمت قبل ان اشرع في قرائتها ، لراهنت ولجزمت على ما تضم هذه الرسائل من سطور وما تحتويه من ملاحظات وانطباعات ..

فهذه الاجوبة وهذه الرسائل الوافدة اذا هي اختلفت في شيء فانهـا ستلتقي وتتفق في الاشارة من قريب او بعيد الى ما في هذا الكتاب من ضعف في الاسلوب وارتباك في المعاني .. وربما اشارة الى تطفل الكاتب على الادب والكتابة ومحاولته لحشر نفسه واقحامها بدونما قليل جدارة او استحقاق في صفوف أهل الفكر وارباب القلم والبيان ..

واني ازاء مثل هذه الاجوبة لا املك الا ان أقــدر واكبر صراحــة اصحابها لانها جاءت معبرة أصدق تعبير عن الحقيقة والواقع ومن دون ان يشوبها طائف من النفاق والمداهنة ..

اجل اني اذ اقدر كل التقدير هؤلاء القراء لصراحتهم لارجــو منهم كرة اخرى اتمام هذه النعمة عليّ عن طريق اشعاري عن الوسائل والسبل التي ينبغي ان نسلكها من اجل ان نجعل هذا الاسلوب اكثر تقدما وحيوية ومن اجل ان نجعل معانيه واضحة وجلية وحتى لا يكون بعد ذلك تطفل من صاحبه على الادب والفكر ..

وطبيعي عندما اسجل كل هذا الكلام لم يك مني تواضعا او تصغيرا أو نحوه كما قد يظن البعض ، بل هو الحقيقــة عن الكتاب والواقــع عن الكاتب والتي ادركها القراء من قبل فجاءت عبر أجوبتهم المنشورة آنفــا .

واني لم اك لأسجل كل هذا لولا يقيني وعلمي بان المرء مهما حاول ان يتجاهل الحقائق او يتستر على الوقائــع فانهما ستنكشــفان على حقيقتهما قريبا كان أم بعيدا ، لذا آثرت الا اترك للايام لتكشف لنا هذه الوقائع والحقائقوالتي قد تضيف اليها ما تضيف ، وانما اقوم بنفسي بقطع الطريق عليها فأسجل ما ستبديه هذه الايام من دونما مبالغة او تواضع او افراط وتفــريط ..

واذا كان لي هنا من عاصم او شفيع يعينني في تحمل ما قد يشــوب اسلوبنا في هذا الكتاب من تردي او سقط وتحمل تبعة كل ما حررناه قبل قليل فهو ان هذا الانتاج في الحق باكورة ما قمنا به في ميدان الكتابــة والتدوين فضلا عن اني لست كاتبا ممارسا أو مؤلفا بارعا أو ممن يطمع في ان يكون كذلك (لا صغرا بالكتاب والمؤلفين) ــ معاذ الله ــ بل حرصا

مني على ألا ينضم الى صفوفهم من لا يستحق ذلك لفقدان الموهبة المطلوبة والكفاءة المرغوبة في الوقت الحاضر ..

والآن تقضي ايها القاريء الكريم اللحظات الاخيرة من رحلتنا معك عبر اجواء هذا الكتاب ، وبعد سطور عدة لا يتجاوز قرائتها دقيقـة من الزمن أو حواليها ستدع هذه الصفحة لتطبق على اخواتها تمهيدا لطيهـا جميعا ووضعها في مكانها المقسوم من المكتبة ..

وقبل ان تطل نهاية هذه الدقيقة الموعودة احببت ان نستعيد سـويا بعض ما كتب وتتذكر شيئا مما حرر عن القرآن ورسالته ..

ان كل ما كتب عن القرآن آنفا لا يسكننا ان نورده الان ، لان ايراده هنا لايكلفنا اكثر من توجه القاريء لقراءة الكتاب من جديد ، واذا كان هناك من مجال لايجاز هذا الكتاب فلا أقل من ان نقول بأن القـرآن في الحق ليس كتابا كسائر الكتب التي تقرأ لقضاء الوقت وقتل الفراغ ، وانما ينبغي ان يقرن العمل مع القراءة والتضحية مع المطالعـة ، وكـم يا ترى سيكون هذا العمل مثمرا وهذه التضحية مضمونة النتائج اذا علمنا بـان القرآن الكريم ليس فقط هو دستور خالد انزله الله سبحانه من اجل قيادة البشرية وارشادها نحو العزة والمنعة والارتقاء ، وانما هو بالاضافة الى ذلك علم ونظام وفن وادب ورياضة وتصوير وثقافة واخلاق وعبادة ..

ان المرء منا يتعب نفسه السنين الطوال بحرها وبردهـا في المعاهـد والجامعات من اجل الحصول او التخصص في لون واحد من الوان العلوم او الآداب أو الفنون او غير ذلك ، وقد يخفق في النهاية او ان ينال شيئا منها ، ولكنه لو ولى وجهه شطر القرآن الكريم من اجل دراسته وهضمه لاستطاع وتمكن في نفس تلك السنين من الوقوف والاطلاع على قليل أو

كثير من علومه وانظمته وفنونه وآدابه واخلاقه وعبادته المشار اليها آنفاً والتي ستفيده في دنياه وتنفعه في اخراه يوم لا ينفع مال او سلطان ..

هذا وان المجتمع الانساني الآن يمر في مرحلة حاسمة وحرجة من عمره ، ولا سبيل له في بلوغ اهدافه وغاياته في التقدم والتفوق والازدهار من دون ان يسير في طريق الله ويحكّم كتابه المنزل بنظمه وتشاريعه واحكامه .. وغيرها فيما ينشأ بين افراد هذا المجتمع من معاملات او علاقات .

علما بأن كل محاولة يراد من ورائها النهوض بهذا المجتمع مع تنكب هذا السبيل القويم سيكون مصيرها الفشل التام وستبعث فيه مزيدا من الفوضى والارتباك والهزات .. ولو قام هذا المجتمع على قدميه بدون ذلك فوقوفه هذا سيكون على قاعدة واهية ومضطربة ولفترة قصيرة ، حيث لا تلبث هذه الفوضى وهذه الهزات ان تسقطه من عليائه ليصبح أثرا بعد عين ونسيا منسيا ..

هذا هو ما احببت ان اسجله في آخر هذا الكتاب وهو نفسه الذي آثرت ان يكون مسك الختام .. والحمد لله رب العالمين ..

كربلاء **محمد علي الاشيقر**

١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م

الفهرست

النبوة ليست برهانا على اعجاز القرآن ، القرآن متعبد بتلاوته، تلاوة القرآن حسنة للفرد ،القرآن اخيرا خاتم الكتب السماوية، الرسول هو خاتم المرسلين ، كيف بقى مفعول وعمـل القرآن ساريا الى نهاية التاريخ ، ليس في القرآن ادنى جمود او رجعية بتاتا ..

أسماء القرآن وصفاته

لفظ القرآن وسبب تسميته بذلك ، القرآن ليس اصيلا في اللفظ بل هو مشتق ومهموز ، قول ثاني بان القرآن غير مشتق وغير مهموز ، اسـماء القرآن ، سبب تسـمية القرآن بالمصحف وبالكتاب وبالكريم وبالحكيم .. الخ، معنى السورة ، ما الحكمة في تقطيع القرآن الى سور ، هل تكون السورة ذات موضوع واحد ، وهل تكون ذات مواضيع عديدة ، كيف ينتقل القرآن بين الاغراض المختلفة في السورة ، هل جاء اسم السورة توقيفا، هل للسورة أكثر من اسم واحد ، هل هناك اسم واحد لآية أو عدة آيات ، ما هي الآية ، ما هي اطول آية في القرآن ، ما هي الكلمة ، ما هي أكبر كلمة ، ما هي الفاصلة ، لماذا سميت بذلك لماذا لم نسمها سجعا ، هل يتعلق معنى الفاصلة بمعنى الآية ، ما هو القدر المعجز من القرآن ..

اضواء على المجتمع العربي فى عصر النبوة

كيف كانت ثقافة العرب عند نزول القرآن ، هـل كانوا اميين ، هل كانت بينهم نسبة من المتعلمين ، ما هي ادلة وجود

هذه النسبة ، هل وجود المتعلمين يزيد من وقع معجزة القرآن ، هل الرسول (ص) يقرأ او يكتب ، أدلة ان النبي كان اميا ، هل هناك من خالف ذلك ، هل هناك رأي وسط بصدد امية الرسول ، أمية الرسول وجه من وجوه الاعجاز ، ماذا ورد في القرآن بصدد أمية الرسول ، ما هي احوال المجتمع العربي الاخرى ، هل كان هناك وأد البنات والربا وسفك الدماء ، انتشار عبادة الاوثان والاصنام ، الفرق بين الاصنام والاوثان .

نزول القرآن

نزول القرآن منجما ، مدة هذا النزول ، أول ما نزل من القرآن ، اين ومتى كان اول النزول ، اللقاء الاول بين الوحي والرسول (ص) ، البيان الاول للثورة ، الرسول في داره ، اسلام خديجة ، ورقة بن نوفل يجيب على اسئلة خديجة ، خديجة تروي لزوجها ما قاله ورقة ، كم انقطع نزول الوحي ، متى اصبحت الدعوة علنية ، كيف جمع الرسول قريش عند جبل الصفا ، ماذا خطب فيهم ، كيف كان جواب قريش ، ماذا اجاب الامام علي (ع) ، كيف اخذت الآيات تنزل ، آخر ما نزل من القرآن ، محل هذا النزول ، هل كان آخر ما نزل من القرآن في غدير خم ، أقوال اخرى في آخر ما نزل من القرآن ، كيف نزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ، متى كان ذلك ، لماذا انزل القرآن من سماء الدنيا نجوما ، هل كانت تنزل الآيات حسب مقتضيات حوادث المجتمع الاسلامي ، كيف نزلت الكتب السماوية السابقة ، كم كانت تنزل في كل دفعة من

الآيات الكريمة ، هل كانت تنزل سورة كاملة أو آية واحدة أو اكثر ، ما هي القاعدة العامة بخصوص نزول السور كاملة ، ما هي أقسام سور القرآن بصدد اختلاف عدد آياتها ، هل صح نزول بعض آية ، ماذا استعمل القرآن في اسلوبه ، كيف كان يأتي الوحي الى الانبياء والمرسلين ، ما الفرق بين الرسول والنبي ، هل نزلت سور أو آية لأكثر من مرة ، هل هناك آيات تتقارب في المعنى ، ما علة ذلك ، هل هناك آيات متكررة في القرآن ، ما سبب ذلك ، ما علاقة اقوال الانبياء السابقين والملائكة والجن بما ورد على لسانهم من قول أو كلام في القرآن الكريم باللغة العربية ..

الجمع الاول للقرآن

ماذا قال الرسول (ص) بصدد الكتابة عنه ، هل صحيح انه أذن في كتابة الحديث في أواخر ايامه ، كيف كان يملي الرسول الآيات على كتاب الوحي ، كيف كانت تحفظ الآيات في الصدور ، من هم كتاب الوحي ، هل ان عددهم بلغ ٤٣ نفر ، هل ان الامام علي (ع) كان اشهر هؤلاء الكتاب ، كيف تم حفظ القرآن في عهد الرسول (ص) ، ما هو الجمع في الصدور ، كيف كانت تتلى سور القتال ، هل صحيح ان مهر المسلمة في صدر الاسلام كان تعليم سورة من القرآن أو اكثر ، هل ان الامام علي(ع) كان اشهر من حفظ كل القرآن ، من هم الاخرين الذين حفظوا كل القرآن ، هل كانت القبائل تتفاخر فيما بينها على كثرة ما بينها من حفاظ القرآن ، هل حفظ بعض الكفار

والمشركين القرآن ، كيف دوّن القرآن ، على أي شيء دوّن القرآن ، ما معنى العسب واللخاف الرقاع ، هل جمع القرآن في محل واحد ، ما معنى ختم القرآن ، كيف كان يتم ترتيب آيات السور ، هل وضعت جميع الآيات في اماكنها المطلوبة ، ماذا كان يعني نزول البسملة ، البسملة جزء من السورة لا تتجزأ ، قول بأن البسملة ليست جزءا من السورة ، لماذا حذفت البسملة من سورة براءة ، هل صحيح ان النمل سرق بسملة براءة ، هل عرض الرسول الآيات على الوحي ، متى كان العرض الاخير لها ، هل كان الرسول يستعيد قراءة كتاب الوحي ، لماذا كان يفعل الرسول (ص) ذلك ، هل استعمل الناس في كتابة الآيات في عصر النبوة القراطيس والورق البدائي ، ما هي الادلة التي تثبت ذلك ، كيف دخل الورق الى العالم الاسلامي وكيف انتقل من عند الاخير الى اوربا ..

الجمع الثاني للقرآن

كيف جمع القرآن في عهد الرسول ، ادعاءات بعض المستشرقين بصدد مصدر وجمع القرآن ، كيف ردت هذه الادعاءات ، كيف رأى المسلمون بعد وفاة الرسول ان يسجلوا القرآن في مصحف جامع ، هل كانت واقعة اليمامة السبب الرئيس في جمع القرآن ، مراجعة عمر لابي بكر (رض) بصدد جمع القرآن ، هل اعترض ابو بكر سلفا ثم وافق على الجمع ، تكليف زيد بن ثابت للقيام بالامر ،كيف استقبل زيد طلب الجمع ، كيف

قام زيد بجمع القرآن ، من أي شيء جمع القرآن ، قبول زيد للآية التي جاء بها ذو الشهادتين ، لماذا رفض زيد الآيـة التي اوردها عمر ، كم استغرق هذا الجمع من الـوقت ، كيف كتب زيد القرآن ، اين وضعت الصحف التي جمعت ، لـماذا انتقلت بعد ذلك الى عمر ، لماذا وضعت بعد ذلك عند حفصة ، ماذا قال امام الهدى علي (ع) في جمع القرآن ، ماذا قال رسول الله (ص) لعلي ، كيف جمع الامام القرآن ، هل قدم الامام مصحفه الى المسلمين ، هل ضم مصحف الامام علي (ع) التفسير ، هل صحيح ان هذا المصحف جمع على ترتيب نزوله ، هل ان مصحف الامام علي (ع) هو اول مصحف في الاسلام ، ماذا ورد بحق علي من احاديث نبوية ، ماذا قال بعض الاصحاب عن مصحف الامام علي (ع) ، ما هي المصاحف الاخرى ،هل كان هناك خلاف بينها يذكر ، من ادرك هذا الخلاف ، كيف تطور هذا الخلاف ، كيف امكن ازالة هذا الخلاف ..

الجمع الثالث للقرآن

ماذا قال حذيفة بن اليمان لعثمان ، لماذا اختلفت الامصار وأهل المدينة بالذات ، هل وصل الخلاف الى نزاع مسلح ، كيف اختلف اليهود والنصارى في كتبهم ، ما هي كتب اليهود المختلفة واناجيل المسيحيين المتنوعة ، هل استشار عثمان الامام علي بصدد نسخ مصاحف متشابهة ، ماذا كان جواب الامام علي (ع) ، كيف تألفت لجنة للعمل في الاستنساخ ،من هم اعضاء اللجنة وما دور

كل واحد ، هل اختلف زيد وسعيد في شيء ، اسباب اختيار هؤلاء الاعضاء ، كم نسخة كتبت هذه اللجنة ، الى أي قطر ارسلت المصاحف ، هل ارسل عثمان شخصا مع كل مصحف ، ماذا طلب عثمان من الولاة ، هل وجد اختلاف بين هذه المصاحف كيف احرق عثمان الصحف الاخرى ، ماذا قال الناس بصدد الاحراق ، لماذا اضاع المسلمون لهذه المصاحف ، ما هو مصير الصحف التي اعيدت الى حفصة ، كيف احرقت هذه الصحف ، تثمين جهود زيد ، هل هناك من يؤاخذ زيد أو غيره على شيء ، كيف قدمت بعض الآيات واخرت أخرى ، هل قدمت ايضا سورا واخرت اخرى ، كيف كان ترتيب السور في بقية المصاحف الخاصة باصحاب رسول الله ، ماذا كان موقف الامام علي (ع) من المصاحف التي نسخها عثمان ، موافقة الامام عليها ، هل يتفق مصحف الامام علي (ع) مع المصاحف تلك ، هل هناك خلاف بينهما في ترتيب نزول الآيات ، ماهو مصير مصحف الامام علي (ع) ماهي مصائر المصاحف العثمانية المشار اليها ، هل لفقدها علاقة بالاحداث السياسية والحرائق ، ما هو مصحف عبدالله بن مسعود ، كم كان يضم مصحفه من السور ، هل يضم مصحفه سورة الفاتحة ، كيف طلب عثمان من ابن مسعود مصحفه ، ماذا كان جواب ابن مسعود ، كيف احرق هذا المصحف ، ما هو مصحف ابي بن كعب ، هل كانت فيه سورتان جديدتان ، ماذا كان مصيره ، كيف عم المصحف الذي استنسخه عثمان الاقطار الاسلامية ، هل هذا كان نصر للاسلام والمسلمين ، هل حاول اعداء الاسلام

التصدي للقرآن ، ماذا قام به هؤلاء الاعداء ، كيف آلت محاولات هؤلاء لتحريف القرآن ، ماذا كان دور النجف الاشرف والازهر منها ، كيف يمكن الآن طبع المصاحف ، هل هناك شروط قاسية وضعت في سبيل طبع المصاحف تلافيا للتحريف والتغيير ، لماذا كانت المصاحف المطبوعة في مصر ادق طبعا وصحة ..

ضبط القرآن

هل راجع زيد القرآن بعد جمعه ، هل افتقد منه شيئا ، كم كتب زيد ما افتقده ، عثمان يراجع المصحف ، خلو المصحف العثماني من النقط والشكل ، كيف كان العرب يقرأون من دون النقط والشكل ، هل أثرت الفتوحات على لسان العرب ، كيف اخذت السليقة العربية تفقد مكانتها ، كيف صعب قراءة الاحرف المتشابهة ، لماذا لم يوافق الناس سلفا على اضافة شيء الى المصاحف بقصد التحسين ، كيف وافقوا على ذلك فيما بعد ، من هو ابو الاسود الدؤلي ، على يد من تتلمذ ، كيف قام ابو الاسود بوضع الحركات في القرآن ، كيف تطورت هذه الحركات ، من هم الذين وضعوا النقط على الحروف ، كيف تم لهم ذلك ، كيف وضعت علامات الوقف والوصل ، ما هي المحسنات الاخرى التي وضعت في القرآن ..

القرآن المكي والقرآن المدني

هل نزل القرآن كله في مكة والمدينة ، ما هي الاماكن

الاخرى التي نزل بها ، ما هي الاسباب لوجود التقسيمات في المواد واللغة وغيرها ، هذه التقسيمات هي من اجل سهولة الدراسة ، ماذا مطلوب من المفسر للقرآن الالمام به ، كيف يؤدي عدم الالمام بهذه التقسيمات الى الوقوع في الشطط والانحراف عن الحقيقة ، كيف نسبت آية مدنية الى واقعة حدثت قبل الهجرة ، لماذا يقضي الحق والعدالة التورع عن ذلك ، ما هي ادلة ايمان ابي طالب ، كيف حرص أهل البيت والاصحاب على بيان اوجه التمييز بين المكي والمدني ، هل نزلت غالبية القرآن في مكة والمدينة ، هجرة الرسول الى المدينة واثرها ، لماذا اتخذت الهجـرة اول التاريخ الاسلامي ولم يتخذ المبعث او المولد ذلك ، هل تجاوبت الآيات الكريمة مع العهدين المكي والمدني ، كيف اختلف الفقهاء والمؤرخون في سبب تسمية المكي والمدني ، ما هي الفروق الجوهرية بـين القرآن المكي والقرآن المدني .

الناسخ والمنسوخ

ما معنى النسخ ، حكم الناسخ والمنسوخ ، ماذا قال الامام علي (ع) بشأنه ، ما معنى النسخ في اصطلاح الفقهاء ، هل في القرآن آية لم يعمل بها سوى الامام علي (ع) ، هل في القرآن قواعد صريحة للنسخ ، ما هي اسباب النسخ الحقيقية ، علاقة الآيات والسنة في نسخ احدهما للآخر ، السنة تنسخ القرآن ، قول بعدم نسخ السنة للقرآن ، هل هناك من ينسف النسخ جملة وتفصيلا ، ما هي الآيات التي تضم الناسخ أو المنسوخ أو كلاهما ،

ما هي القاعدة العامة في تحديد موقع الناسخ والمنسوخ من القرآن ، اقسام المنسوخ ، ما هي حقيقة هذه الاقسام .

المحكم والمتشابه من الآيات

معنى المحكم والمتشابه ، هل في القرآن آيات محكمة ومتشابهة قول بأن القرآن كله محكم وآخر بأنه كله متشابه ، المتشابه لا يحمل شيئا من الضعف ، ما هي المميزات والفروق بين المحكم والمتشابه ، الايمان بالمحكم والمتشابه ، لماذا يجب ان لا نعمل بالمتشابه ، من هم الراسخون في العلم ، ما هو مدى سلطانهم في تلمس معنى وغرض المتشابه من الآيات ، هل اتفق الفقهاء على نقاط وحلول وسطية بصدد لياقة الراسخين في العلم على كشف معنى المتشابه ..

تفسير القرآن

معنى التفسير ومعنى التأويل ، ما الفرق بين التفسير والتأويل ، ماذا الامام علي (ع) بصدد التفسير ، وماذا قال الاصحاب بصدده ايضا ، ماذا ينبغي ان يتوفر في المفسر ، هل كان القرآن جميعه في متناول الصحابة ، هل يتفاوت العرب في فهم القرآن ، الرسول (ص) اول شارح للقرآن ، هل الكتاب احوج الى السنة من السنة الى الكتاب ، كيف كان اهل البيت والصحابة يقومون بالتفسير ، من هم المفسرون الاوائل في الاسلام ، هل صحيح ان اكثر ما روي من التفسير كان عن الامام علي (ع) ، ما سبب ذلك ،

كيف تلقى التابعين شروح الصحابة وتفاسيرهم ، ماذا اضاف اليها التابعون، كيف اخذ تابعي التابعين عن التابعين ، من هو التابعي، كيف تكونت التفاسير الراهنة ، الفرق بين التفسير والترجمة ، ما هي الترجمة التفسيرية ، كيف تم تفسير مفردات الفاظ القرآن، هل ان الشعر ديوان العرب ، كيف رُجع للشعر الجاهلي والاسلامي من أجل حل الفاظ القرآن ومعناها ، كيف التقت كل هذه التفاسير ، ترجمة مختصرة لعدد كبير من المفسرين من مختلف المذاهب والنحل الاسلامية ومن ضمنهم الطبرسي والفخر الرازي والطبري والطوسي والزمخشري والقمي والبيضاوي والطنطاوي.

اعجاز القرآن

ما هو الاعجاز ، انواع المعجزات ، هل هناك معجزات محدودة وحسية وهناك معجزات عقلية ، هل استنفذت الشرائع التي سبقت الاسلام اغراضها ، ماذا قال فطاحل المجتهدين والمفسرين بصدد الاعجاز ، هل الاعجاز جاء عن طريق الصدفة أم هو موجود في نفس القرآن ، ادلة كل رأي ، ترجيح ادلة ان الاعجاز هو في نفس القرآن ، هل حاول البعض تقليد ومحاكات القرآن ، ماذا جاء في قرآن مسيلمة المزعوم ، كيف كان موقف الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة من القرآن ، صدى آيات القرآن لدى عمر بن الخطاب ، محاولات أقطاب الالحاد والزندقة في معارضة القرآن ، اعجابهم وركوعهم امام الآيات الكريمة ، كيف وقفت جهود المبشرين والمشككين عن تحدي القرآن، ما هي اوجه

الاعجاز في القرآن ، الاشارة الى نوعين منهما لهما علاقة وثيقة بروح العصر ، ما هي الآيات العلميــة في القرآن ، ما ورد من المغيبات في القرآن ، هل تحققت هذه الغيبيات بعد ذلك ..

العنايــة بالقرآن

لماذا يعتني المسلمون بالقرآن ، حفظ المسلمون للقرآن ، كيف كانت تقام حفلات الختم ، هل لكل سورة ثواب خاص لمن يرتلها ، من هو الحافظ والقاريء ، ما هو علم التجويد ، هل يجوز قراءة القرآن بدون الالمام بعلم التجـويد ، مــاذا قال الدكتور محمد اقبال بصدد القراءة الصحيحة للقرآن ، موجـز حياة اقبال ، كيف كانت تكتب المصاحف في صدر الاسلام وبعده هل كانت تباع المصاحف حينذاك ، تفرغ قسم من الناس لكتابة المصاحف ، كيف اسهم الخطاطون في كتابة المصـاحف ، كيف تطور الخط ، من الخط الحـيري الى الخط الـكوفي والثلث والنسخ ، اهتمام بعض الملوك بالمصاحف ، ما هي الجوائز التي وضعها هؤلاء الملوك في مراجعة مصاحفهم ، تجليد المصاحف ، ما هو حكم لمس القرآن ، ماذا يجب عمله عند قراءة او سماع آيات السجدة ، متى اخترعت الطباعة ، هل ان اوا طبعة للقرآن كانت في اوربا ، ما هي اول طبعة اسلامية للقرآن ، كيف طبع القرآن على الحجر في ايران ، طبع القرآن في شبه القارة الهندية وفي تركية ومصر على التوالي ، ما هو اول احصاء في الاسلام، الاحصائيات الدقيقة عن القرآن ، ما هي فائدة هذه الاحصائيات

ما هي عدد آيات وحروف وكلمات القرآن ، من هم الرسل الذين ورد اسمهم في القرآن ، ما هي أشد آية وارحم آية في القرآن، هل ضمّن الشعر بالقرآن ، حقوق المرأة في القرآن والاسلام ، ما هو موقف اعداء المرأة منها ، حملة الاسلام الشعواء عليهم ، قصة المتكلسة بالقرآن بتصرف ..

القرآن فى نظر غير المسلمين

موقف المنصفين من غير المسلمين من القرآن ، هل للعلم والثقافةدخل في ذلك الموقف ، علاقة الجهل والتخلف بهذا الموقف هل في القرآن كافة العلوم والفنون ، قول بأن القرآن سوق يمكنه ان يمد الناس بكل شيء ، هل هزت احكام الاسلام والقرآن غير المسلمين ، ماذا مطلوب من المسلمين ان يعرفوه قبل ان يولّوا وجوههم نحو الانظمة الوضعية ، الاسلام نظام كامل يسع الناس جميعا ، ماذا قال عشرات المنصفين من غير المسلمين في القرآن واحكامه ، موقف الكتاب الشرقيين من غير المسلمين من القرآن ، هل أسلم كثير من هؤلاء واولئك بعد دراستهم للقرآن ، ماذا قال من اسلم منهم بصدد الاسلام والقرآن .

الحروف المتقطعة فى اوائل السور

ما هي السور التي تبدأ بالحروف المتقطعة ، موقف الفقهاء منها ، هل هذه الحروف من الآيات المتشابهة أم لا ، كيف امكن التخفيف من حدة تشابهها ، ما هي المعاني الكاملة والاغراض

التي تدل عليها هذه الحروف ، هل هي اسماء للسور أم انها للقسم أم انها اشارات ومعاني لا يعلمها الا الرسول (ص) أم غير ذلك ، جدول احصائي للسور القرآنية المبتدأة بهذه الحروف.

خلق القرآن وقدمه

ما هي قصة خلق القرآن ، وما هي الآثار التي تركتها ، موقف التعاليم الاسلامية السمحة منها ، عدم التدين خير من التدين مع الاختلاف ، هل للمأمون يد في اخراج هذه المسرحية، كيف شجع المأمون المناظرات والترجمة ، هل انتقلت العلوم اليونانية الى المسلمين بالترجمة ، هل انحاز الخلفاء الى احد الجانبين ، الله تعالى متصف بالكلام وانه متكلم ، ما معنى قدم القرآن ، وما معنى خلقه ، ما هي حجج كل طرف في الانتصار لرأيه ، لماذا آثرنا ترجيح خلق القرآن على قدمه ، هل اصبحت هذه القصة في ذمة التاريخ ونسيا منسيا ..

آيات الاسراء والمعراج

ما معنى الاسراء وما معنى المعراج ، متى حدث الاسراء ، لماذا كان الاسراء محك لايمان المسلمين ، كيف كذب القرشيون الحادثة رغم ثبوت صدقها لديهم ، هل هناك في هذا العصر من يكذب الحقائق رغم قيام صحتها وسلامتها ، هل كان الاسراء بالجسد والروح والملابس أم بالروح فقط ، ما هي ادلة كل فئة ، لماذا ذكر الاسراء قبل المعراج ، كيف يمكن تصديق معجزة

الاسراء ، ارادة الله وقدرته وراء واقعة الاسراء والمعراج ، هل تأثر داتني في الكوميديا الالهية بما ورد في المعراج من وصف او شرح لحالات الآخرة والجنة والنار .

حــروف القرآن

هل نزل على سبعة أحرف، ما هي ادلة من يقول ذلك ، ما المراد من الحروف السبعة ، هل هي سبعة اوجه من المعاني المتقاربة أم هي سبعة لغات او لهجات من لغات مضر او غير ذلك ، هل هناك من انكر وجود هذه الحروف ، ما هي أدلة وحجج هؤلاء هل هذه الحروف جاءت من قبل الرواة أم انها كانت في أصل التنزيل ، لماذا تؤيد الاغلبية وجود هــذه الحروف ، هــل أن هذه الحروف من وجوه الاعجاب بالقرآن واعجـازه ، ما هي الكلمات الغريبة التي يضمها القرآن ، من هــم أئمة القــراءات العشرة ، ماذا كانت مهمتهم ..

خاتمــة

عندما يودع القاريء هذا الكتاب هل سيتعلق في ذهنــه شيء منه ، أي شيء يلتمس المؤلف من القراء هؤلاء ، ماذا ستضم اجوبة القراء ، مثالب تشوب اسلوب المؤلف ، ما هو الالتماس الثاني من القراء ، تقدير صراحة القراء ، هل ان ذكر هذه الامور هو تواضع من المؤلف ، هل ان الايام ستبدي ما يخفيه الفرد ، أي شيء يعصم المؤلف من وزر ضعف الاسلوب ، الدقيقة الاخيرة

مع الكتاب ، ماذا مطلوب من القراء ان يعملوه في هذه الدقيقة هل يمكن ايجاز الكتاب في أسطر ، كيف جاء القرآن ليقود البشرية الى العزة والارتقاء ، ضرورة الاحاطة بالقرآن ، هل المجتمع البشري يمر بمرحلة حاسمة ، هل ان ازدهار هذا المجتمع لا يتم الا بالسير في طريق الله والعمل بكتابه ، ماذا سيكون مصير هذا المجتمع لو تنكب هذا الطريق ، مسك الختام ..

❋ ❋ ❋

مصادر الكتاب

نهج البلاغة ـ الامام علي بن ابي طالب
آلاء الرحمن في تفسير القرآن ـ محمد جواد البلاغي
البيان في تفسير القرآن ـ السيد ابو القاسم الخوئي
البرهان في تفسير القرآن ـ السيد هاشم البحراني
الاتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي
تاريخ القرآن ـ ابي عبدالله الزنجاني
النبأ العظيم ـ الدكتور محمد عبدالله دراز
مباحث في علوم القرآن ـ الدكتور صبحي الصالح
تاريخ القرآن ـ محمد طاهر الكردي
القـرآن ـ محمد صبيح
تاريخ القرآن ـ ابراهيم الابياري
تاريخ التشريع الاسلامي ـ محمد الخضري
القرآن المجيد ـ محمد عزة دروزة
في الايمان والاسلام ـ احمد حسين
الوجيز في اصول الفقه وتاريخ التشريع ـ حسين علي الاعظمي
المعجزة الخالدة ـ السيد هبة الدين الشهرستاني
محاضرات في تفسير القرآن ـ السيد اسماعيل الصدر
محمد والقرآن ـ الشيخ كاظم آل نوح

الفهرست ـ ابن النديم
فضائل القرآن ـ اسماعيل بن كثير القرشي
فوائد قرآنية ـ احمد خيري
نظرات في القرآن ـ محمد الغزالي
روح الدين الاسلامي ـ خفيف عبدالفتاح طبارة
الظاهرة القرآنية ـ مالك بن بني
القرآن والعلم الحديث ـ عبدالرزاق نوفل
علي والقرآن ـ محمد جواد مغنيه
فلسفة التشريع في الاسلام ـ المحامي صبحي المحمصاني
القراءات واللهجات ـ عبدالوهاب حمودة
التاريخ الجغرافي للقرآن ـ السيد مظفر الدين نادفي
نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ـ الدكتور علي حسن عبدالقادر
الاسلام روح المدنية ـ مصطفى الغلاييني
البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين محمد عبدالله الزركشي
الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام ـ الدكتور علي عبدالواحد وافي
التصوير الفني في القرآن ـ سيد قطب
معالم في الطريق ـ سيد قطب
من بلاغة القرآن ـ الدكتور احمد احمد بدوي
النسخ في الشريعة الاسلامية ـ عبد المتعال محمد الجبري
التفسير والمفسرون ـ محمد حسين الذهبي
المصاحف ـ السجستاني
علوم القرآن ـ احمد عادل كمال

الكتاب القادم للمؤلف :

الپاكستان من كافة أبوابها

لقد سافر المؤلف الى الباكستان اكثر من ثمانية مرات امتدت اقامته في بعضها هناك الى اكثر من ستة شهور ،وقد اتيحت له في زياراته هـذه لتلك البلاد المسلمة الصديقة مشاهدة ورؤية غالبية مدنها وحواضرها ان لم تك كلها وذلك ابتداء من كراچي (العاصمة السياسية) وعروسة البحر العربي الى پشاور ومضيق خيبر عند سفوح جبال هندكوش ، ومن حيدر آبادسند الى راولبندي (العاصمة الادارية) واسلام اباد (العاصمة الجديدة) ومن خيرپور ميرس جوهرة رياسات السند الى لائيلپـور وسرگوده ، ومن كويته الى ملتان ولاهور (العاصمة الثقافية) ومن نواب شـاه الى رحيم يارخان وبهاولپور درة رياسات البنجاب •

وقد اتصل بمختلف فئات اشعب وخاطبهم بلغتهم كفـرد منهم ودرس عاداتهم وتقاليدهم وطبائعهم عن كثب ، وقرأ كافة جرائدهم التي تصدر باللغة الانكليزية والاوردية مثل دان وباكستان تايمس وحريت وجنگ وانجـام ومشرق، وحل في مختلف الفنادق ودور الاستراحة وشاهد كافة الآثار القديمة والمتاحف وحدائق الحيوان وقصور الامراء السابقين لا سيما المتحف الوطني في لاهور وبشـاور وحـديقة الحيوان في كراچي وقصر فيض محـل في خيرپورميرس والذي يقطنه حاليا صاحب السمو المير علي مراد خان تالپور حاكم المقاطعة سابقا ، وتجول في معظم شوارع واسواق البلاد المهمة مثـل سوق اناركلي في لاهور وشارع قصة خون في پشاور وشارع الميناء « بندر

رود » في كراچي ، ولاحظ غالبية قنواة الري والجسور الضخمة وخصوصا سدة سكر التي تمتد على نهر السند لاكثر من كيلو متر ونصف وتقع قرب مدينة سكر في السند وجسر ايوب المعلق على نفس النهر قـرب مدينـة روهري والمخصص لعبور القطارات ، كما واستقبل كافة وسائط النقل ابتداءا من العربة الصغيرة ذات العجلتين التي يسحبها حصان واحد والمسماة «تانگا» الى قطارات الديزل السريعة مثل « تيزگام وخيبر ميل وتيزرو » وطائرات البوينك ٧٢٠ النفاثة ، وطاف بغالبية المساجد والجوامع الأثرية مثل جامع باده شاهي والوزير في لاهور وجامع عنايت الله في پشاور وجامع نيو ميمن في كراچي والجامع الحيدري في حيدر اباد والمسجد الجامع في لائيلپور وصعد الى قمة مآذنها وابراجها ، وزار مختلف المشاهد الدينية ومزارات ابناء أهل البيت (ع) في مدن سيهوان وبيت شاه (في السند) واچ شريف (في البنجاب) ودخل الى مختلف المطاعم والمقاهي والكازينوات وتناول فيها انواع المأكولات والحلويات ووجبات الطعام الغاصة بالبهارات والفلفل الاحمر المسمى «مرچ» وشاهد المعارض المختلفة والاحتفالات الموسمية التي تقام دوما وبالتتابع في مختلف المدن والقصبات والمسماة « ميلة » وتجـول في غالبية المتنزهـات والحدائق ولا سيما حديقة شاليمار في لاهور وحديقة لياقت علي في راولبندي وحط في الريف الباكستاني وعاشر فيه الفلاحين والمزارعين فعرف كيف يحرثون الارض بالوسائل الحديثة او القديمة ليزرعوا القطن «كباس» وقصب السكر «كومند» والذرة «جور» والحنطة «كندم» .. وغيرها ..

وذهب الى بعض مصائف البلاد حيث تغطي الثـلوج سـطح الارض لاشهر عديدة وقضى فيها وقتا مناسبا وخصوصا مصيف ــ موري ــ بجوار حدود كشمير الجنوبية وعلى الطريق العام الى مظفر اباد عاصمة كشمير الحرة .

وزار قبور حكام المغول السابقين الذين حكموا القارة الهندية لعدة قرون وادخلوا فيها مباديء الاسلام واساليب الحضارة والمدنية ابتداءا من السلطان بابر وهمايون واكبر وجهانگير وشاه جهان واورنزيب .. الى بهادر شاه وفي عهد الاخير انتهى حكم هذه الاسرة في الهند وحل محله الحكم البريطاني وكان ذلك في عام ١٨٥٧ م ، وما موجود من قبور هذه الاسرة في الباكستان هو قبر السلطان جهانگير قرب لاهور ، اما قبور آبائه وابنائه الآخرين فقد زارها المؤلف خارج الباكستان ، فقبر بابر كان قد شاهده في كابل بافغانستان وقبر همايون في دلهي ،وقبر اكبر شمال اگرة بالهند ، وقبر شاه جهان في تاج محل بأكرة في الهند ، وكل هذه القبور عدا قبر بابر آية في الروعة والجمال والهندسة ولا سيما تاج محل في آگرة جنوب دلهي ، وكلها تشير الى الفن الهندي الاسلامي العظيم الذي غمر الهند بقسميها في عهد سلاطين المغول المسلمين والحضارة التي ادخلها هؤلاء السلاطين الى تلك البلاد في وقت كانت اوربا لا تزال تحبو وتتعثر في هذا الميدان .

فضلا عن ان المؤلف كان قد دخل الباكستان من غالبية الطرق والموانيء والمطارات التي تربطها بالدول المجاورة لها فقد دخلها برا قادما اليها من ايران ومن افغانستان ومن الهند وكذلك عن طريق البحر والجو ..

هذا وان المومى اليه في زياراته المتكررة للباكستان ومشاهدته لمختلف مدنها وحواضرها من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب يكون بذلك قد سبق وغلب أي عراقي آخر يظله سماء هذا الوطن في هذا المضمار ، بل ربما يكون قد سبق كثيرين من أهل الباكستان انفسهم ان لم تكن غالبيتهم العظمى في هذا السبيل ..

واذا كان لي هنا ان أستدرك او استثنى أحدا مما ذهبت اليه ، فربما

كان هنـــاك عراقي واحد وواحد فقط قد مكث في الباكستـــان أكثر مما بقيت وشاهد أكثر مما شاهدته وهو السيد ســفير العراق في كراچي الاســتاذ عبدالقادر الكيلاني الذي واكب نهضة الباكستان وتقدمها منذ استقلالها في ١٤ آب ١٩٤٧ حين كانت السفارة العراقية في تلك الايام وعند فتحها لا تخرج عن ان تكون غرفة متواضعة في فندق پالاس الكبير في كراچي وقــد كان يشغلها السيد السفير نفسه الى هذا الوقت حيث تحتل السفارة بناية جديدة تقع في « باث ايلند » قرب البحر ويشغلها بالاضافة الى السيد السفير نفسه موظفون ومستخدمون عديدين ..

والفترة الطويلة التي قضاها السيد السفير هناك مكنته بحق من ان يكون عميد السلك الدبلوماسي في الباكستان فضلا عن المكانة الدينية والاجتماعية التي يتمتع بها في الاوساط الشعبية والحكومية هناك ..

والعجيب هنا اني لم اوفق حتى الان وفي أي سفرة من سفراتي الى الباكستان من مقابلة السيد السفير او التعرف معه رغم اني كنت في الباكستان وفي كراچي بالذات في اكثر المناسبات التي احتفلت بها السفارة العراقية وخاصة عند مجيء السيد رئيس الجمهورية العراقية السابق الى كراچي ورغم زياراتي للسفارة العراقية هناك بشأن تمديد جواز سفري أو اضافة اقطار اليــه أو غير ذلك ..

ومن عبر كل ما سلف ذكره وبيانه اعلاه امكن للمؤلف تسجيل وتدوين ملاحظات ومشاهدات دقيقة وفريدة عن الباكستان ، والتي جمعت ورتبت في طيات وصفحات كتابه المقبل « الباكستان من كافة ابوابها » كما وقــد أضيف اليه مختلف الصور والخرائط والجداول ..

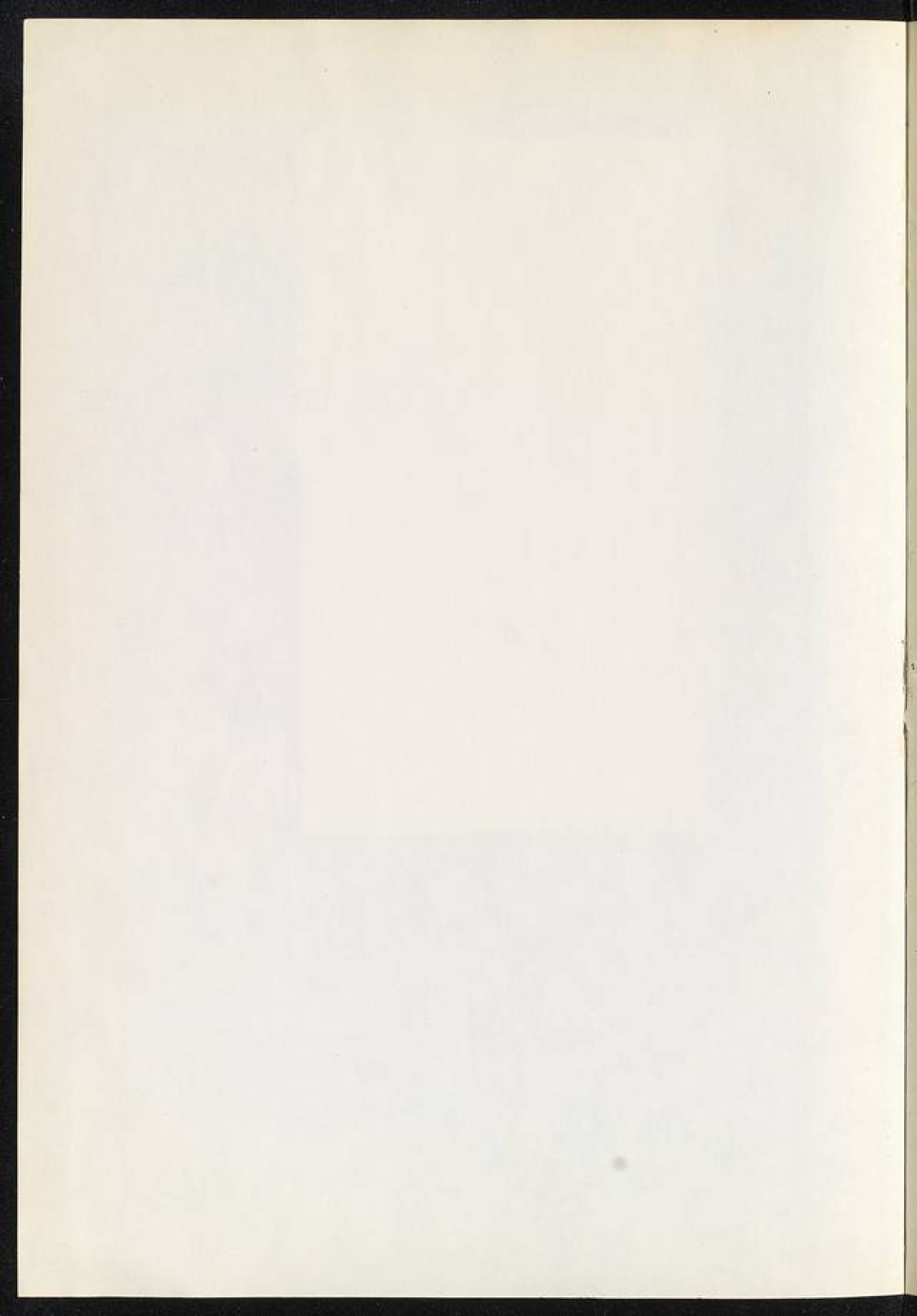
والكتاب المشار اليه سيرى وجه النور في بحر سنة كاملة من صــدور

هذا الكتاب الذي بين يديّ القاريء ، لانه يمر حاليا بالمراحل التي كانت تمر عليها حوليات الشاعر زهير بن ابي سلمى من قبل ..

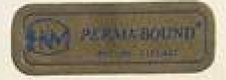
فتلفت اليه الانظار ولا سيما اولئك الذين يرغبون في زيارة الباكستان في مستقبل الايام أو الذين يودون ان يحاطوا علما ومعرفـة بهذه البـلاد الاسلامية ذات المائة مليون نسمة والتي وقفت ابدا ودوما الى جانب حق الاسلام والعرب ودعمت قضاياهم في كل زمان ومكان .

***

مطبعة النعمان النجف الاشرف تلفون ٩٩٧

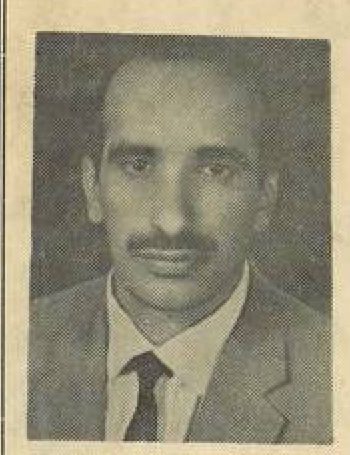



BOBST LIBRARY
3 1142 02824 0847


PERMA-BOUND



هـذا الكتاب



جاء القرآن ليكون دستوراً ينظم علاقات الامم ويحدد ابعادها من دون ما تعسف او اضطهاد . .

كما وجاء ليغدو قانوناً يوجه حركة الجماعة ويكشف وسائل ارتقاءها من غير ان ينالها اجحاف او هضم . .

وجاء كذلك ليوثق العلاقة بين الانسان وربه ليصنع من هذا الانسان شخصية كاملة وعنصراً صالحاً يسعى للخير ويعمل للفضيلة . .

فهذا القرآن الذي تولى واضطلع بمهمة كل ذلك وزيادة حري ان ينال من البشرية بكل اهتمامها وان يستأثر منها بالعناية والرعاية التامين . .

وهذا الكتاب ما وضع إلا ليكون محاولة متواضعة من المؤلف لكشف بعض ابعاد وجوانب القرآن الكريم من اجل ان تتجلى للقراء بوضوح وجلاء حقيقة وواقع ما قلناه آنفاً . .

وهي محاولة لو حق وصفها بشيء لقلنا بأنها وضعت في النور وباسلوب مبسط وواضح ومن دون ان يشوبها شيء من تعصب او مداهنة . .

والقارىء الكريم ستكون له الكلمة الأخيرة والحكم الفصل .

صمم الغلاف يحي جواد

الثمن ٣٧٥ فلس



مطبعة النعمان النجف الاشرف تلفون ٩٩٧